المائدة المستديرة

قصة المسيح عيسى ابن مريم والحواريين والاحداث القرآنية المرتبطة بها

تأليف

أسامة عبد الأمير مكلف البدران

2019 م – 1440 هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة:

إنَّ من أهم الأسباب التي دفعتني لكتابة مبحث ﴿المائدة المستديرة﴾ هو الحاجة الى التدبر في قصص الأنبياء وآيات الذكر الحكيم وربطها مع بعضها من أجل الوصول الى نتائج تقترب من المنطق الذي أراد الله ايصاله للبشرية من خلال آيات الذكر الحكيم التي انزلها على رسولنا الكريم محمد صلوات ربي عليه وعلى آله التسليم، عملاً بقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾(1)

ومن باب عِلمِنا بِأنَّ القرآن لم يكن في يوم ما حكراً على فئة او طائفة معينة، بل هو تنزيلٌ مِن رَبِ العالمين نزل به الروح الأمين على قلب النبي محمد ﴿ﷺ﴾ رحمة للعالمين، وأن تدبرنا لهذه الآيات قد يجعلنا نصل الى حقيقة علمية ومنطقية من مُرادها ، بل نكون بعون الله تعالى قد وضعنا

(1) سورة محمد: آية 24.

أساساً جديداً لطريقة تأويل آيات القرآن الكريم بما يتناسب والاطروحة المحمّدية العملية ليتم تطبيقها على ارض الواقع من اجل تنشئة جيل جديد غير مغيب الذهن والعقل بسبب الدّس والتشويه من خلال السيرة النبوية المفترات على سيدنا محمد ﴿ﷺ﴾ حسب منهج الرواية وما يسمى بالسُنَّةِ والحديث الذي وصلنا عن طريق ﴿عنعنة﴾ علم الرجال، والتي نعتقد ان العمل بها دون وضع معيار خاص لها هو باطل امام نص آيات القرآن الكريم ، وأبسط ما يمكن ان يقال بهذا الصدد هو إنَّ اهل البيت﴿عليهم السلام﴾ المتمثلين بآل محمد الطاهرين المجددين للمنهج الرسالي قد وضعوا للأمة مثل هذه المعايير لتبيان الصالح من الطالح في السيرة والحديث المنسوب لهم، ولكن الامة الإسلامية للسلف والخلف اهملت أمثال هذه المعايير وأولتها بحسب ما تشتهي ، وخير ما يمكن ان ننطلق به ويعضد منهجنا في التدبر هو قول النبي الاكرم محمد ﴿ﷺ﴾ :

عن النبي الأكرم[1] ﴿ﷺ﴾أنه قال: اعْرِضُوا حَدِيثِي على كِتابِ اللهِ فإنْ وَافَقَهُ فَهُوَ مِنّي وأنا قُلْتُهُ.

(1)كنز العمال: 907.

قال رسول الله [1]﴿صلى الله عليه وآله﴾:ما جاءكم عني من حديث موافق للحق فأنا قلته، وما أتاكم عني من حديث لا يوافق الحق فلم أقله، ولن أقول إلا الحق.

وقال رسول الله [2]﴿صلى الله عليه وآله﴾ :إنه سيجيئُكُم رواةٌ، فما وَافَقَ القرآنَ فخذوا به وما كان غير ذلك فَدَعُوهُ.

قال رسول الله [3] ﴿صلى الله عليه وآله﴾: إن على كل حق حقيقة وعلى كل صواب نورا، فما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله فدعوه.

وعملاً بهذا المضمون ومصداقا لقوله تعالى:

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[4]

ومن خلال تدبر هذا الامر الواضح من الله بطاعة النبي في النهي والامر، ونهي رسوله الاكرم ﴿صلى الله عليه وآله﴾ واهل بيته﴿عليهم السلام﴾ عن الاخذ بالحديث الصادر من الرواية والأحاديث من بعده الا بعرضه على القرآن،

(1) معاني الأخبار: 30./370.

(2) جامع البيان: ابن جرير الطبري، ج ٢٥، الصفحة ١٤٥.

(3) الكافي: ١ / ٦٩ / ١ وح ٤.

(4) سورة الحشر: آية (3).

نســـــتطيع ان نســـــتنتج ان الروايـــــة اذ جـــاءت مـــا هـــــي الا مطابقـــة لمـــتن القـــرآن لا مفســـرة لـــه بحيـــث تبعـــدنا عـــن مطلبنـــا فـــي فهـــم نصوصـــه الكريمـــة ولكـــي ننـــتهج نهجـــاً ســـليماً قويمـــاً فـــي فهـــم آيـــات القـــرآن ارتأينـــا ان نعمـــل وفق هذا المعيار واوامر نبي الرحمة(صلى الله عليه وآله).

المؤلف
كربلاء المقدسة
1440 هـ – 2019م

الفصل الأول

المائدة المستديرة

تمهيد:

يهدف هذا المبحث الى تناول قصة عيسى ابن مريم ﴿عليهما السلام﴾ وعلاقته بالحواريين ومن هم حوله من انصار وكافلين وانبياء كبداية متواضعة منا لوضع حجر أساس لمباحث قادمة ان بقيت الحياة بمشيئة الرحمن وانعكاسات هذه القصة على الواقع الاجتماعي في تلك الفترة ومدى تأثيرها على واقعنا الحالي ، وسنتدبر جميع المفردات الرئيسية والمهمة المتعلقة بمبحثنا هذا، بل وسنقوم بربط قصص أخرى متعلقة بقصة عيسى والحواريين من ناحية الدلالة القصصية و تشابه المفردات والجمل والتراكيب اللفظية الصادرة من قبل نبينا محمد ﴿ﷺ﴾ بوحي من القرآن المنزل عليه من قبل الله جل وعلا ، وسنجعل الآية الكريمة التالية من سورة المائدة منطلقا وتمهيدا لهذا المبحث .

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ(١١١) إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم

مُّؤْمِنِينَ (112) قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾[1].

ان ما يمكن قوله عن هذا البحث الموسوم بـ ﴿ المائدة المستديرة﴾ حينما تم عرضه على مواقع التواصل الاجتماعي كحلقات مبسطة تحت عنوان ﴿ديموقراطية عيسى والحواريين﴾،أنه لاقى تفاعلا لابأس به من قبل مختلف شرائح المجتمع العربي، بل كان هناك شغف لمعرفة نتائجه في كل حلقة جديدة يتم طرحها ولا انكر ان ما كتبته في وقتها كان متأثراً بانفعالات الوسط الاجتماعي، مما يجعلني انسب الفضل لمن كان يتواصل معي في بعض نتائج وسياقات المبحث فلهم جزيل الشكر والامتنان ولكل من الهمني وشجعني لأفتري بهذه الكلمات التي لا ادعي انها من كتاب الله بل هي اقرب للظن الشخصي الذي يساير الحقيقة، ليس كلها طبعا بل بعضها ولا أخفي تأثري وانفعالي بكتاب آخرين سواء في الوسط الاجتماعي والواقع الافتراضي او في الحياة الواقعية واولهم صاحب الفضل الأكبر والدي الأستاذ عبد الأمير البدران[2] الذي أهدي له هذه الكلمات ولوالدتي برا بهما عسى ربي ان يتقبل مني انا العبد الضعيف ولا يجعلني جباراً شقياً .

---

(1) سورة المائدة: آية (111- 113).

(2) عبد الأمير مكلف البدران: كاتب وصحفي ومؤلف من مواليد 1940 م، من اهم مؤلفاته كتاب الطريق الى كربلاء، كتاب بغداد خاتون، كتاب مهبط آدم، كتاب الصحافة العراقية الساخرة، كتاب المضيف العراقي، كتاب اصلاح النظام

قال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[(1)]

أسباب البحث في قصة عيسى بالتحديد

يجب على كل متابع للسياقات في منهج البحث والتقصي عن الحقائق المغيبة فيما وراء علاقة عيسى ﴿عليه السلام﴾ والحواريين ان يعلم جيداً ان هناك فرقاً واضحاً ما بين نقل الآراء والاستنتاجات السابقة، والتأليف والكتابة من وحي التجربة والبحث العلمي والمعايشة للمجتمع في الوقت الحالي، فنحن لا ننكر او ننسى فضل العهود الماضية التي نقلت لنا ارثاً حضارياً ثقافياً وتاريخياً، ولكننا نعتقد ان المثقف العربي في بداية القرن الحادي والعشرين بدأ شغفه بالموروث يقل، وبدأت أفكاره تتفتح نحو منهج الاستنتاج بالأدلة والقرائن ، فليس كل ما يكتب يكون مقبولاً ، لذا أصبحت هناك حاجة الى كتابة مبحث اكثر اسهاباً واوفى علماً واكثر تماساً مع العقل والفكر الحديث وبالأخص من النواحي السيكولوجية، فالكاتب يسعه ان يفسر ويشرح بحرية اكثر من تلك الأزمنة السابقة، وكل انسان متعلم يجب ان يتعلم بمقدارٍ معين عن الطب النفسي بالذات كي يرسخ علاقته الاجتماعية مع مختلف شرائح المجتمع ولا ينطبق هذا المثال على الطب العضوي، فالشخص المثقف لا يأتمن ان يتناول جرعة من الزرنيخ مثلا كي يتقوى بها، ولكن هذا الشخص نفسه يستطيع ان يتعلم مقدار من

الوظيفي، وله أبحاث عديدة منشورة في الصحف والمجلات المحلية والعالمية باللغتين العربية والانكليزية من عام 1968 وحتى يومنا هذا.

(1) سورة الأسراء: آية 23.

السيكولوجية يسترشد بها في سلوكه وتصرفه، ولا يوجد في الطب النفسي زرنيخ!! وفي الواقع فأن مشكلاتنا النفسية هي في النهاية مشاكل فلسفية أي انها تتصل بموقفنا من المحيط الكوني وما نريد حقا ان نصل اليه او نكونه ﴿To be or not to be﴾ في هذه الدنيا.

وما نحاول ايصاله للقارئ الكريم هو ذلك العلم الذي يمكن ان نعبر عن حقائقه بالأرقام او ما يقاربها في الصحة، ولا يمكن ان يكون هذا مصداقاً للطب النفسي والعلاقات الاجتماعية والتأثيرات الفكرية والثقافية وإن كان هناك مقداراً كبيراً من المعارف السيكولوجية يقوم على أساس التجربة والأرقام في مقابل ان الطب العضوي لم يصل الى مرحلة الكمال ولا أي علم اخر أيضاً!!!

قال تعالى:﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾[1]

ان استهلالنا بهذه الكلمات كان ايضاحاً لكوننا نقوم بفعل التأليف لمبحث قد تكون جل مفاهيمه ونتائجه قد توصل اليها من هم قبلنا من العلماء والباحثين ولكننا قمنا بربط النتائج مع بعضها للوصول الى استنباط ذهني جديد من خلال تلك النتائج التراكمية الناتجة من قراءاتنا لتلك الأبحاث السابقة فلا يؤاخذنا احدكم بملامة ان وجد تشابها بين ما نكتبه هنا او ما يجده في كتب ومواقع الكترونية وكوننا لم نذكر مصدر ما نفتري اذا انني

(1)سورة الأسراء: آية 85.

أؤكـد لكـم تشـابه الأفكـار وعـدم وجـود فضـل لنـا فـي الاسـتنتاج غيـر ايصـاله لكـم وربـط النتـائج ببعضـها لا نمـن علـى احـد وممنـونين مـن الاخـرين وبـالأخص مـن يتـابع هـذه المباحـث التـي لا تخلـوا مـن فائـدة عقائديـة مهمـة لتصـحيح الفهـم الكلاسـيكي لنصـوص القـرآن الكـريم ، فمـن خـلال تـدبرنا لآيـات الـذكر الحكـيم قـد يقـع بعـض الاخـوة فـي شـبهة التــرادف فـــي المصـــطلحات والصـــفات التـــي يطلقهـــا الله سـبحانه وتعـالى علـى انبيائـه كمـا فـي قـول عيسـى ابـن مـريم﴿ عليه السلام ﴾ وهـو كهـلاً ﴿ومبشـراً بنبـي يـأتي مـن بعـدي اسـمه احمـد ﴾ وهـذه التسـمية التـي اطلقهـا عيسـى ابـن مـريم﴿ عليه السلام ﴾ هـي للنبـي محمـد عليـه افضـل الصـلاة وعلـى الـه التسـليم، ولكـن كيـف يمكـن التوفيـق بعـدم الاخـذ بـالترادف وقولنـا أن ﴿أحمـد هـو نفسـه محمـد﴾؟!! ، والمتـابع لهـذا المبحـث حينمـا كـان منشـوراً كحلقـات علـى مواقـع التواصـل الاجتمـاعي، يعلـم اننـا قـد وضـعنا اسـتنتاجا وعـدنا بإكمالـه بعـد حـين مفـاده ان عيسـى ﴿ عليه السلام ﴾لـم يـتعلم لغـة قومـه لأنـه ببسـاطة تكلـم وهـو فـي المهـد ولأنـه الموصـوف بـ ﴿كلمـة الله﴾ فلسـانه هـو لسـان اهـل السـماء ولـيس لسـان قومـه، ومـن هـذه الجزئيـة التـي اسـتنتجناها نفهـم ان عيسـى ﴿ عليه السلام ﴾ هـو الوحيـد مـن بـاقي انبيـاء الله يتميـز بوجـود فئـة بشـرية ملازمـة لـه اسـمهم ﴿الحـواريين ﴾مـن ﴿ الحـور﴾، وهـذا ان دل فعلـى ضـرورة الاعتقـاد بمبـدأ التحـاور مـا بـين عيسـى ومـا بيـنهم دونـا عـن بـاقي الخلـق الغيـر عـالم بطـرق الـوحي

ونستطيع القول ان هذه النتيجة مشتملة على الجميع ما عدا من يوحى اليهم من ذكور واناث، وقد نجد ان عيسى ابن مريم(عليه السلام) نفسه متحصل على عدة صفات اطلقها الله عليه من قبل ان يولد أصلا وهذه الصفات مثبتة في الكتب السماوية التي انزلها الله على انبيائه بما فيها القرآن كي لا يفترى على المسيح ان هذه الصفات ليست له فهي ملازمة له وضرورية التثبت لذاته وشخصه ولا تعتبر مديحاً انما مصداقاً من مصاديق المسيح ومميزاً لخلقه الفريد وشاهداً له على كونه وأمه ﴿ ايتين ﴾من آيات الله لا كما يقال عن التسمية الشائعة لمراجع الدين انهم ﴿ آيات الله ﴾مثلا المرجع الفلاني اية ،الله العظمى او الكبرى او كقولنا ان اسم السيد الفلاني ﴿روح الله﴾ او الشيخ الفلاني ﴿حجة الله﴾ فهذه انما صفات أطلقت على اشخاص لا تمثل مصداقاً واقعياً لهم انما هي أسماء سميتموها أنتم وآبائكم ما انزل الله بها من سلطان!! وتتبلور عقيدتنا في قوله تعالى:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقِّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْراً لَّكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلَـهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً﴾ (1)

(1)سورة النساء: آية 171.

اذن من هو عيسى حسب المتن السابق لآيات الذكر الحكيم؟!!

1- عيسى﴿ عليه السلام ﴾ هو النبي الملقب من قبل الله بـــ ﴿المسيح﴾.

2- عيسى﴿ عليه السلام ﴾ هو النبي الموصوف بلقب ﴿رسول الله﴾.

3- عيسى﴿ عليه السلام ﴾ هو النبي المنسوب لأمه ﴿مريم﴾ اذ لا أب له.

4- عيسى﴿ عليه السلام ﴾ هو النبي الموصوف من قبل الله بروح الله.

5- عيسى﴿ عليه السلام ﴾ هو الموصوف من قبل الله بكلمة الله.

ماذا يعني هذا؟! من الممكن ان تكون هذه الكلمات وصــفا لأي نبي؟!! قد يقول أحد الأشـــخـاص.. ولكننا نقول كلا لا يمكن هذا.. ونعم يمكن ان تكون هناك مشـــتركات لفظية تدل على الرســـالة والنبوة ولكن يجب ان نفصل القول في النقاط أعلاه بدقة!!

عيسى ﴿ عليه السلام ﴾هو الوحيد الذي ذكر اسم امه صريحا في القرآن دوناً عن باقي الأنبياء وهذا لدفع شبهة ان موسى﴿ عليه السلام ﴾أيضا لا اب له وأمه قد ذكرت في القرآن ولا يمكن المقارنة بين الاثنين لسبب ان موسى ببساطة قد مات ابوه حين فترة حمل امه به بالطرق الطبيعية بدلالة الكفالة التي دلتهم عليها اخته في قوله تعالى:

﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ على مَن يَكْفُلُهُ ۖ فَرَجَعْنَاكَ إِلى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾ (1)

فقولها ﴿اهل بيت﴾ يشمل ام موسى ويشمل كافل موسى ولا يمكن ان تكون ام موســى هي من يكفله انما الكافل كان والد هارون الذي تزوج

---

(1)سورة طه: آية 40.

من ام موسى بعد وفاة زوجها وهي في فترة حملها له.. وسندخل في تفاصيل هذه القصة في المباحث القادمة بأذن الله.

عيسى﴿عليه السلام﴾ هو الوحيد من الأنبياء الذي جاء وصفه قبل ولادته بكلمة ﴿مسيح﴾ وهذا لا يعني الفهم الدارج لهذه الكلمة انما كون هذه اللفظة متعلقة بطريقة خلق عيسى ابن مريم﴿عليه السلام﴾ من تراب ولا يوجد أي مشترك في هذا الوصف بينه وبين أي نبي اخر!! وكل نبي له صفة تميز بها عن الاخر او تشترك مع اخرين، فموسى الكليم وإبراهيم الخليل ويوسف الصديق﴿عليهم السلام﴾.

عيسى﴿عليه السلام﴾ هو الوحيد من الأنبياء الذي وصفه الله بأنه ﴿كلمة منه ﴾ فهو كلمة الله القاها الى البتول ولا يمكن القول ان يحيى﴿عليه السلام﴾ أيضا هو كلمة الله انما التباين الزمني ما بين ولادة يحيى وعيسى جعل اللفظ ليحيى يكون ﴿ مصدقا بكلمة منه ﴾ لكي لا يكشف التخطيط الإلهي قبل حصوله لمريم بأن القى لها كلمته، فيحيى ﴿عليه السلام﴾واجبه وتكليفه ان يكون الصلة الاجتماعية والممهد ما بين عيسى الذي لا يتكلم بلسان القوم ويحيى الذي ولد وتعلم بين ظهرانيهم فتكون لغته لغتهم ولهذا فأننا نستنتج ان يحيى هو قائد الحواريين ومعلمهم لفك شفرة الوحي الذي اوحي اليهم وما اوحي لعيسى من الانجيل، اذن قوله تعالى في الوصف الفريد لعيسى ابن مريم ﴿عليه السلام﴾بأنه ﴿كلمة منه﴾ من نتائجه انبثاق وجود فئة ﴿ الحواريين﴾ ووجود سابق لولادة عيسى مرتبط بقوله

﴿كلمة الله﴾ وهو يحيى المصدق بهذه الكلمة ومثبتها ومرسخ جذورها كونه المعلم الممهد للقواعد الشعبية لانصار الله وتطبيق الاطروحة المسيحية على ارض الواقع قبل الظهور المرتقب للمخلّص .

عيسى ﴿عليه السلام﴾ هو الوحيد الموصوف بكونه ﴿ روح الله ﴾ لأنه في اصل خلقه روح من امر الله، ويجب ان انوه لكم ان الروح ليست جزءاً من ذات الله بل كينونة منفصلة عن ذاته كما سيتم اثباته لاحقاً، وان الروح ممكن ان تكون جزءاً من كُلّ او من عدة أجزاء و تتنزل بالكامل، ومن أطوار هذه الروح هو الروح القدس المؤيد للأنبياء والروح الأمين المنزل للكتاب المكنون على قلوب الأنبياء والروح الكامل والذي اعتقد انه هو الذي نزل لبشارة مريم﴿عليها السلام﴾ بعيسى المسيح﴿عليه السلام﴾ ووصف الله جل جلاله للمسيح بأنه روح منه لا يدل على ان عيسى هو الروح بل ان خلق عيسى ومادته التراب ارسل معها بالنفخ جزء من الروح بقوله تعالى ﴿ فنفخنا فيه من روحنا ﴾ أي جزء من الروح .

المائدة في اللغة:

عندما نبحث في المعجم عن مفردة ﴿مائدة﴾ فأننا نجد تبايناً ملحوظاً في الآراء من حيث المعنى ما بين معجم وآخر، بل ان نفس المعجم قد يعطي عدة معاني لنفس المفردة مع اختلاف الحال لجذرها من مفرد وجمع، فكلمة ﴿مائدة﴾ مؤنثة مشتقة من الجذر ﴿مائد﴾، ويفترض ان الكلمة

وجذرها في حال المفرد المؤنث والمفرد المذكر تعطينا نفس المعنى للجنس الواحد كقولنا:

مائد، مائدة: رائد، رائدة، جامد، جامدة ...وحسب المنطق اللغوي وبلاغة اللغة وقواعد البناء والاعراب يفترض ان هذه الكلمات تعطينا دلالة على حال ﴿مفرد مذكر ومفردة مؤنثة﴾! ولكننا حينما بحثنا في المعجم [1] وجدنا التالي: مائِدة: اسم الجمع :مَائِدات ومَوَائِدُ.

المائِدَةُ: الخِوان عليه الطَّعام والشراب.

المائدة المستديرة: طاولة لا يكون لأحد الجالسين إليها أسبقيّة الحديث حيث لا بداية للدائرة.

مائِد :اسم.

الجمع :مَيْدَى.

فاعل من مَادَ.

غُصْنٌ مَائِدٌ: مَائِلٌ.

مَائِدٌ: مَنْ يُصِيبُهُ دُوَارٌ مِنْ رُكُوبِ الطَّائِرَةِ أَوِ البَحْرِ.

وحسب قواعد اللغة العربية فأن ﴿مائد﴾ هو اسم فاعل مشتق من فعله الثلاثي الماضي ﴿ماد﴾، ويعني في حالة الفعل والفاعل المذكر ﴿الميلان﴾ولكننا نشاهد انه في حالة المؤنث بنفس الحركة الاعرابية مع إضافة تاء مربوطة يتحول المعنى جذريا الى دلالة

(1) المعجم الوسيط.

أخرى ومعنى آخر، ونجد هذه المفردات التي نحاول تدبر معانيها في آيات القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (1)

﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (2)

القرآن هو المصدر الأول للقواعد اللغوية:

حينما نحاول ان نتَّبع السياقات المعمول بها من قبل علماء اللغة العربية ونتتبع أصولها وطريقة فهم أصحابها من العلماء نجد ان اغلب آرائهم في تدبر المعاني للمفردات وقواعد اللغة العربية انتقائية وقافزة بين النصوص القرآنية، ومن منطلق ايماننا ان القاعدة اللغوية يجب استنباطها من القرآن كونه المصدر الاول للّسان العربي المبين واللغة العربية الرصينة فنحن نبدي استغرابنا من هذا المنهج والذي اقل ما يمكن القول عنه انه منهج اجتهاد واستنباط لا منهج تدبر ومن نتائجه هو الانحراف الواضح والعجز في تقديم تفاسير منطقية لآيات القرآن الكريم بل ان بعض النصوص يتم اهمالها بحجة، ان لا داعي لتدبرها او قراءتها او كون

---

(2) سورة النحل: آية 15.

(1) سورة المائدة: آية 115.

قراءتهـا وتـدبرها مكـروه ﴿ والعيـاذ بـالله مـن هـذا الـرأي وأصـحابه﴾ وبـالأخص لـو تتبعنـا اراء العلمـاء بخصـوص قصـة يوسـف ﴿عليه السلام﴾ وامرأة العزيز!!

وخير مثال يمكن ان نضـربه في هذا الصـدد قولهم ان ﴿قد﴾ حينما تدخل على الفعل الماضي تفيد التحقيق ولكنها حينما تدخل على الفعل المضارع تفيد التشكيك مثال:

- ❖ قد ازورك. ﴿قد تفيد التشـكيك في الحال المضـارعة للفعل﴾ تعني ربما ازورك او لا ازورك!!
- ❖ قد زرتك. ﴿قد تفيد التحقيق في الحال الماضـية للفعل﴾ تعني انني حقا زرتك ووقع الفعل مئة بالمئة!!

ولكننا حينما نعرض هذه القاعدة حول ﴿ قد﴾ على نصـوص القرآن الكريم تـأتي التبريرات من حيث لا نـدري تـارة بحجـة البلاغـة وتـارة بحجـة ورودها مع الذات الإلهية او لفظ الجلالة فتشـذ عن القاعدة وخذ من هذه الآراء عجباً!! فهم ﴿أي أصحاب التفاسير وعلماء اللغة﴾ لا يخبروننا لماذا هذا التباين في الآراء في نصـوص مشـابهة لنفس هذه النصـوص التي شـذت فيها قاعدة ﴿ قد﴾.. وبنفس المنطق ومن خلال اسـتخدام العصـا والترهيب في مدارسـنا نحن ﴿العرب العراقيين﴾ قد تم تعليمنا منذ الصـغر قواعد اللغة العربية بحسب من وضع قواعدها المبسطة لنا ﴿ كما ما جاء في لسان العرب﴾ من علماء وجهابذة أمثال﴿سـيبويه والفراهيدي ..الخ﴾ لمن هم مثلي بسـيطي الفهم والتعلم ان هناك أسـماء اعجمية ترد في القرآن

ممنوعة من الصرف، أي حينما تكون مجرورة فانه يستبدل الكسرة بفتحة بدل وضع تنوين على اخرها، وهناك أسماء مثل ﴿سعيد وعلي ومحمد وجميل وياسر﴾ هي عربية يمكن تصريفها، ولا نجد جواباً مقنعاً في قولهم ان القرآن قد يحتوي عدة أسماء ممنوعة من الصرف لكونها اعجمية وليست من العربية، مع العلم ان هذا القول اذا تمعنا فيه فهو يحمل طابعاً قومياً تقسيمياً طائفياً في طياته وقد تم تفصيل أسماء العرب بحسب كونهم ﴿ عاربة ومستعربة﴾، أي ان أولاد قحطان وغسان وعدنان هم الموصوفين بالعاربة وان أولاد إسماعيل ابن إبراهيم﴿عليهما السلام﴾ هم الموصوفين بالمستعربة، ولم تمض فترة زمنية بسيطة حتى استنتجنا ان اباء العرب العاربة والمستعربة جميعهم أسمائهم ممنوعة من الصرف!!! ، أي ان الاسم الذي ينتهي بألف ونون لا يصرف مثل ﴿ عدنان وقحطان وغسان﴾ والاسم الاعجمي لا يصرف مثل ﴿إسرائيل وبنيامين وسرجون﴾، ولكننا حينما اشتد عودنا وبدأنا نبحث بين جوانب اللغة العربية استنتجنا ان اسقاط هذه المفاهيم على القرآن الكريم قد يترتب عليها شبهات عقائدية خطيرة، فلو كانت هذه القواعد اللغوية صحيحة من النواحي التاريخية والقومية أي نتعلم القواعد بحسب القومية نصرف العربي ولا نصرف الاعجمي فكيف يمكننا فهم هذا الامر وتطبيقه على نوح او آدم فهل هما عربيان ام اعجميان يا ترى؟ وهل يمكن ان نعرف قومية الرجل بحسب الزمن ام بحسب كونه ممنوعاً من الصرف من عدمه حسب قواعد اللغة؟!! وهذا ما سار عليه القوم قروناً من الزمن بحيث يفهمون ان إبراهيم وإسماعيل

واسحق ويعقوب ويوسف هي أسماء ممنوعة من الصرف ولكن لوط قد شذ عن هذه القاعدة على الرغم من انه قد خرج مع إبراهيم ﴿عليه السلام﴾ مهاجرا أي قبل قضية القومية المفترات على انبياء الله طبعاً[1].

قال تعالى:﴿ فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (26) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (27) وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾[2]

ان المتدبر لهذا النص يجد ان لوطاً قد هاجر مع إبراهيم فصرف لوط ومنع إبراهيم من الصرف وأصبح إبراهيم اعجمياً ولوط عربياً ...وربما ان لوطاً قد اسماه ابواه اسماً عربياً كما يسمي الناس أبنائهم في وقتنا الحالي أسماء اعجمية مثل (Tomas).. هل يوجد أعجب من هذا المنهج؟!!

ولمثل هذه المفاهيم يصرف الناس الوقت والمال والجهد على أبنائهم ويريدون ان تتقدم عجلة التطور ونواكب الدول المتقدمة، ولا اعتقد ان العجلة تدور ونحن نضع العصا في داخلها، بل ان تقويم المناهج السليمة لفهم وتدبر لغتنا العربية حسب ما نطق بها رسولنا الكريم ﴿صلى الله عليه وآله﴾ بلسان عربي مبين وتشذيبها من

(1)لتفصيل أكثر راجع مدونة الدكتور رشيد عبد السلام، أستاذ اللغات والمختص بعلوم اللغة العربية والالسن والاصوات في جامعة اليرموك الأردنية.

(2)سورة محمد: آية 24.

الشوائب قد يجعل ﴿نحن نأمل فقط﴾ من أبناء الجيل القادم يفكر ملياً قبل ان يمسك كتاباً ليقرأه او يجبر أبناءه على تعلم هذه المناهج البالية..

مائدة الدنيا:

أن الدول المتقدمة ثقافياً تعتبر الجلوس على طاولة الطعام عرفاً تقليدياً توارثته الأجيال المتعاقبة ونادراً ما تجد شخصاً في الغرب يأكل مفترشاً الأرض ، وتتنوع طرق الاكل واماكنها بحسب الحاجة في عصر السرعة والنهضة الصناعية التي لو تتبعنا اثرها في الازمنة الماضية لوجدناها قديمة بقدم الانسان المتمدن، في حين تجد في المجتمع الشرقي العربي لا يتورع عن افتراش الأرض اثناء تناوله الطعام بل يعتبرها البعض فضيلة في جلوسه على الأرض من أجل الاكل على الرغم من اجتياح المد الثقافي الأوربي والغربي لمدن العرب الا ان هذا الإرث الشعبي الشرقي بقي صفة لم تتأثر بالمظاهر الاجتماعية الدخيلة من الخارج ، وسأحاول الإجابة عن سؤال طالما تبادر في ذهني منذ مدة الا وهو : هل هناك تأثيرات على الجانب النفسي في بناء شخصية الفرد والمجتمع سببها طريقة ومكان تناول الطعام للفرد والعائلة ؟!!، ومن خلال نظرة بسيطة لبعض عادات وتصرفات الدول الأخرى من غير العرب في طرق تناول الوجبات الرئيسية الثلاثة ﴿فطور ، غداء ، عشاء ﴾ تجد ان هناك تبايناً وفوارق نفسية انعكست على الفرد والمجتمع

على حد سواء سببها هو البناء الاسري كما سنحاول طرحه بعد قليل ،فمائدة الطعام متكونة من طاولة خشبية على شكل معين محاطة بعدة كراسي يتبوأ كل فرد من افراد العائلة صغارا وكبارا أماكنهم فيها مما يجعل تبوء المكان عاملا مساعدا في بناء الشخصية من حيث احترام موقع هذا الفرد من العائلة ويكون هذا الكرسي تعبيرا للطفل عما يخالج فكره او منبرا له يتكلم منه ويتعلم فيه من غيره من افراد العائلة وبالأخص الابوين، وحسب فصول الوعظ الديني في الكتاب المقدس ﴿ الانجيل﴾ نجد ان هناك دعاءً يقرأ قبل تناول الطعام على المائدة ومضمونه هو (1):

﴿يا ربنا أنت المنبع الدائم لجميع الخيرات، إليك نتوسل بأن تبارك وتقدس لنا هذا الطعام الذي نستلمه من وجودك لكي نستعمل مأكلنا بتعقل كما أنك تتوقع ذلك منا. ساعدنا لنعترف بك دوماً كالآب السماوي صانع كل الخيرات وأن نطلب قبل كل شيء الغذاء الروحي الكائن في كلمته المقدسة لكيي تتغذى أرواحنا أبدياً بيسوع المسيح مخلصنا. آمين﴾

وقد يمسك افراد العائلة بيدهم مع بعض او يقوم الاب بقراءة هذا الدعاء وافراد العائلة الباقين يطأطئون برؤوسهم احتراماً لهذه الكلمات ورزق الله وتفضله عليهم بهذا الطعام الوفير.. ولا يخفى ان لهذه العادة التي منبعها ديني لها تأثير اجتماعي كبير على قوة الشخصية وبالأخص لدى الأطفال ،أما في المجتمعات الإسلامية الشرق أوسطية وبالأخص في

(1) الراهب القمص أغناطيوس انبا بيشوي: الأجبية المقدسة

بلدي العراق دائما يكون الجلوس في مائدة طعام مكونة من ﴿صـــينية او سـفرة﴾ توضـع على الأرض ويوضـع عليها الطعام ويكون ابعادها بحسـب كمية الطعام التي توضـــع فيها مع الاخذ بالحســبان عدد افراد العائلة، ويتخذ الافراد مواقعهم على السـفرة بصـورة عشـوائية غير منتظمة ماعدا رب الاسرة والأب فأن مكانه محفوظ ويسمى صدر المجلس عادة ﴿الكوسر ﴾، وهو كناية عن مقدم المضـيف العشـائري والذي يجلس فيه عادة الشـيوخ والوجهاء وكبار العشـــيرة ، ومن اهم العادات الدينية في هذه الموائد ان تقرأ البسملة فقط في بداية الطعام واحيانا يقوم الافراد بالصلاة والتسليم على محمد وآل محمد اثناء رؤيتهم للمائدة التي تزهو بما لذ وطاب من أصـــناف الطعام تعبيراً عن اعجابهم بمكوناتها وتنوع اصـــنافها ، وحين الانتهاء يحمد الله ويشـــكره كل الافراد دون ان يكون هناك دور ملموس ذو تأثير على الافراد لهذه المائدة وهذا المحفل العائلي اليومي وحتى وجود الاب من عدمه قد لا يشكل فارقا لأنه لا توجد ﴿كليشة ﴾ مقتبسة من كتاب ديني او كتاب وعظ تختلف من يوم الى اخر قد تنفع في تربية الطفل ولا يوجد مســك باليد او ثناء بطريقة لائقة كما اســلفنا الذكر في طرق الغرب الدينية في جلوســـهم على المائدة ، ومن المهم هنا ان نذكر عادة قد انتشرت مؤخراً في موائد وتجمعات الحفلات والمناسبات والمحافل الدينية والعشائرية والعائلية المصغرة على حد سواء ،وهذه العادة تمثلت بأطلاق ﴿ كليشة ﴾ اثناء الانتهاء من تناول الطعام من قبل الشخص المقام المحفل على شرفه او كونه اكبر القوم ومتصـدرهم بالكلام او قد يكون شـخصـاً ذو

مقام ديني كأن يكون ﴿ شيخاً حوزوياً او سيداً او ملّة ﴾ بأن يقول ﴿ الى أرواح المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات ومن مات على الهدى والايمان وخصوصا الى ارواح باذلي هذا الطعام نهدي للجميع ثواب الفاتحة مسبوقة بالصلاة على محمد وآل محمد ﴾ وقد يقوم احدهم بإضافة بعض المفردات او تغيير بسيط بالمفردات وعلى أي حال فهذه الجملة هي الأقرب لما انتشر بين موائد الطعام في الحفلات والمناسبات والعزائم ،وهذه الكليشة تنبأ الجميع بانه هذا الشخص قد انتهى من تناول الطعام طبعا وهذا قد يسبب الاحراج للباقين لانهم لم ينهوا طعامهم ..وربما لازال بعضهم يحاول فتح موضوع معين او يتكلم بقضية معينة او لايزال يقضم ما في فمه من فتات الطعام، وهكذا ويكون صاحب هذه الكلمات كان قد اعدها مسبقا واختار كلماتها بعناية﴿طبعا من وحي خياله وليس من كتب الوعظ﴾ استعدادا لأطلاقها بصوت جهير ، ولا يخفى على القارئ اللبيب أن هناك سلبيات لهذه العادات تؤثر على ثقافتنا وشخصياتنا بل على كينونة المجتمع بأكمله من نواحي عدة يجدر فهمها والتدبر فيها، ولكي نقارن بين عاداتنا وتقاليدنا نحن العرب مع الغرب سنقوم باستعراض بعض المنافع الاجتماعية من هذه العادات .

المنافع الاجتماعية للجلوس على طاولة الطعام:

أن الجلوس على طاولة في المنزل لتناول وجبة الطعام له عدَّة آثار إيجابية، منها أن كل مقعد يمثل أحد أفراد الأسرة ومكانته، فالأب له موقع الصدارة والام الأقرب ويتوزع باقي الأطفال من

الأكبـر إلــى الاصــغر بــل أن الابــن الأصــغر حينمــا يرتقــي المائــدة أول مــرة يعــي فيهــا سـيكون لــه أكبــر الأثــر فــي بنــاء شخصــيته وانضــمامه إلــى ســرب العائلــة ومكــان تجمعهــم المفضــل فقــد اعتلــى منصــة الطعــام وطاولــة المشــورة والــرأي والكــلام وحينمــا يقــوم الأب أو الأم بمعاقبـة الطفـل وحرمانـه مـن الطعـام فإنـه أول مـا قـد يشـعر بـه هـو الإهانـة وفقـدان مركـزه بـين افـراد اسـرته لأنـه أجبـر علـى تـرك كرسـيه بــين عائلتــه وهــذا الكرســي لــه كــل الأثــر المعبــر عــن شخصــية هــذا الطفــل... أنــه حــب الانــا والكرســي والطاولــة بمجموعــه يشــكل شخصــية الطفــل ليكــون شخصــاً فــاعلاً فــي المجتمــع ومربيــاً فاضــلاً فــي المسـتقبل وقـد يأخـذ اقتباسـات والـده مـن الكتـاب المقـدس التـي يحمـد الله ويثني عليه لرزقه لهم قبل تناول الطعام .



﴿التخت من التراث العراقي، كان يجمع الاسرة في مكان واحد وقت تناول الطعام﴾

التأثيرات السلبية لتناول الطعام على الأرض:

فلنستعرض التأثيرات السلبية لعادة افتراش الأرض في المجتمع العربي على ضوء ما ذكرناه لعادات الغرب حيث دأبت العائلة على تناول وجبات الطعام بوضع ﴿صينية مستديرة﴾ او ﴿سفرة نايلون﴾ على الأرض مع الأب والأم والأطفال، وأول شيء سلبي في الموضوع هو أن يكون الطعام بمستوى الأقدام وهذا يعتبر من زوال بركة النعمة أن اذنتم لي أن أطرح ما اعتقد به، وثاني شيء هو كسر رغيف الخبز على الفخذ لعدم وجود مكان لوضعه وهذا الشيء قد اعتاد على فعله او رآه كل قارئ لبيب لهذه الكلمات فهو ليس بغريب عن افراد مجتمعنا العربي... اما أثره على البناء الأسري والاحترام المتبادل فهو يكاد يصبح منعدماً، فبمجرد وقوف أصغر طفل على قدميه والكل جلوس على الأرض أصبح شعور الطفل بمنزلة الاستعلاء والتكبر والموقع الافضل ولهذا فإن هروب الأطفال عن هكذا مجالس اروح لأنفسهم من الناحية السيكولوجية بأن يرى الطفل نفسه مسيطراً من موقعه وهو واقف على رأس ابيه الذي انهكه الطعام والتخمة، فهذا اساس تراجع عملية التربية وبناء الشخصية والاحترام المتبادل، فلا حجة لدى الاب لإجباره على فهم هذه العادة ولا هو قد تعلم شيئاً مطابقاً لعقيدته التي سطرت بين دفتي كتب العقيدة والفقه وتفسير الكتاب المبين، وقد تختلف هذه العادة اي افتراش الأرض لتناول الطعام من بلد إلى آخر

فالمصريين مثلاً يأكلون على ما يسمى ﴿ بالطبلية ﴾ منضدة صغيرة ترتفع قليلا عن الارض وقد تعود بعض الناس على طاولة الطعام وهؤلاء يتم تصنيفهم اجتماعيا على انهم متأثرين بمنهج الغرب..

مائدة السماء:

أن ما نحاول اثباته ولفت انتباه القارئ الكريم له هو تشابه مفردة ﴿المائدة﴾ التي وردت في القرآن الكريم والمفردة التي نطلقها على طاولات الطعام في حياتنا اليومية على اختلاف الرقعة الجغرافية والقوميات والأديان والمذاهب ومهما كانت الحالة التي يكون فيها الشخص سواء في مطعم للوجبات السريعة ام في المنزل على طاولة خشبية او كراسي او في حالة افتراش الأرض او على ما يسمى عند المصريين ﴿الطبلية﴾ او ما يسمى عند العراقيين القدامى﴿التخت﴾ وهو عبارة عن بناء خشبي مرتفع عن الأرض مفروش وفيه طاولة خشبية تتوسطه مع متكأ للأفراد وهو من التراث الشعبي العراقي ...كل هذه الاشكال لتناول الطعام اشترك الجميع على تسميتها ﴿مائدة ﴾ وكما تطرقنا له قبل قليل في بداية هذا الكتاب من أن هناك اختلاف لدى المفسرين والمعاجم ما بين المفرد المذكر والمفرد المؤنث لنفس الكلمة في حال كونها اسم فاعل للمؤنث مشتق من فعله الماضي الثلاثي ﴿ماد﴾.. ولو طبقنا هذا المعنى على طاولة الطعام لما استقام المعنى بمدلوله مع ما نفعله ونمارسه فكلمة ﴿ تميد﴾ يعني تتمايل كما هي حالة السفن في عرض

البحر لقوله تعالى:﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[1] ، وكلمة ﴿ ماد﴾ عكسها ﴿ استوى﴾ لقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾[2]

ولكننا حينما نستعرض الكلمة في حالها ﴿اسم الفاعل﴾ مائد يستقيم المعنى مع المدلول ﴿مائدة الطعام﴾ لما هو متوارث من هذا الفهم ومتفق عليه ما بين الجميع لنقل على الأقل في المجتمع العربي!!

هل حقا يستقيم المعنى مع المدلول؟!! من يدري، ربما..

(1)سورة النحل: آية 15.

(2)سورة هود: آية 24.

الفَصْلُ الثَّانِي

المسيح عيسى ابن مريم

إنَّ ما تعرض له مبحث ﴿المائدة المســتديرة﴾ قبل ان اكتبه بهذا الصيغة الحالية، من نقد بنَّاء على مواقع التواصل الاجتماعي جعلني أقوم بتفصيله بدقة واعتني بمفرداته وإعادة صياغته كونه من المباحث المهمة التي لا ينفع فيها طرح المفاهيم دونما تفصــيل وادلة مقنعة ، وهذا ما لمسته مباشرة من بعض الأساتذة في نقدهم للحلقات الأولية منه، وخروجاً عن الروتين الســابق الذي انتهجته في طريقة كتابة الأبحاث العقائدية والتاريخية فســأقوم في هذا الفصــل بالتطرق الى مفردتي ﴿المســيح﴾ و﴿كلمة الله﴾ وعلاقتهما بعيســى ابن مريم ﴿عليه السلام﴾من الناحية الزمنية والارتباط الذاتي بشخصه المقدس وانفراده بهذه الأَوصاف التي عرفت عنه من خلال الأنبياء قبله والمبشــرين به، عســى ربي ان يوفقني بطرح ما لم احلم بأَن أُحِط بِهِ خُبراً دون توفيق ربي ببركة الممسوح بالزيت والمعمد بماء الفرات المقدس في﴿بكة داود﴾[1] بغداد ارض الله البابلية. قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً

---

(1)ذكر الأستاذ عبد الأمير البدران، في كتاب (بغداد خاتون) أصل تسمية بغداد حسب الاكتشافات الاثرية في (تل حرمل)، وتشير الرقم المكتشفة الى انها ذكرت بكلمة (بك دادو).

مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴿ 112 ﴾قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (1).

أن هذا النص سيكون مدخل البحث في أعماق القرآن الكريم كي أتدبر آياته لربط القصص بما يتناسب وأقرب تصور لما أراده الله دون الرجوع للروايات وكتب التفاسير وسأحاول ان أخوض في غمار هذا المأزق الذي وضعت نفسي فيه بطرح التساؤل التالي:

بماذا يتميز عيسى ﴿عليه السلام﴾عن باقي الانبياء؟

سيكون هذا السؤال منطلقا لتكملة البحث في هذا الفصل وما يتبعه من فصول أخرى...والاجابة عن هذا السؤال تتفرع إلى عدة أقسام:

١ -عيسى ﴿عليه السلام﴾ كلمة الله.

٢ -عيسى ﴿عليه السلام﴾ روح الله.

٣ -عيسى ﴿عليه السلام﴾ هو المسيح.

٤ -عيسى ﴿عليه السلام﴾ كتابه الانجيل ليس عبرانياً.

٥ -عيسى ﴿عليه السلام﴾ ليس من بني اسرائيل.

٦ -عيسى ﴿عليه السلام﴾ لا قوم له.

٧ - عيسى ﴿عليه السلام﴾امه مريم العذراء.

---

(1)سورة المائدة: آية 112.

٨ -الإنجيل هو الكتاب الوحيد الذي نسب كل نسخة منه إلى أحد الحواريين.

٩ - عيسى﴿عليه السلام﴾ لم يكلم الناس إلا في موضعين الأول في المهد والثاني كهلاً.

١٠ -عيسى ﴿عليه السلام﴾ لم يتكلم بلسان بني اسرائيل ولم يتحاور معهم ولم يردوا عليه ولم يفهموا ما قال لهم بالمباشر.

١١ -عيسى ﴿عليه السلام﴾ كان مبشراً بنبي من بعده اسمه ﴿احمد﴾ وهو في سن الكهولة ﴿كهلا﴾ .

١٢ -يحيى ﴿عليه السلام﴾ أرسل مصدقا لعيسى ﴿عليه السلام﴾ ﴿ كلمة من الله﴾ ونبوته ومبيناً لبني إسرائيل أنه كلمة الله.

وسأتطرق إلى كل قسم من هذه الأقسام وأبين بأذن الله ما خفي عن ذهن القارئ الكريم بطرح جديد حسب منهج تدبر آيات القرآن الكريم بتوفيق من الله وشكر على نعمائه لكي اضع مفهوما لكيفية خلق عيسى﴿عليه السلام﴾ والتي نستلهمها من مظان الآية الكريمة:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (1)

(1)سورة آل عمران: آية 59.

ولكـن مـا الفـرق بـين التـراب الـذي خلـق منـه آدم ﴿عليه السلام﴾ والتـراب الـذي خلق منه عيسى ﴿عليه السلام﴾ يا ترى؟!!

التراب المقدس:

لنتـابع قولـه تعـالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾[1]

اذن التراب المقدس الذي خلق الله منه آدم كان ممزوجا بالماء الذي جعله طيناً، فمكونات الطين كما لا يخفى عليكم هي ﴿التراب + الماء﴾ وادم مخلوق بلا رحم يحمله، وشاءت قدرة الله أن يخلق عيسى ﴿عليه السلام﴾ من تراب فقط، وتحمله امه مريم العذراء سيدة نساء العالمين ﴿وأمه صديقة ﴾ اجتباها الله وبشرها بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم، فما هو المسيح وماذا يعني كونه كلمة الله؟

بعد عدة قراءات معمقة توصلت الى فهم معين لكلمة المسيح وهي خاصة لعيسى ابن مريم فقط دون باقي الانبياء وهي بعيدة كل البعد عن مفهوم الاخوة من الديانة المسيحية وبعيدة عن الموروث الاسلامي بل هي خاصة بطريقة خلق عيسى نفسه.

(1)سورة ص: آية 71.

ماذا تعني كلمة مسيح؟

حينما نبحث عن كلمة مسـيح في القاموس نجد لها ثلاثة معاني ﴿حسن الوجه – صديق – مكرس بمسح الدهن او الزيت المقدس﴾ وهذا يجعلنا نرجع الى معاجم اللغة العربية لنقف على أصل وجذر كلمة المسيح فهي كاسم تعني ﴿صفة ثابتة للممسوح من الفعل مسح – والمسيح هو الممسوح بالبركة والدهن ليكون ملكاً او نبياً﴾، ومن هذه المعاجم والقواميس اللغوية بات واضحاً جدا ان كلمة مسيح جاءت من الفعل مسح يمسح وليس كما ينقل الرواة في فريقي الإسلام والمسيحيين ﴿النصارى﴾ ان هناك أصل للمسيح من السياحة...

فلنتابع اراء الفريقين:

ففي اشتقاق اسمه ذكر ابن الانباري [1]: لأهل اللغة خمسة اقوال أولها انه قيل له مسيح لسياحته في الأرض وهو على وزن ﴿فعيل﴾ من مسح الأرض أي قطعها بالسياحة ...وقيل انه ممسوح الرجل ليس له أخمص وقيل لأنه خرج من بطن امه ممسوح بالزيت وقيل انه إذا مسح بيده على مريض ابرأه ...

أقول ان هذه الآراء الروائية وضعت فقط لأنهم ضيعوا المعنى الحقيقي لمعنى كلمة المسيح وهذا نجده واضحا في منهج الرواية والحديث عند الاخباريين، بحيث يضعون عدة مفاهيم لما لا يقعون على

(1)تذكرة القرطبي: نسخة الكترونية: ج1/ ص 766.

معناه، ومن الأمثلة الواضحة في الروايات الشيعية هو ان الحسين ﴿عليه السلام﴾ يكنى بأبي عبد الله منذ الصغر وعبد الله هذا رضيع في معركة الطف حينما بلغ الحسين الستين من عمره الشريف.. فضيعت علينا الرواية عبد الله الأكبر ابن الامام الحسين الذي يكنى به، وهكذا يتم تحريف التاريخ، وعلى العموم لتجنب الخوض بمواضيع خارجة عن بحثنا هذا، وعَوْداً عَلَى بَدْءٍ فأنه من الواضح والمتظافر لدينا ان جذر كلمة مسيح هو ﴿م س ح﴾وهذا الاسم اول ما يطلق على عيسى ابن مريم في كتاب الله أي انه دائماً المسيح عيسى ابن مريم.

1- أولا هو المسيح

2- ثانيا عيسى ابن مريم

هذا الترتيب الزمني للتسمية ويعضده كونه مبشرٌ من قبل الأنبياء من قبله بهذه التسمية فمتى ولد حتى يسيح في الأرض او يمسح على الناس كي يبرأ امراضهم بل هو مسيح لأنه جلي لجميع المنتظرين انه كان مخلوقاً من المسح قبل ان يكون ابن مريم فما هو المسح وعلى ماذا تم المسح يا ترى؟

لنتابع الآيات القرآنية الدالة على اسم المسيح:

1- قال تعالى: لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن

فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(17) / المائدة.

2- قال تعالى: مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ۗ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ(75) / المائدة

3- قال تعالى: وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ ۖ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ(30) / التوبة

4- قال تعالى: إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ(45) / آل عمران

5- قال تعالى: وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا(157) / النساء.

6- قال تعالى: يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ ۚ

إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ۖ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۘ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وكفى بِاللَّهِ وَكِيلًا (171) / النساء.

7- قال تعالى: لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا(172) / النساء

عقيدتي بمعنى كلمة (مسيح) :

اعتقادي يتمثل بأن كلمة (المسيح) تدل على خلقه من التراب الذي مسح الله عليه بيده فأخذه روح الله فنفخه في فرج مريم!!

قال تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾[1].

فالمسيح من المسح على التراب.. ولم تأتي هذه الآيات في سورة المائدة من قبيل الصدفة بل لأن الله يقصد بها إيصال معنى ودلالة الكلمة واستعمالاتها اللغوية المختلفة لمن يتدبر القرآن ويفهمه كما أراد الله، لنتابع:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ امْسَحُوا بِرءوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا

(1)سورة التحريم: آية 12.

وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(1).

وهنا يجب أن ننوه ان عيسى (عليه السلام) لم يكن انساناً بل بشراً لأنه لم يمر بالمراحل التي خلق منها الإنسان بالطرق التقليدية المعروفة من زواج الام والاب، قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ (12) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (13) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (2).

ويمكن لنا أن نتصور أن هذا الخلق المبارك الخاص المميز بحاجة إلى رحم خاص مميز ولهذا تكفل الله بالإعداد الفسيولوجي المناسب لمريم العذراء التي أحصنت فرجها.

(1)سورة المائدة: آية 6.
(2)سورة المؤمنون: آية (12-14).

قال تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(1).

الادلة على الاعداد والتهيئة الجسمانية لتقبل روح الله هي أن الله كان يرزق مريم﴿عليها السلام﴾ بطعام من السماء وهذه ليست المرة الأولى التي يأكل فيها أحد من الناس طعاما من السماء، فها هم بنو اسرائيل قد انزل الله عليهم المن والسلوى من قبل فكانت مائدة مريم﴿عليها السلام﴾ خاصة ومن السماء وجسمها لا يحصل له ما يحصل للنساء العاديات من العادة، فهي طاهرة مطهرة تقبلها ربها بقبول حسن لأنها نذر لله قال تعالى:

﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً﴾(2).

فهذا الانبات هو الاعداد الجسماني وكونها دوماً في المحراب دليل على طهارتها المتواصلة.

---

(1)سورة آل عمران: آية 37.

(2)سورة المائدة: آية 112.

المسيح تعني المسح على التراب:

والان لنتعرف عن ماهّية المسح الذي نفتري وجوده قبل خلق المسيح والذي هو أصل لهذه التسمية وسِمَةً اتسم بها النبي عيسى ابن مريم﴿عليه السلام﴾ على غيره من الأنبياء والمرسلين قبله وبعده بحيث لم تطلق هذه التسمية على أحد من بعده وان هاجر وسافر ومارس السياحة او مسح على رؤوس المرضى او مسح بالزيت فهذه كلها صفات ممكن ان يشترك بها عدة انبياء او ملوك او حتى أولياء لله فلماذا المسيح صفة واسم اختص لعيسى ابن مريم﴿عليه السلام﴾ فقط؟!!!

قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾(1).

من مظان هذه الآية الكريمة ﴿أي ما أرجح ظني فيها﴾، سننطلق في البحث والتدبر حول علاقة لفظ المسيح بكيفية خلق ادم والمسيح﴿عليهما السلام﴾ معا بنفس الطريقة وان اول ما يلاحظه القارئ الكريم في متن هذه الآية الكريمة هو اختفاء لفظ المسيح منها وأيضا كلمة ابن مريم وهذا يقودنا الى الاستنتاج فوراً ان هذه الآية لا تتكلم عن كيفية الخلق بل عن مادة الخلق فقط ولنبدأ بأدم عليه صلوات ربي وسلامه...

(1)سورة آل عمران: آية 59.

أن مثل عيسى عند الله كمثل آدم:

ان مـادة خلق ادم من تراب فكلنـا لآدم وادم من تراب كمـا يقـال في المثل والرواية.. وأن هذا القول هو دلالة على مادة الخلق الخام وإن تفصيل كيفية الخلق ومواده الأولية هو في آيات اخر:

1- قال تعالى: قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ/ الأعراف (12).

2- قال تعالى: هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ / الانعام (2).

3- قال تعالى: وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ/الحجر (26).

4- قال تعالى: وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (28) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ ساجدين/الحجر (28-29).

5- قال تعالى: قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (32) قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ/ الحجر (32- 33).

6- قال تعالى: خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ/ النحل (4).

7- قال تعالى: وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا/ الاسراء (61).

8- قال تعالى :الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (7) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (8) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ

مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ/ السجدة (9-7) .

نكتفي بهذا القدر من الأدلة لتحصل الفائدة المتوخاة من البحث وهي طريقة الخلق ومادته فالتراب في حالة البشـر ﴿كأدم وعيسـى﴾ والانسـان ﴿الناس اجمعين﴾ هو المادة الأولية في الخلق وفي حالة ادم كان هناك تفصيل واضح انه حينما اخذ الله التراب المقدس الذي خلق ادم ﴿البشري﴾ منه جعله طيناً ثم سواه ثم نفخ فيه من روحه بمراحل كالتالي:

1- تراب.

2- تسوية.

3- نفخ.

4- كن فيكون.

والانسان فصلت طريقة خلقه ومادة الخلق الأولية بوصف القرار المهين الرحم والصـلب من الام والأب من خلال عملية الجماع الطبيعية ﴿نطفة، مضغة، علقة، عضما، لحما، ثم جعلناه خلقا اخر﴾، وهنا أيضا تتم التسوية والنفخ، وأعتقد ان هذه الآية القرآنية توضـح لنا وجه التشـابه بين طريقة خلق ادم وطريقة خلق عيسى من مادة التراب لنتابع:

قال تعالى:﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ (1).

(1)سورة ص: آية 75.

فانا اعتقد ان الله قد خلق ادم بيده، أي ان التراب المقدس الذي خلق منه ادم قد اخذه الله بيده وخلقه منه فقال له كن فيكون.. كما ان الله قد مسح بيده على نفس التراب الذي خلق منه ادم حينما خلق عيسى فأطلق على عيسى اسم ﴿المسيح﴾، ولفظ المسيح جاء من المسح بيد الله.. حسناً من يؤكد ما نقول ونفتري؟!! الجواب هو المنطق القرآني الذي يوضح لنا علاقة المسح باليد حسب هذه الآية:

قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾(1)

فكل مسح يتم باليد ومسح التراب المقدس الذي خلق منه عيسى ابن مريم﴿عليه السلام﴾ تم بيد الله كما خلق ادم من تراب بيده، قال تعالى: ﴿ **قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ** ﴾ (2).

---

(1)سورة المائدة: آية (6).

(2)سورة ص: آية (75).

لماذا مسح الله بيده على تراب المسيح؟

لماذا هذا المسح ولماذا هذا المبحث المعقد؟! قد يقول قائل!! فليخلق الله عيسى بطريقة كن فيكون وانتهى.. اليس الله بقادر على كل شيء، نعم نحن نقول ان الله قادر على كل شيء وان طريقة خلق عيسى بهذه الطريقة كي يكون مسيحا لله وكلمة منه لا يقدح في ذات جلال الله وعظمته فهو الذي لديه خزنة وكتبة وملائكة وجنود وانبياء ولو شاء الله لآمن من في الأرض جميعا ولكنه بنفس الوقت قد جعل لكل شيء سبباً وربما ان سبب خلق عيسى بهذه الطريقة كان عنواناً لهداية قوم وامم لم تكن لتهتدي بطرق أخرى ولم تكن لتؤمن بنبي الا بمواصفات عيسى ابن مريم والله العالم وعلى كل حال فان هذه المسحة باليد الإلهية جعلت عيسى ﴿عليه السلام﴾ بشراً مختلفاً من الناحية الفسيولوجية عن باقي الناس حيث ان عيسى ومريم ﴿عليهما السلام﴾ كان طعامهما خاصاً واعدادهما خاصاً من الناحية الفسيولوجية وحتى لسان عيسى ﴿عليه السلام﴾ يختلف عن باقي بني إسرائيل الذين لم ينسب لهم، وسنتطرق الى كيفية خلق عيسى ﴿عليه السلام﴾ من التراب بنفخه في رحم امه نفخا وليس كما هو معهود في طريقة خلق الناس من الجماع الاعتيادي للرجل وزوجه والحمل الاعتيادي وقد نصل في مبحثنا باستنتاج ان مريم لم تحمل عيسى كباقي الأمهات بل بطريقة كن فيكون !!

من يدري.....

مصادر تحصيل معاني مفردات النص القرآني:

ومن منطلق ايماننا بان كل كلمة في القران الكريم لها معنى يرتبط بموقعها في الآية الكريمة زمانياً ومكانياً وايماننا أيضـا بانه من الممكن تحصـيل المعنى اللغوي لهذه الكلمة نفسـها من خلال متابعة أماكن ورودها في آيات اخر في سور اخر، وهذا من فضل الله ومنه على عباده هو إمكانية تدبر آيات الله التامات المفصلات، وكما تطرقنا لمفردة ﴿ المسيح ﴾ كونها تأتي دائما قبل اسم ﴿عيسى ﴾ في الوصف فلا يقال عيسى المسيح بل ﴿المسيح عيسى ابن مريم﴾ وبهذا تم اثبات ان هذه الكلمة اتصف بها تراب المسيح قبل خلقه من خلال مسح الله التراب بيده كما خلق من قبل أدم ﴿عليه السلام﴾ بيده، قال تعالى :

﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾[1].

تحليل النص القرآني ما بين عيسى وآدم:

فخلق ادم﴿عليه السلام﴾ كان بيد الله وكذلك عيسى﴿عليه السلام﴾ كان خلقه بيد الله من تراب مسحه الله فسمي ذلك التراب مسيحا ثم نفخه الروح في فرج مريم ﴿عليها السلام﴾وهذا النفخ كان بطريقة الانتقال من يد رسول رب العالمين ﴿ الروح﴾ الى فرج مريم ﴿عليها السلام﴾عن طريق الهواء وقد انتقلت جزء من كينونة الروح مع هذا التراب الى فرج مريم لتحمله في بطنها مسيحاً من

(1)سورة ص: آية (75).

روح الله فكان خلقاً جديداً مختلفاً عن بقية الخلق اسـمه المسـيح روح الله عيسـى ابن مريم (عليه السلام) وهذا الخلق هو من طور البشـر الخالص لم يمر بعوالم الذر.

قـال تعـالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾[1].

ولم يمر بمرحلة النطفة والعلقة والمضـغة وظلمات الرحم التي تجعل كل انسان ينسى موقف الشهادة في عالم الموقف والذر طفلا وليدا جديدا محتاجا لمن يأخذ بيده ويعلمه سبل العيش والنطق والإنسانية.

قال تعالى:﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ واحدة ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ۚ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۖ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [2].

وفي سـورة أخرى قال تعالى:﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [3].

---

(1)سورة الاعراف: آية (172).

(2)سورة الزمر: آية (6).

(3)سورة غافر: آية (67).

هل تعلم عيسى الكلام من المجتمع الذي ولد فيه؟!!

اما عيسى ﴿عليه السلام﴾ كلمة الله لم يتعلم من أحد كيفية النطق ولم يسمع لغة بني إسرائيل فكيف افترى عليه الرواة انه كلمهم بلغتهم يا ترى؟! وليت شعري ان أجد من يدلني على قصة نبي من الأنبياء فيها وجه صحة وترابط او على الأقل تكون منطقية بعض الشيء كي يستطيع من يقرأها ان يجد مطابقة لما حكاه الله في كتابه وقصه علينا مع الرواية الإسلامية، قَالَ الإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِب ﴿عليه السلام﴾: «ليت شعري أي شيء أدرك من فاته العلم! بل أي شيء فات من أدرك العلم» [1].

عموما ان عيسى ﴿عليه السلام﴾ حينما نطق في المهد لم يجري بينه وبين بني إسرائيل أي حوار بل يحدثنا القران انه تكلم فقط وكان كلامه على النحو التالي، قال تعالى:

﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (30) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (31) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (32) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [2].

---

(1)شرح نهج البلاغة، لابن ابي الحديد المعتزلي.

(2)سورة مريم: آية (30-33).

تحليل شخصية عيسى من خلال اول الكلمات التي نطق بها:

وتفصيل كلامه كما ورد في الآية السابقة بالنقاط التالية:

1- أني عبد اللّه.

2- اتاني الكتاب.

3- جعلني نبياً.

4- جعلني مباركاً اين ما كنت.

5- واوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً.

6- وبراً بوالدتي.

7- ولم يجعلني جباراً شقياً.

8- والسلام عليَّ يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حياً.

ان كل نقطة من النقاط الثمانية التي أوردها عيسى (عليه السلام) في خطابه الى بني إسرائيل او لنقل الى علماء وكهنة بني إسرائيل تستحق ان نقف لنتدبر فيها ونتمعن بدقة ونتساءل، الم يكن هؤلاء ينتظرون هذا المسيح ليولد فيقتلوه ويبعدوه عن معابدهم كما هو ديدنهم من تقتيل الأنبياء وايذائهم؟!! فلماذا أُخرِسَ لسانهم ولم ينطقوا ببنت شفة امام هذا الكلام الذي فيه تعريف كامل بمنهج هذا النبي الصبي في المهد ومستقبله القادم بما يهدد مكانتهم ووجودهم ككهنة حرفوا الكلم من بعد مواضعه ونقضهم ميثاقهم مع اللّه وقتلهم الأنبياء بغير حق

وايذائهم معاصريهم من الأنبياء كيحيى وزكريا وعمران (عليهم السلام) وغيرهم كثير، هنا الف علامة استفهام يحلها لنا الله سبحانه تعالى بقوله ان عيسى ابن مريم هو ﴿ كلمته القاها الى البتول ﴾ أي أن عيسى (عليه السلام) هو ناطق بلسان الله القديم الازلي ولغته هي اللغة التي كلم الله بها الأنبياء كموسى الكليم ﴿ وكلم الله موسى تكليما ﴾[1] وهذا اللسان لم يفهمه القوم ولهذا لما سمعوا كلام المسيح لم يكن لهم اية ردة فعل تجاه قوله ولم يستطيعوا حفظ ما قاله لهم لأنه وكما يبدو لهم أنه لسان جديد ولغة جديدة وبالتالي فلم يتدبروا او يحاولوا ترجمة قوله وكلامه وقد نستطيع من بين ثنايا ما ذكرناه لكم من شطحات اذهاننا القاصرة ان نستلهم الهدف الحقيقي من ان النبي الذي بشر به عيسى (عليه السلام) والذي ﴿ اسمه احمد ﴾هو نفسه نبي الإسلام محمد (صلى الله عليه وآله) ومن الممكن لنا ان نقارن بعض الروايات التي تذكر مترادفة مع منهجنا البحثي ان ﴿ احمد ﴾ هو اسم نبينا في السماء.. اي بلسان الله اسمه احمد وهذا الاسم الذي ذكره عيسى لقومه كان قبل وفاته﴿أي وفاة عيسى﴾ وهم أيضاً لم يفهموا كلام عيسى (عليه السلام) لهم بهذه البشارة ﴿ **وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ** ﴾[2]، وعوداً على النقاط الثمانية السابقة التي أوردها المسيح وهو في المهد

---

(1)سورة النساء: آية (164).

(2)سورة ال عمران: آية (46).

صـبياً لنتدبر ما فيها من اسرار مخفية، فقوله ﴿عليه السلام﴾ انه عبد الله يؤكد ما ذهبنا اليه في ابحاثنا السـابقة الى ان البشـرية هي مرحلة تكوينية فوق الإنسـانية حيث ان البشـر في حالة الذر قبل خوض مراحل الظلمات هم موحدين مقرين لله بوحدانيته ومعترفين له بعبوديته ولهذا فان اول ما نطق به عيسـى ﴿عليه السلام﴾ هو اقراره بالعبودية ﴿اني عبد الله﴾ وقوله في النقطة الثانية ان الله قد اتاه الكتاب هذا هو قول فصـل لكون عيسـى ﴿عليه السلام﴾ قد قضـى وقتاً كافياَ في عالم الذر قبل الخلق ليتذكر ان الله قد عهد اليه بالكتاب وهذا الكتاب فيه هدى ونور وتفصـيل كل شـيء أي ان عيسى ﴿عليه السلام﴾ لما ولد ﴿بشراً﴾ ولم يمر بمرحلة﴿النسيان﴾ فلم يكن انساناً فهو عالم بكل شيء بفضل هذا الكتاب قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾ (1).

وفـي النقطـة الثالثـة يقـول وجعلنـي نبيـاً، وهـذا دليـل اخـر علـى ان نبوتـه فـي الصـبا والمهـد لـم تكـن وهـو فـي الـرحم وإذا مـا علمنـا ان مرحلـة مـا قبـل حديثـه هـذا وولادتـه لـم تتجـاوز اليـوم او يـومين فـالنبوة لعيسى﴿عليه السلام﴾ لـم تـأتي فـي عـالم الـدنيا انمـا فـي عـالم الـذر ولا يعطـي الله النبوة لبشر الا بعد ان يأخذ عليه ميثاقاً غليظاً ...

(1)سورة طه: آية (115).

قال تعالى: ﴿وإذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم واخذنا منهم ميثاقا غليظا﴾[1].

فهذا الميثاق الغليظ جاء في كلام عيسى ابن مريم (عليه السلام) وهو في المهد، اقولها لمن اشتبه عليه ان عهد الله لعيسى بالنبوة كان استحقاق في الدنيا فالرواية وجحاجيح الإسلام ادام الله بركاتهم قد غابت عنهم بعض شطحات اذهاننا القاصرة عن بلوغ مستواهم العرفاني بالله وتدبر آيات كتابه الكريم وليعذرنا اهل العلم والمعرفة ان أثقلنا عليهم بأفكارنا الدسمة والمعلومات المكثفة التي وعدنا من قبل ان لا تحيد عن منهجنا في الابتعاد عن الرواية والموروث لفهم نصوص القران الكريم..

ولنكمل حيث يقول وجعلني مباركاً اين ماكنت وهذا القول وحده يؤكد لنا ان هذا المسيح كانت تحل البركة واليمن على الأماكن التي يكون متواجداً فيها ولا شك عندي ان من اهم بركات تلك الأزمنة هي كثرة الخيرات والامطار والزرع والتجارة وبهذا يكون الشخص المبارك محبوباً من قبل جميع من حل عليهم وجاورهم ومشى بقربهم ولا اكاد أتصور مدى الفرح والغبطة التي انتابت البلاد بهذه الولادة الميمونة ويكمل قوله (عليه السلام) بان الله قد اوصاه بالصلاة والزكاة مادام حياً وليت شعري عسى ان يعقل القوم بتدبرهم لصلاة هذا الوليد المبارك فهل كانت صلاته قد تعلمها من

(1)سورة الاحزاب: آية (7).

عمران ام من زكريا ام من الله نفسه في عالم الذر؟!! بلى انها صلاة المسيح وقدّاسهم في وقتنا الحالي ولمن يتتبع هذا الدين العجيب في انتشاره وطريقة ممارسة طقوسه من قبل مريديه المسيحيين في كل العالم على اختلاف عاداتهم قد يستطيع الوقوف على تلك الصلاة التي جاء بها عيسى ابن مريم ﴿عليه السلام﴾ وتعلمها من رب السماء والكون نفسه ولا يمكنني ان اتخيل ان عيسى قد يدفع زكاة من أمواله وهو في مهده المبارك ولهذا فأننا دائما ما نذكر ان مفهوم الصلاة وارتباطه بالزكاة في اغلب آيات القرآن الكريم قد يختلف تطبيقه على الواقع العملي مما نفهمه في وقتنا الحالي وليراجع من شاء ان يقع على بعض الحقيقة في ابحاثنا بصدد هذا الموضوع، وقوله ﴿عليه السلام﴾ وبراً بوالدتي يؤكد بل ويدعم نظرية الولادة المباركة بطريقة الاعجاز وكون عيسى ابن مريم لحظة ولادته هو وامه ﴿ايتين﴾ ولست ادري كيف يعقل العلماء والمفسرين ان مريم ﴿اية﴾ وهي حالها حال النساء في طريقة حملها لعيسى ابن مريم فما هذه الآية يا ترى اذا لم تكن اعجازا ربانيا كما تطرقنا له، وحينما قال عيسى ان الله لم يجعله جباراً شقياً فالتجبر والشقاء جعل من الله وبلاء على صاحبه يبتلي الله به من يشاء من عباده وخلقه، قال تعالى :

﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً﴾[1].

---

(1)سورة الاسراء: آية (16).

واخيـراً يخـتم عيسـى كلمـة الله قولـه بالسـلام علـيَّ يـوم ولـدت ويـوم امـوت ويـوم ابعـث حيـاً، فعيسـى (عليه السلام) كمـا اوضـحنا نبيـاً وعالمـاً بكـل شـيء منـذ ولادتـه وبهـذا فهـو يعلـم انـه سـيموت وسـوف يبعث حيا بعد موته قال تعالى:

﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[1].

لاحـظ متوفيـك ولـيس متـوفي نفسـك لأن عيسـى هـو روح الله والـروح مـن امـر الله وهـذه الـروح لـم تمـر بمرحلـة التسـوية وبـث الـنفس بـل بعمليـة المسح والـنفخ فقـط ولهـذا فمـوت عيسـى كـان بطريقـة الوفـاة لـه ولـيس لنفسـه ﴿ كينونـة الـنفس التـي تعطـي الخيريـة ﴾ فلـم يكـن فـي قـاموس عيسـى الفجـور والاعتـراض علـى الله ومخالفـة أوامـره اطلاقـاً بـل الطاعـة المطلقـة لـه كونـه لـم ينسـى عهـوده ومواثيقـه فـي عـالم الـذر وكونـه مولـود فـي الـدنيا قـد اطلـع علـى مـا فـي السـماء فـلا يمكـن الرجـوع والنسـيان كمـا حـدث مـع ادم وهـي ميـزة اتسـم بهـا هـذا المخلوق البشري المتكامل دوناً عن كل انبياء الله ورسله واولياءه .

(1)سورة ال عمران: آية (55).

الفَصْلُ الثَّالِثُ

أصل الخلق ومادة الخلق

مقدمة الفصل الثالث:

إنَّ من اهم الأسباب التي تجعلنا لا نتبع الفكر السائد في تدبر القران الكريم هو التخبط العشوائي في المفاهيم والتي لا تخضع لسياق ونسق يتقبله العقل والمنطق فأي شيء لا يجد له المفسر المدّعي للعلم معنى واضح قد يحمله الى المعجزة والاسطورة والابتعاد عن مفاهيم القران الواضحة، وقد يظن القارئ لمنهجنا البحثي اننا لم نطلع على أمهات التفاسير والمعاجم وطرق النحو والفلسفة في تدبر آيات اللّٰه الواضحات ﴿كتاب فصلت آياته﴾، بل اطمئنكم انني لا اعادي منهج الرواية في قراءتي للتاريخ والمفاهيم القرآنية، بل ابتعدت عنه لاطلاعي الكامل عليه فالمنهج الحداثي افضل في الرؤية القرآنية المعروضة على الأثر الاركيولوجي وفونولوجيا اللغات والكتابات المترجمة من اثار بابل واليمن ومصر النيل والشام سوريا ولبنان وفلسطين وفيلادلفيا الأردن، وان الرواية التي تعضد آيات اللّٰه ومنهجنا البحثي المتبع اقبلها واكحل بها ناظري سلام اللّٰه وصلواته على من رواها كائنا من كان، وقد يعتقد بعض من يقرأ ما نكتبه ان منهجنا في تدبر القران غير علمي وما هو الا فلسفة وعقيدة باطلة، اقول ان طريقة كتابة البحوث العلمية الكاملة بمصادرها والعناية بمصطلحاتها وهيكلها البحثي من عنوان ومحتويات وفرضيات واثباتات

هو منهج جاف لا يستسيغه القارئ الشاب الفتي في قراءة المقالات الحداثوية[1] Modernism ، للمنهج الجديد في تدبر نص آيات القران الكريم...

وقد نعرض حيناً عن ذكر مصطلحات نعتبرها حشواً لا طائل من ذكره او لا يقدح في نتيجة بحوثنا ككلمات ﴿عليه السلام﴾ و ﴿صلى الله عليه وآله﴾ التي تذكر لاحقة للأنبياء فهذه المفردات تعطيليه ومطولة تبعد القارئ عن لب الحقيقة والله سبحانه وتعالى يذكرها حيناً ويهملها حيناً اخر وهي في الأصل تطلق على جميع خلق الله تعالى ولكن الموروث جعلها للأنبياء والاولياء فقط، قال تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[2]

وقد وجدنا كثيراً من المتابعين والناقدين قد يحصل لديهم خلط في المفاهيم وقد يبتعد عن النهج الإسلامي الحنيف ظنا منه اننا بهذا الطرح قد نكون ملحدين من نوع جديد او سفسطائيين[3]

---

(1) الحداثوية: حسب ما جاء في معجم المعاني الجامع هي نزعة تميل الى الاهتمام بكل ما هو عصري وجديد، وطرح كل ما هو قديم.

(2)سورة الأحزاب: آية (43).

(3)سُفِسطَائِيَّةٌ :تيَّارٌ فِكْرِيٌّ يُونَانِيٌّ، نَشَأَ قَبْلَ سُقْرَاطَ فِي القَرْنِ الخَامِسِ قَبْلَ المِيلاَدِ، اِعْتَمَدَ فِي البِدَايَةِ رَفْضَ الْمُعْتَقَدَاتِ الدِّينِيَّةِ، وإبْعَادَهَا عَنْ تَفْسِيرِ الظَّوَاهِرِ الطَّبِيعِيَّةِ، وَتَطَوَّرَ فِيمَا بَعْد إِلَى الأَخْذ بِالفَلْسَفَةِ المِثَالِيَّةِ وَنَهْجِ مَنْطِقِ الجَدَلِ وَالخِدَاعِ وَالْمُغَالَطة، والسفسطة تُعنى بالجدل والتّلاعب بالألفاظ بقصد الإقناع.

ربما، وقد يكون هذا الاتهام نتيجة طبيعية ورد فعل عكسي بسبب كثرة المعلومات التي يتغذى عليها يومياً من فُتاتٍ من يُسَمّونَ أنفُسهم كتّاب او باحثين وهم يفتقرون لأدنى مفاهيم الطرح السوي والاخلاق في المخاطبة والتي لا يراعونها في بحوثهم المفترات على القرآن ولا يحتاطون امام أي جانب نفسي او تربوي قد يترتب من وراءه اثر في نفس القارئ والمطلع على ابحاثهم، بل قد يتجرؤون بالتفنيد المباشر لرسل السماء والطعن بالكتاب الكريم كتاب الله القران الكريم والذي حسب ظني انه لا يحتاج الى من يدافع عنه على الرغم من انه قد تعرض لهجمات كثيرة ولكن الله تكفل بحفظه لنا، وما خفي على الناس من معاني قد نوفق بعون الله وهدايته ان نُبيّنه لهم، ونحن نحاول جهد امكاننا توضيح كل كلمة في متن آيات الله وربما هناك من لم يقتنع بما نقول ونطرح وهناك من هو متردد في تقبل الفكرة، نعم لا اخفيكم قولا انني لا افتري ان ما نذكره من نتائج هو يحمل وجها من الصحة وقد يكون خطأ غير متعمد مقتصراً على حدود فهمنا الزمني للأحداث القرآنية، ويعتبر هذا من الأمور الطبيعية لمن اعتاد ان يرتاد أروقة الجامعات وقراءة البحوث العلمية المنهجية والتي كما قلت لكم ابتعدنا عن اسلوبها خوفا من الملل للمتابع الكريم على الرغم من كتابتي لعدد من الاطروحات العلمية ومعرفتي بأن المنهج العلمي لا يقبل القسمة على اثنين ونهايته هي نتيجة افحام الباحث لجنة

المناقشة وتقبلهم لفحوى هذه الاطروحة بما لا يدع المجال للشك في صحتها.

بعد هذه المقدمة التي أجبرت على كتابتها بسبب مراجعتي اليومية لما ينشر على صفحات التواصل الاجتماعي وطريقة التفاعل اليومي والردود والشد والجذب بين الباحث وطالب الحقيقة والناقد.. سأحاول ان اسير بخطى واثقة بطيئة في تكملة ما بدأت تدبره في الفصل السابق لهذا المبحث.

المخلوقات المكلفة:

قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾[1]، تطرقنا في الفصل السابق الى شرح مفردة المسيح بطرحٍ جديد ، وسنحاول أن نكمل تفصيل باقي المفردات المتعلقة بطريقة خلق المسيح عيسى ابن مريم(عليه السلام) والتي تختلف برأينا عن طريقة خلق جميع المخلوقات الأخرى، وورد سؤال من احد الاخوة من على مواقع التواصل الاجتماعي حينما كان هذا الفصل منشورا كحلقة تحت أسم «ديموقراطية عيسى والحواريين» وقبل ان يصبح مبحثاً متكاملاً موسوما بـ«المائدة المستديرة»، بما معناه انه لا يستسيغ فكرة النفخ في رحم الطاهرة الصديقة مريم العذراء

(1) سورة المؤمنون: آية (101).

﴿عليها السلام﴾ مــن الناحيــة الماديــة بــل يــرجح هــذا القــول الــى الفهــم المعنـوي لدلالـة الكلمـة، وبصـراحة لا اخفـيكم القـول انـني ممـن يعمـل بالمــداراة والتوريــة فــي طــرح المفــاهيم الجديــدة والدســمة بالمعــاني والمــدلولات، مــن منطلــق ايمــاني بفاعليــة طــرح المعلومــة الجديــدة بالتــدريج حتــى وان لــم يــتم التصــريح عــن نتائجهــا، وانــا اؤمــن ان الكلمـة فـي اللغـة العربيـة لا يمكـن ان تعـوض معناهـا حـين نطقهـا علـى مسامع احـدهم أي كلمـة أخـرى فـي نفـس اللغـة، فمـثلا لـو تغـزل احـد العشـاق بمحبوبتـه فـي عيـد الحـب او عيـد الربيـع وقـال لهـا أنـتِ حبيبتــي وانــتِ حيــاتي، فهــذا العاشــق الولهــان قــد شــغفته هــذه الجميلــة بســواد عينيهــا حبــاً وعشــقاً ولكــن لا يمكــن بــأي ســبيل ان تفهــم تلــك الجميلــة المحبوبــة مفردتــي الحــب والحيــاة علــى انهمــا كلمـة واحـدة وتأثيرهمـا علـى ارتفـاع مسـتوى الادرينـالين[1] فـي دمهـا يكــون مختلفــاً مــن حيــث خفــض وارتفــاع مســتوى التــوتر العصــبي وضـخ الـدم فـي الـوجنتين... وربمـا يقـول احـدهم ان مـا تقولـه هـراء ولا نسـتطعم لغتـك هـذه.. وانــا اعــذر هــؤلاء بســبب بعــدهم عــن طــرق العشــق ومســالكه التــي خطهــا الله كغرائــز فــي جســد الانســان..

(1) الأدرينالين والنورأدرينالين: وهو هرمون السعادة الذي يسبب عدداً من الأعراض عند زيادته بسبب الوقوع في الحب، فهو يسبب تورد الوجه وتعرق اليدين وتسارع ضربات القلب.

وعَوْداً عَلَى بَدْءٍ فان مفردة النفخ التي أوردها الله في آلية خلق عيسى ابن مريم ﴿عليه السلام﴾،ما هي الا طريقة لرفع درجة حرارة الجسم لمستوى التجانس مع المحيط البيئي وكما قال تعالى:

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾(١)

في إشارة لكون عيسى ﴿عليه السلام﴾ لم ينسب لابٍ مطلقاً ﴿فيومئذ لا انساب بينهم﴾ وهذا التعبير جاء بعد مفردة ﴿ فاذا نفخ في الصور﴾ واي إشارة لطيفة من الله في القرآن بعد هذا لفهم كيفية خلق روح الله عيسى ﴿عليه السلام﴾ومن هنا سيكون منطلق بحثنا في هذا الفصل لتبيان مفردتي ﴿كلمة الله﴾ و﴿روح الله﴾، وسأستغل هذه الفرصة لاطرح كلمة جديدة ومصطلح جديد لم يطرق على اسماعكم من قبل، وهو يمثل خلقاً مختلفاً عما نعرفه من مخلوقات واعية وهي وان تشابه بنائها اللغوي مع مفردات أخرى ولكنها حسب رؤيتنا تمثل فهماً جديداً وسنقسم الخلق الواعي الى تقسيم جديد ..

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۚ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا (48) لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا

---

(2)سورة المؤمنون: آية (101).

وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا (49) وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ (1)

وهنا وردت مفردة الأناسي والتي هي غير كلمة الناس من ناحية البناء والتي سنضعها تحت المجهر على ضوء تقسيم المخلوقات المكلفة التالي:

1- الجن ﴿الملائكة + الابالسة ومنهم ابليس + المردة والعفاريت﴾ .

❖ ملاحظة/ وضعت الملائكة ضمن مصطلح الجن لعدم وجود نص صريح في القرآن على مادة خلقهم فافترضت انهم خلق صالح من جنس الجن وسمة الجن في هذا الخلق هي صفة الشر، كما أن سمة الملائكة في هذا الخلق هي صفة الخير.

2- الانس ﴿البشر + الانسان + الأناسي﴾.

❖ ملاحظة / مصطلح الشياطين يشمل المخلوقين الاثنين ﴿شياطين الجن والانس﴾ فهي صفة سلبية تلازم الاثنين.

3- الملوك ﴿جبرائيل وميكائيل وملك الموت وملك الرجعة ومالك خازن النار ﴾ وهم ليسوا ملائكة بل ملوك.

4- الروح وتنقسم الى ﴿الروح الكلية والروح الأمين والروح القدس ﴾.

ورب قائل يسأل: ماذا ينفعنا ان نبحث في هذه المفردات وما علاقة ما تقول أصلاً بموضوع المائدة وعيسى والحواريين؟!! تساؤل مشروع اخي

---

(1) سورة الفرقان: آية (48-50).

القارئ واختي القارئة، فأن معرفة وتفصـيل هذه المفردات في صـميم البحث والموضـوع، ولكي نفهم القصـص القرآنية جيداً يجب ان نبذل جهدنا للإحاطة بكافة المصطلحات المتعلقة بشخصياته.



مادة الخلق للمخلوقات المكلفة:

ان بحثنا عن مادة خلق عيسـى ابن مريم ﴿عليه السلام﴾ وكيفية خلقه قد فتح علينا باباً جديداً من الأبحاث والمفردات أحدها مرتبط بالأخر ارتباطاً وثيقاً فأدم ﴿عليه السلام﴾ البشر الأول تم خلقه بطريقة كن فيكون وعيسى كذلك ولكن لنتوقف قليلاً ونتابع خلق ادم وزوجه:

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (1)

﴿خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها﴾، فاذا كان خلق ادم من تراب جسداً ونفساً وبث الله فيه من روحه فأصبح بشراً كاملاً واعياً فمن أي مادة تم خلق زوجه حواء يا ترى؟!! قد نتبع الفكر السائد ونقول إنه التراب أيضا ولكنني اثناء تدبري لآيات خلق الأزواج ﴿النساء﴾ فلم أجد ولا اية كريمة تذكر مادة خلق زوج ادم أو ازواج الناس من التراب، بل على العكس نجد ان مادة خلق النساء صريحة جداً الا وهي ﴿النفس﴾!!

لنتابع من جديد ونتدبر بعقل متفتح وواعي:

هو الذي خلقكم ﴿من نفس واحدة﴾ وخلق ﴿منها﴾ أي من هذه النفس وليس من التراب ﴿زوجها﴾ أي المرأة، والتي أفترى عليها الموروث بقضية الخلق من ضلع اعوج، ولا يعلم مرددي هذه الأحاديث انهم من اتباع الموروث الاعوج أعاذنا الله منه ومن دجاليه ومدلسيه.

---

(1)سورة النساء: آية (1).

الأدلة القرآنية على مادة خلق الانثى:

قال تعالى:﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1]

إن تدبر النص السابق ومقارنته مع نصوص أخرى وردت في القرآن الكريم لنفس الموضوع يقودنا الى الاستنتاج ان الناس هي مفردة دالة على الذكور البالغين من الرجال ، ومفردة الأناسي هي مفردة دالة على الرجال والنساء على حد سواء ، كما ان الرجال كانوا في الأصل بشراً وأودعوا في صلب ادم كذراري وحين مرورهم بمرحلة النطفة والعلقة والمضغة المخلقة والغير مخلقة والحمل تسعة أشهر في الارحام أصبحوا من الناس الذين لا يتذكرون الميثاق والعهد لمرورهم بظلمات مرحلة الخلق والاجنة، اما البشر كحالة ادم وعيسى فهم لم يمروا بمرحلة ظلمات الخلق المشيمية والرحم، فهم لم ينسوا ما فطرهم الله عليه وعلى الأقل لدينا دليل من القرآن في حالة عيسى ﴿عليه السلام﴾ فحين ولادته تكلم مباشرة بما علمه الله وهو بشر وليس من الناس، ولم يمر بمرحلة الذر ولم يكن في صلب ادم بل لم يحضر موقف الشهادة والعهد ألذي وقف فيه جميع الرجال، وبهذا نفهم ونعي ان الناس الرجال مروا اجمعهم بمرحلة البشر وانتقلوا الى مرحلة الناس إلا النساء فهن لم يمرنَّ بحالة البشر اطلاقا وتم خلقهم من مادة ﴿النفس انفس الرجال﴾ فهم اناسي ولسن بشرا وعليهن السعي للوصول الى

---

(1)سورة الروم: آية (21).

﴿التكامل البشـري الذي خلق عليه ادم وعيسـى﴾، واعتقد ان عليكم التعود على قراءة مثل هـذه المفردات في منظومـة الخلـق، لأنني ســأتطرق لهـا كثيراً حتى تصبح مفهوماً دارجاً عند الجميع ...

ما هو النفخ؟!

ولنكمل بحثنا حول النفخ الذي حصـل في قضـية خلق عيسـى ﴿عليه السلام﴾ والذي اعترض عليه صاحبنا المومأ اليه في بداية هذا الفصل، ولنتدبر الآية الكريمة التالية:

قال تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَـنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾[1]

ومن مفردة احصــنت فرجها نســتطيع معرفة ان مريم ﴿عليها السلام﴾ كانت محصنة وقد احصنت فرجها ولم تحفظه، والمحصنة هي التي لم يلمسها رجل بفعل مجامعة الأزواج حتى زوجها، والمرأة المتزوجة حافظة لفرجها عن الغرباء وغير حافظة له عن زوجها وليست محصنة لفرجها بدليل الآية الكريمة التالية:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (5) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾[2].

فأداة الاستثناء ﴿إلا﴾ تدل على ان الحفظ يكون من الجميع الا من الأزواج لمشروعية المس هنا ومريم العذراء لم يمسسها بشر.

(1)سورة التحريم: آية (12).

(2)سورة المؤمنون: آية (5).

قال تعالى: ﴿ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾(1)، ويجب ان ننوه ان رسول الرب أيضاً لم يمسسها بل نفخ فيها او نفخ في فرجها دون مساس او طمث بدليل قولها لم يمسسني بشر ورسول الرب روح الله تمثل لها بشراً سوياً، فالنفخ ليس جماع او دخول كما يجامع الرجل زوجه اطلاقاً وهذا ما يجعلنا نفهم ان مريم (عليها السلام) على الرغم من كونها انجبت عيسى (عليه السلام) الا انها بقيت محتفظة بلقب ﴿ العذراء ﴾ التي لم يمسسها بشر اطلاقاً لأنها احصنت فرجها حتى من رسول الرب روح الله المرسل اليها ولكنها لم تحفظه لان هذا الروح قد نفخ فيه، كل هذا الكلام يقودنا الى الاستنتاج الى ان عيسى (عليه السلام) لم يمر بمرحلة الخلق في ظلمات الارحام من خلال التحول من صلب رجل كنطفة ثم الى رحم المرأة في علقة ومضغة مخلقة وغير مخلقة وبالتالي فهذه المراحل لم يمر بها كلها انما كان خلقاً بطريقة التراب الممسوح بيد الله وجبروته وقام ملاك الرب روح الله بنفخ هذا التراب المقدس في فرج مريم العذراء (عليها السلام) ثم قال الله له كن فيكون خلقاً كاملاً فأجاءها المخاض مباشرةً دون حمل فالحمل هو تلقيح البويضة من نطفة رجل وهذا مما لم يذكر او أصلاً لم يحصل في قضية خلق عيسى (عليه السلام) مع مريم العذراء (عليها السلام)، نعم مريم حملت عيسى مباشرة بعد النفخ وقول الله له كن فيكون.

---

(1) سورة مريم: آية (20).

قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (16) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (17) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (18) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (19) قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (20) قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا (21) فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (22) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا﴾[1]

ورُبَّ قائل يقول، ما هو النفخ الذي صدعت رؤوسنا به وماذا يعني نفخ التراب او النفخ في الفرج؟! قد اعطيكم الجواب مباشرة ولكنني سأعتمد الطرح التدريجي في منهج التدبر.

قال تعالى : ﴿ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (94) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (95) آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ ۖ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا ۖ حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾[2]

(1)سورة مريم: آية (16-23).

(2)سورة الكهف: آية (94-96).

فالنفخ جاء في محكم الكتاب في قصة ذي القرنين بمعنى رفع درجة حرارة الحديد حتى يصل الى مرحلة الصهارة ﴿جعله ناراً﴾ أي جعل الحديد ناراً بواسطة النفخ كي يسهل تشكيله والبناء او اعمال الانشاء به وتطويعه وصبه في قوالب، وفي قصة البعث يوم النشور جاء النفخ في الصور وهو أقرب تصوراً لفهم معنى النفخ فنحن نعتقد ان النفخ في الصور يحدث بعده البعث، أي بعث الحياة في جميع المخلوقين من الناس في الأرض بعد موتهم!!

قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أخرى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾(١)

فالنفخة الأولى صعقت من في السماوات والأرض الا من شاء الله.

والنفخة الثانية اعادت الحياة للجميع.

قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾(٢)

فها هم ساكني القبور ينسلون من الاجداث بنفخة الصور أيضاً وهذا المفهوم يقودنا الى الاستنتاج الى ان النفخ الذي حصل لمريم هو من قبيل بث الحياة في التراب المودع في رحمها من قبل ملاك الله أي رفع حرارته لدرجة الحياة وفي حالة البشر إيصال الحرارة لدرجة ﴿37°﴾ مئوية وهي درجة حرارة الانسان في الحالة

(1)سورة الزمر : آية (68).

(2)سورة يس: آية (51).

الطبيعية الصحية اللازمة للاستمرار بالحياة... ومن هنا أيضاً نستطيع فهم ما هي الروح والتي تكلمنا عن مادتها ومفهومها في الفصول السابقة والتي تبلورت هنا كطاقة محافظة على حرارة الجسم الضرورية للحياة، ﴿ونفخنا فيه من روحنا﴾.

وسنتعرف على سر الانتقال والتبدل المعنوي من البشر الى الانسان من قضية خلق ادم والتي هي المعيار الذي تتبعناه في قضية خلق عيسى ابن مريم (عليه السلام).

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ (١)

آدم أبو البشرية:

ان ادم أبو البشرية (عليه السلام) الخلق الأول العاقل من جنس البشر الموكل بخلافة الأرض واستصلاحها قد خرج من طور البشرية لِعِلَّة قد نكشف عنها من تتبع السياق التالي لآيات الله:

﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ﴾(٢)، ان هذا النهي عن الاكل من هذه الشجرة لم يكن لأنَّ الشجرة ملعونة مثلاً او غير صالحة للأكل، بل ان هذه الشجرة هي عِلَّة التحول والانتقال من

(1) سورة الحجر: آية (28).

(2) سورة البقرة: آية (35).

الطور البشري الى الطور الانسي، فالشيطان لم يكن ليكذب على ادم وزوجه في قضية الشجرة اطلاقاً... واستنتاجنا هذا نابع من السؤال التالي:

❖ هل يحتاج فعل ﴿الاغواء﴾إلى الكذب ام إلى الصدق؟!

ولكي نثبت وجهة نظرنا سوف نأخذ هذا الفعل من آيات اخر ونعرف ممن يصدر فعل الاغواء وهل الشيطان فقط هو من يغوي؟!!

قال تعالى:﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [1]، ان صدور فعل الغواية من الله سبحانه وتعالى ينفي عن هذا الفعل اي صفة سلبية وبالتالي نستنتج ان الغواية من الله صدق واغواء الشيطان لآدم وزوجه للأكل من الشجرة لا يحتمل منه الكذب في مقاسمته اياهما النصح لشيئين:

1-ان تكونا ملكين.

2-ان تكونا من الخالدين.

فإن فعل المعصية الصادر من ادم وزوجه لأمر الله الواضح والصريح جاء بسبب القَسَم من الشيطان، وبسبب الفضول البشري للمعرفة، والذي يتميز به هذا المخلوق الجديد عهداً بالحياة والطبيعة كجزء من منظومة الكون واطواره.

---

(1)سورة الاعراف: آية (16).

قـال تعـالى:﴿ فَـدَلَّاهُمَا بِغُـرُورٍ ۚ فَلَمَّـا ذَاقَـا الشَّـجَرَةَ بَـدَتْ لَهُمَـا سَـوْآتُهُمَا وَطَفِقَـا يَخْصِـفَانِ عَلَيْهِمَـا مِـن وَرَقِ الْجَنَّـةِ ۖ وَنَادَاهُمَـا رَبُّهُمَـا أَلَـمْ أَنْهَكُمَـا عَـن تِلْكُمَـا الشَّـجَرَةِ وَأَقُـل لَّكُمَـا إِنَّ الشَّـيْطَانَ لَكُمَـا عَـدُوٌّ مُّبِـينٌ﴾[١]، وان نتيجـة المعصـية تترتـب عليهـا عـدة أمـور والسـبب هـو الاكل من الشجرة.

الأمر الأول: بدت لهما سوءاتهما.

الأمر الثاني: طفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة.

قبـل ان نـدخل فـي مفـاهيم جديـدة يجـب ان نعـرف مـا الـذي حصـل فعـلاً لآدم بطريقـة مـوجزة لنبـين علاقـة هـذه الحادثـة بمبحثنـا.. فحينمـا اكـل ادم وزوجـه مـن الشـجرة بـدت لهمـا سـوءاتهما أي اجسـامهما والتـي كانـت نورانيـة لا يرونهـا، وإن علَّـة هـذا التحـول مـن النـور الـى المـادة المرئيـة هـي الشـجرة والتـي اصـطبغ بهـا جسـد آدم وزوجـه فتحـولا مـن طـور البشـرية الـى طـور الانـس لأنـه نسـي عهـد الله اليه وان استنتاجنا هذا نابع من قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾[٢]

(1)سورة الاعراف: آية (22).
(2)سورة طه: آية (115).

فحوى مائدة السماء:

وهذا هو بالضبط ما حصل مع مريم ﴿عليها السلام﴾ حينما حصلت لديها الولادة المباركة ولمن لم يكن متابعاً معنا الحدث منذ الفصول الأولى سنستعرض القصة كما نراها من البداية:

ان مريم ﴿عليها السلام﴾ هي نذر تقبلها الله بقبولٍ حسن وانبتها نباتاً حسناً وولِدَتْ بشراً نقياً خالصاً، لا تأكل من طعام بني ادم ولا تمشي في الأسواق مكانها في محرابها بين قومها تصلي وتناجي ربها وهي ليست من ﴿الأناسي﴾ ولم تكن هذه هي المرة الأولى التي ينزل فيها الطعام من السماء على أحد من بني إسرائيل، فها هم بنو إسرائيل قد تنعموا بالمن والسلوى من قبل.

قال تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (١).

وبهذا فأنها لم تكن تأكل الا ما يأتيها من السماء وهذا للأعداد الفسيولوجي لحمل عيسى روح الله وكلمته، وحينما جاءها المخاض امرها الله ان تهز بجذع النخلة لتأكل من طعام اهل الأرض وبهذا انتقلت لمرحلة ﴿الأناسي﴾ كما حصل مع ادم حينما اكل من الشجرة فاصبح من الانس اما عيسى ﴿عليه السلام﴾ فكان اكله وطعامه كله من السماء وهذا هو السبب الذي من

(1)سورة البقرة: آية (57).

اجله طلب الحواريون ان ينزل الله عليهم مائدة من السماء على الرغم من علمهم ان مريم وبني إسرائيل من قبلهم كانوا يأكلون من طعام السماء، أي انها ليست سابقة كي يطلبوها لأنفسهم فتعاليم بني إسرائيل وكتبهم وتاريخهم ذكرت هذه الحكاية من قبل، ولهذا فنحن نظن ان الحواريين ابدوا استغرابهم من عدم اكل عيسى ابن مريم من طعامهم، وهكذا كان، انزل الله عليهم مائدة من السماء لتكون لهم عيداً لأولهم واخرهم، ورب سائل عن فحوى هذه المائدة؟! فقد يهتدي اليها الناس من خلال تتبع أعياد المسيح مثل عيد الفصح واعياد الميلاد وتقديسهم للديك الرومي المعروف بهذا الاسم وعدة أسماء أخرى مثل الحبشي، وقد يضحك البعض منا في هذه المحاولة الخجولة لتبيان فحوى المائدة التي نزلت على الحواريين، والتي كانت طعام عيسى ابن مريم اليومي لأنه بشر ولا يأكل من طعام الناس الأرضي، ولكننا تتبعنا هذه الأعياد ونوعية الطعام ووجدنا ان المسيحيين في العالم انفسهم قد ضيعوا سبب طبخهم لهذا النوع من الطعام في اعيادهم وقد نستجمع ما وصلنا اليه من خلال سبب الاختلاف في تسمية هذا الديك والذي يمكن تمييزه عن نوع الطيور التي ذكرها الله في كتابه الكريم بقوله تعالى:

﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ (١)

(1)سورة الانعام: آية (38).

اذن الطائر المسمى بالديك الرومي أو الحبشي ليس من نوع الطيور التي تطير بجناحيها ولهذا فهو من الطيور التي خلقت لينتفع بها الانسان، أي ليست أمم امثالنا ولا هي مكلفة أنما مسخرة ومسيرة لمنفعة البشر، وانا اعتقد حسب منطوق هذه الآية المبينة والواضحة ان الطيور التي تطير بجناحيها هي أمم امثالنا ولا تؤكل، وكل ما لا يطير بجناحيه هو مخلوق للأكل والطعام على شاكلة الديك الرومي والذي اختلف كل الاقوام في تسميته بل قد نسبه كل قوم الى بلاد أخرى لغياب جنسيته لديهم وهو عند الإنكليز يسمى﴿تركي﴾ وعند الاتراك يسمى ﴿الهندي﴾ ونحن العرب نسميه حبشي﴿اثيوبيا حاليا﴾ وهم يدينون بالنصرانية وقد يطلق عليه العرب أحيانا ﴿رومي﴾ نسبة الى روما والهنود يسمونه ﴿الديك البرتغالي﴾ وفقط في لغة التاميل[(١)]﴿Tamil﴾ يسمى ﴿Vaan-Kozhi﴾ أي ديك السماء وتعني:﴿Sky-Chicken﴾،وقد يسموه﴿طائر السماء ﴾ و﴿مَنَّ السماء﴾ والتي يطلقها العراقيين على نوع من أنواع الحلوى ذات اللون الأبيض وتشبه البيض في شكلها من التراث الشعبي العراقي، وقد

---

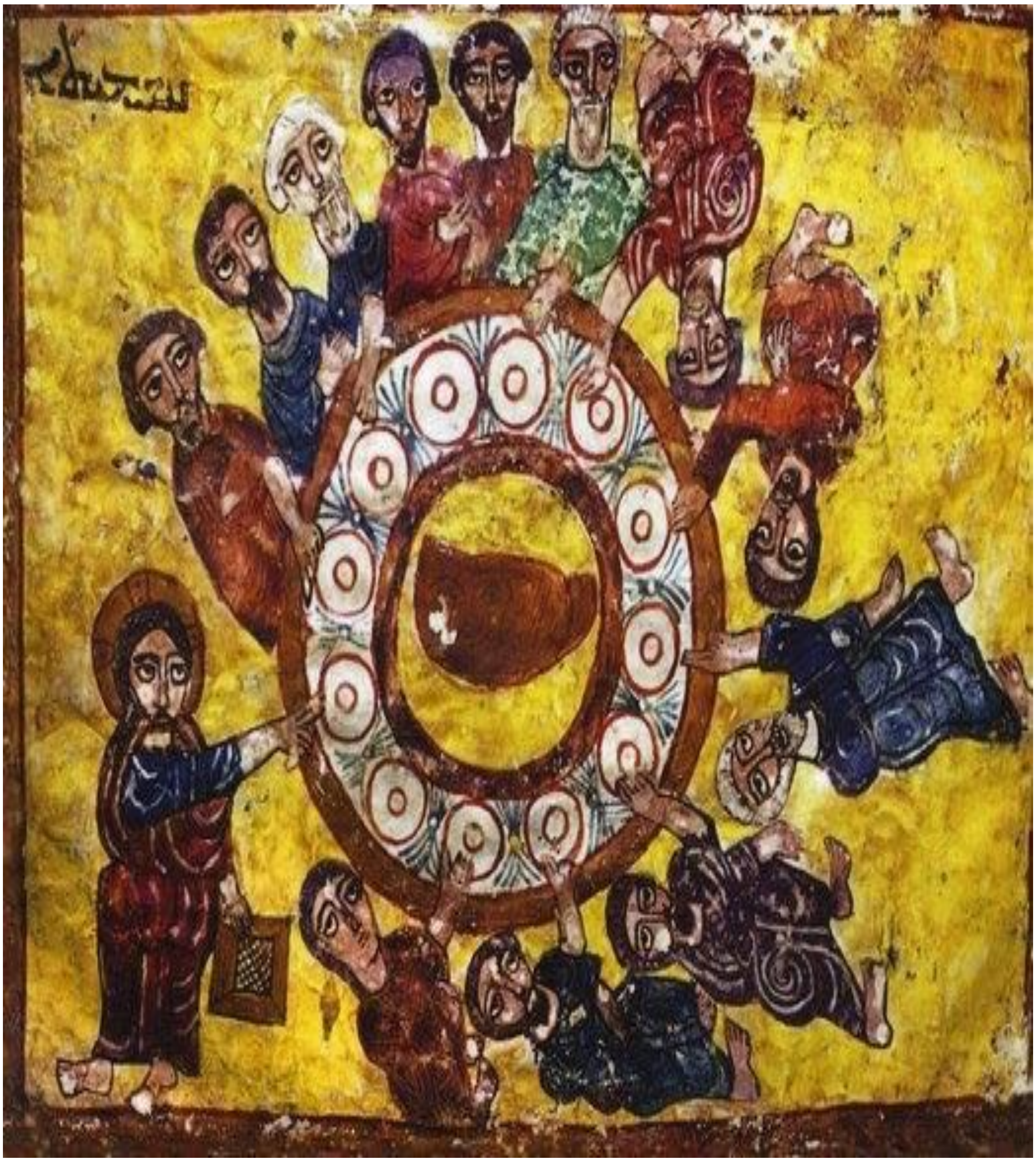
(1) الموقع الرسمي للدكتور رشيد الجراح: متخصص في علم اللغات، واستاذ في جامعة اليرموك الأردنية.

ذهب بعض الباحثون الآثاريون الى ان مفردتي المن والسلوى هي كلمات سومرية تدل على الكيل ووحدات قياس الوزن وقد يعذرنا هؤلاء الباحثين في طرحنا لأننا نعتقد انه حتى وان تم فك شفرة الكتابة المسمارية فانه من الناحية الفونولوجية لا يمكن التعرف على طريقة لفظ الكلمة في ذلك العهد صوتياً، وقد يتشابه اللفظ لمفردتي المن والسلوى مع مفردات أخرى ولكن المعنى المطابق لنص القرآن الكريم والذي هو المعيار في منهجنا البحثي انهما مفردتي لطعام واحد فالمَنُّ من السلوى والسلوى مِنَ المَنِّ، قال تعالى:

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا موسى لَن نَّصْبِرَ على طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أدنى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۚ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ۗ ذلك بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ ذلك بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (١)

(1) سورة البقرة: آية (61).

اذن نستنتج من هذه الآية الكريمة أن المن والسلوى هو فحوى مائدة الحواريون وهو طعام مريم وعيسى من السماء وهو طائر السماء وبيض طائر السماء أي انهما طعام واحد ومفردتين اثنين.



الصورة من الاثار المكتشفة حديثا تمثل مائدة عيسى والحواريين والطعام الواحد

الفصل الرابع

منهجية التدبر في قصص الانبياء

أسباب مقاطعة الموروث:

كنت قد وعدتكم في الفصـــول الســـابقة ان نتطرق لمفهوم جديد يخص المسيح عيسى ابن مريم ﴿عليه السلام﴾ الا وهو كونه موصوفا بـ ﴿كلمة الله﴾ ورفع الاشتباه الحاصل بكون يحيى ﴿عليه السلام﴾ هو أيضاً يتصف بهذه الصفة، ومن منطلق ايماننا بان كل كلمة في القران الكريم لها معنى يرتبط بموقعها في الآية الكريمة زمانياً ومكانياً ،وايماننا أيضـــا بانه من الممكن تحصـــيل المعنى اللغوي لهذه الكلمة نفســـها من خلال متابعة أماكن ورودها في آيات اخر في سور اخر، وهذا من فضل الله ومنه على عباده هو إمكانية تدبر آيات الله التامات المفصـــلات، ومن منطلق اعتقادي وايماني بأن القرآن فيه تبيان لكل شـــيء وتفصـــيل الذكر الحكيم وان هذا التبيان والتفصيل ليس حكراً على طائفة معينة وشريحة معينة من المجتمع في زمن معين، بل يصلح لكل زمان ومكان وممكن تدبره وفهم نصوصه دون الرجوع الى روايات جافة في شرحها للمتن والمعنى ويستخدمها المفسر لجعل اجتهاده في النص ذو طابع مقبول وشرعي، في حين لو قرأت

التفاسير كلها لوجدت إضافات على كتاب الله لا حصر لها من مؤلفي هذه التفاسير بصدد تأويله، ولست أدري من اين جاءت هذه المصطلحات او كيف تم إقرارها وتثبيتها بجانب نصوص الذكر الحكيم .

فمثلاً لو سألت أحد الناس المتخصصين في تفسير القرآن ويعتمد في تفسيره على كتب التفاسير الدارجة المشهورة مثل السيوطي وابن كثير الدمشقي وتفسير الميزان والبيان وغيرها، لو طرحنا على هذا الشاب الجحجيح ما هو معنى الطوفان؟!! فسيجيبك بكل سعادة عن كل ما ورد في كتب الجغرافيا المنهجية وما شاهده على قنوات ناشيونال أبو ظبي حول الفيضانات والاعاصير والامطار والرياح وغرق الأراضي بمياه فيضان الأنهر ولكنه لم ينتبه انه لم يفسر لك مفردة ﴿الطوفان﴾، انما كان حديثه حول مفردة ﴿ الفيضان﴾، وشتان ما بين الفيضان والطوفان بلسان القرآن الكريم.

هل ولد عيسى صبياً أم طفلاً؟!

ونبدأ هذا الفصل بضرب مثال من الواقع الاجتماعي اليومي، فحينما يتزوج شاب من شابة بعد مدة تشعر هذه الشابة بتعابير صحية ممكن من خلالها معرفة انها حامل بطفلها الأول، وبكل مقاييس اللغة وتعابيرها

سـواء العربية منها ام الاعجمية لا يمكن بحال ان يعبر عن هذا الطفل بأنه شـاب او غلام او صـبي، وما يهمنا من هذا الكلام هو ان البعض قد يبدي تعجبه من ورود كلمة صـبياً في القرآن كوصـف لعيسـى أبن مريم (عليهما السلام) حينما ولد، ولا يتعجب من وصف زكريا ليحيى (عليهما السلام) بعد ان بشر بولادته مباشرة بكلمة غلام!! وهذا الكلام أو الرأي قد يتعرض صاحبه الى نقد لاذع ان هو طرحه على الرأي العام، ولكنني اظن أنى أسـتطيع تقديم بعض الأدلة على هذه الافتراءات.

قال تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[1].

حينما دخل زكريا على مريم وهي في المحراب جاء لفظ ﴿هنالك﴾ في النص التالي إشارة للمكان الذي دعا فيه زكريا ربه.

قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾[2]

(1)سورة آل عمران: آية (37).
(2)سورة آل عمران: آية (38).

لاحظ عزيزي المتتبع للنص جيداً أن زكريا هو من طلب الذرية الطيبة فكيف يعجب من بشارة الملائكة له بيحيى ؟!!فهل جاء التعجب من استجابة الدعاء ام من شيء آخر؟!! لنتابع:

قال تعالى: ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾[1]

النداء جاء لزكريا﴿عليه السلام﴾ في محراب مريم﴿عليها السلام﴾الذي كان مهبطاً للملائكة بصورة دائمة نتيجة لاصطفاء مريم، وكنتيجة متحصلة لدى زكريا أن هذا المحراب لا يرد فيه طلب ودعاء خالصاً لله، وما يهمنا من الموضوع هو البشارة بيحيى﴿عليه السلام﴾ لم يأتي فيها تصريح عنه بحاله﴿طفلاً او غلاماً او صبياً او شاباً﴾ لأنه من المنطقي أن يكون هذا المبشر به هو طفلٌ في رحم أمه ولا يستحب التعريف به بهذه الصفات من الملائكة فجاء نعتهم له بسيداً ونبياً وحصوراً ومصدقاً بكلمة من الله، وقولهم ﴿كلمة من الله﴾ يعني عيسى ﴿عليه السلام﴾ لأن عيسى كلمة الله، ولكون موضوع يحيى قبل أن يعلم زكريا بأن مريم ستلد عيسى فقال الله عنه ﴿مصدقا بكلمة منه﴾ ولم يقل مصدقا ﴿ بكلمة الله﴾!! وهذا هو دور يحيى في نصرة رسالة عيسى لأن يحيى من بني اسرائيل وعيسى ليس منهم فهو لا اب له... وليس من ذرية أحد منهم.

(1)سورة آل عمران: آية (39).

دعاء زكريا والبشارة بيحيى:

ولكن كان رد زكريا ﴿عليه السلام﴾ المثير للاستغراب والذي عجزت عنه قرائح أهل الدراية والرواية ادام الله بركاتهم على الأمة هو ما جاء في قوله تعالى:

﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾(1)

مصدقاً بكلمة من الله وكلمة من الله يقصد به عيسى ﴿عليه السلام﴾!!

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾(2)

لنفصل هذا النص على نقاط كي يسهل تدبره:

1. أنى يكون لي غلام.
2. قد بلغني الكبر.
3. وامرأتي عاقر.

عجيب أمر زكريا!!! لقد طلب الذرية توا وها هو يعطي ذرائع قد يعتقد القارئ لها لأول وهلة أنها اسباب فسيولوجية لعدم الإنجاب، ولكن المتدبر للنص جيدا يستطيع تمييز هذه الذرائع بسهولة:

---

(1) سورة آل عمران: آية (39).

(2) سورة آل عمران: آية (40).

أولا: استغراب زكريا﴿عليه السلام﴾ كان حول البشارة بيحيى كونه غلام وليس طفلاً، وهذا يفتح لنا بابا لنطرح عدة أسئلة:

1- من اين فهم زكريا أن البشارة بيحيى تعني كونه غلام وليس طفلاً رضيعاً او طفلاً في رحم أمه وأين كانت امه قبل البشارة؟!!

2- ما معنى كلمة غلام ومن اين استنبطها زكريا؟!!

وسنحاول تدبر معنى كلمة غلام حسب ما أوردته معاجم اللغة العربية [1]:

غُلَام (اسم):

غُلَام: جمع أغلمة

غُلَام (اسم):

الجمع: أغْلِمَة وغِلمان وغِلْمة

الغُلامُ: الطارّ الشارِب

الغُلامُ: صبيٌّ حين يولد إلى أن يَشبّ أو حين يقارب سنَّ البلوغ، ويطلق على الرَّجُل مجازًا

غُلامٌ مُرَاهق: مُقَارِب للحُلُم

هذا ما وجدناه في المعجم من معاني لكلمة غلام وهو مذكور ايضاً في الشعر العربي القديم والحديث بهذه الصفات لنتابع معاجم اخرى في معنى كلمة غلام.

---

(1)معاجم اللغة العربية أهمها المعجم الوسيط ومعجم عربي عامة ومعجم مصطلحات فقهية والمعجم الجامع.

المعجم: عربي عامة

غُلام:

غُلام

جمع أغْلِمَة وغِلمان وغِلْمة

صبيٌّ حين يولد إلى أن يَشِبّ أو حين يقارب سنَّ البلوغ، ويطلق على الرَّجُل مجازًا ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾[١]. - ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ﴾[٢].

لاحظ عزيزي القارئ الاستدلال بالآية في المعاجم ﴿غلامين يتيمين﴾ اي مولودين وابائهما متوفين!!

لنتابع ما جاء في المعجم الوسيط

غُلَامٌ: جمع: غِلْمَانٌ، غِلْمَةٌ، أَغْلِمَةٌ. ﴿غ ل م﴾

صَبِيٌّ حِينَ يُولَدُ إِلَى أَنْ يَشِبَّ وَيُقَارِبَ سِنَّ البُلُوغِ، وَيُطْلَقُ عَلَى الرَّجُلِ مَجَازًا.

نَادَى غُلامَهُ: -: خَادِمَهِ.

وهذا ما جاء في ﴿المعجم الغني﴾: الغلام: بضم الغين والجمع غلمان، وأصله من الاغتلام وهو شدة طلب النكاح وأيضا الصبي من حين يولد إلى أن يبلغ شابا، وهو سن خمس سنين.

(1) سورة الصافات: آية (101).

(2) سورة الكهف: آية (82).

وهذا ما ورد في معجم ﴿مصطلحات فقهية﴾:

غُلاَم

غلام - ج، غلمان وغلمة وأغلمة

غلام: صبي شب وقارب سن البلوغ.

غلام: أجير، خادم.

غلام: عبد.



لنكتفي من هذه المعاني المتظافرة حول معنى كلمة غلام والتي يمكن أن نتحصـــل عليها من آيات الله مباشــرةً ولكن لغياب النص عن ذهن المتلقي كان لابد من تطعيم البحث برشـــة من عطر المورروث والتي اجمع فيها القوم على تعريف الغلام على انه ﴿ الصـــبي من وقت ولادته إلى حين أن يصبح بالغاً شاباً قوياً ﴾.فهل بشرت الملائكة زكريا بيحيى كغلام ام كطفل في رحم أمه يا ترى؟!!

واظن أن زكريا﴿ عليه السلام ﴾ فهم من خطاب الملائكة أن كلمة يحيى دالة على أن هذا المولود هو غلام، ولهذا جاء نكرانه خارج سـياق الولادة الطبيعية للأطفال.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُم طفلا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُـدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُـيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[١].

فهل غاب عن زكريا هذا الوصـــف الإلهي لطبيعة الخلق والتعبير عن الوليد بانه طفل، ام خانه التعبير يا ترى؟!!

وحسبك هذا التفاوت بين يحيى وعيسى وهو في المهد صبيا من آيات الله عجبا!!

قال تعالى: ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾[٢].

---

(1)سورة غافر : آية (67).

(2)سورة مريم: آية (29).

بل إن البشارة بعيسى ﴿عليه السلام﴾لم تأتي على تسميته واكتفت بوصفه كغلام!! وجاء اعتراض مريم﴿عليها السلام﴾ على كونه غلام وليس وصف آخر، فهل تختلط المفاهيم بين من ولد وبين من لم يولد عند بني اسرائيل يا ترى؟!!

قال تعالى﴿:قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾[1].

التفاوت بين يحيى وعيسى:

لاحظ معي عزيزي القارئ:

1- عيسى في المهد صبياً.

2- يحيى اتاه الله الحكم صبياً.

3- زكريا يعبر عن يحيى بانه غلام حين البشارة.

4- الملائكة تبشر مريم بوليدها عيسى على انه غلام.

5- يحيى كان باراً بوالديه﴿امه وابيه﴾.

6- عيسى كان باراً بأمه لأنه لا اب له ﴿ امه مريم ﴾.

ما الدليل على ان عيسى لا اب له؟!!

قال تعالى﴿:قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾[2].

(1)سورة مريم: آية (19).

(2)سورة مريم: آية (20).

الجواب جاءها في الجملة الخبرية، قال تعالى:

﴿قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾[1].

ما هو الهين على الله؟!! وما هو السبب لاستغراب مريم؟!! هل هذا الفعل الهين هو ﴿زواج طبيعي﴾ كما يحب البعض أن يلوي النص ويفسر على آراء مذاهب السلف المندثر البائد؟!! فإذا كان الفعل الهين على الله هو الزواج الطبيعي فمبارك لكم هذا الفهم لكلام الخالق الذي تعبدون، اما انا ومن هم يفهمون اللغة العربية وينطقون باللسان العربي المبين فنفهم أن الله حينما يقول للشيء كن فيكون فهذه معجزة سواء كانت بالأسباب الطبيعية ام بالأسباب الخارقة للعادة وسواء عشنا في زمن حصول الحادثة ام عشنا في عام ٢٠١٩ ميلادي فهذا لا يغير من لغتنا وفهمنا للنص من شيء، فأنا حينما أجلس للتأمل داخل محرابي الواهن كوهن خيط العنكبوت وانا امسك بكأس الماء الممتلئ واداعب مياهه بأصبعي واتابع تموجاته وتشكيلته العجيبة بلا لون يرى!! اعلم ان من جعل ذرة الهيدروجين تتحد مع ذرتي اوكسجين ﴿H2o﴾ هو

(1)سورة مريم: آية (21).

الله جل جلاله، وفعله هذا بالسبب الطبيعي معجزة تضاهي معجزة خلق عيسى﴿عليه السلام﴾ كصبي في مهده ويحيى﴿عليه السلام﴾ كغلام حكيم، فاللهم ربي زدني من علمك وتحنن عليَّ ولا تذرني فرداً انما ابتغي وجهك وانت ارحم الراحمين.

سيكولوجيا الامثال في القرآن:

عندما يحاول الكاتب او المفكر التعبير عن نزعته العلمية، يتهم بأثارة مواضيع بالغة الخطورة في علاقة الأنسان بالدين والعلم والفلسفة والذي يطالع كتابات الأستاذ الوالد ﴿ عبد الأمير البدران﴾ سيلاحظ ما يقصده هذا القول والاتهام لكن بالأثر الإيجابي وليس السلبي في ترسيخ علاقة الانسان القارئ بالأمور المذكورة في هذه المقولة وخاصة ما يتعلق منها بعلاقة المواطن بموطنه والمثقف بأصول ثقافته التي ازدهرت في وادي الرافدين منذ فجر السلالات مروراً بسومر وبابل واشور والأبلة ونينوى وبكدادو وكوفا حتى عصر بغداد مدينة السلام المدورة .

أن هذا التمهيد كان اقتباساً من مقدمة كتبتها في مبحث ﴿ مشكاة ابي ﴾[١]، تضمنت إشارات لكل لبيب تطرق لها الوالد في أحد الكتب الاثارية التاريخية الموسوم بـ﴿ بغداد خاتون﴾[٢]، محاولة مني لدعوة الباحثين الافاضل لقراءة النص القرآني مرة أخرى مركزين على الالفاظ كما

(1) كتاب مشكاة أبي: تأليف أسامة عبد الأمير البدران، 2015م.

(2) لاحظ كتاب بغداد خاتون: تأليف الأستاذ عبد الأمير البدران،2005م.

وردت فلا نحاول ان نزيد عليها او ننقص منها كما يفعل الكثيرون عندما يحاولون اقحام النص القرآني بما ليس فيه وسأقوم بتقديم مثال بسيط قبل ان نعود لإكمال ما بدأناه من افتراءات في بداية هذا الفصل من كتاب المائدة المستديرة:

قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[1].

العودة الى العهد القديم:

لابد من العودة لقصة القربان وابني آدم والغراب من حين لآخر لتبيان منهجيتنا في البحث والتي تتمثل بالالتزام بحرفية النص منتقدين بذلك منهجية من كانوا يقحمون النص القرآني بما ليس فيه وهم يظنون انهم بفعلتهم هذه يخدمون النص ويفسرونه على حقيقته ، وسأبين لكم كيف ان هذا الاقحام لا يخدم النص القرآني في شيء بل على العكس فهو يشوه الصورة الحقيقية التي أرادها الله ان تصل لأذهاننا من خلال كلماته التامات، فكتاب الله كامل لانقص فيه ولا زيادة عليه واقحام النص بما ليس فيه ﴿ أي ذكر ما ليس له ذكر في النص﴾ قد يؤدي الى العبث فيه وتحريفه مما يسبب ﴿كما سنلاحظ بعد قليل من خلال التدبر في آية القربان﴾ فقدان الثقة بتفسيرات العلماء لحظة ان تكون جرأة في طرح

(1)سورة المائدة: آية (27).

السؤال حتى وان لم يكن هناك إجابة بديلة ، ولنستعرض اشهر ما جاء من تفاسير في قصة الغراب :

يقرب ابنا ادم قرباناً فيتقبل من قابيل ويرفض من هابيل فيقتل هابيل اخاه حسداً وغيرة ويرضخ الاخر لفعل أخيه دون مقاومة فيقتله ويحتار اين يواري جثة أخيه، هنا يبعث الله غرابين فيقتل أحدهما الاخر ويدفنه بالتراب فيتعلم ولد ادم كيفية الدفن للميت.. هذا هو يا سادة يا كرام ما تناقلته كتب التفاسير المختلفة عن هذه الحادثة وما يتم تناقله على السن العامة عن فحوى قضية الدفن والغراب حسب ما وردت في القران ...

السؤال الأول: والذي سيثير الشك حول الموروث وكتب التفاسير: إذا كان النص القرآني يتحدث عن غرابٍ واحد ﴿فبعث الله غرابا﴾ فمن اين جاء العلماء والجحاجيح بالغراب الثاني؟!

لنتأمل النص جيدا:

﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾[1].

إذا كما هو واضح فأن الله بعث غراباً واحداً وولد ادم ﴿ القاتل﴾ يتعلم من هذا الغراب فاين هو ذكر الغراب الثاني يا ترى؟!!!

(1)سورة المائدة: آية (27).

السؤال الثاني: كيف سيُعَلِم غرابٌ واحد أبن آدم القاتل كيفية دفن المقتول؟!

السؤال الثالث: كيف فهم القاتل الدرس وتعلم الدفن من غراب واحد بعثه الله ليبحث في الأرض؟!!

السؤال الرابع: ماذا فعل ذلك الغراب بالضبط بحيث تعلم القاتل طريقة الدفن على الفور؟!!

ونعود لنؤكد على كون الغراب هو واحد من خلال التدقيق في الضمائر التي وردت في النص التالي: ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ﴾[1]، فمفردة ﴿ يبحث﴾ و مفردة ﴿ يريه﴾ ليست سوى إشارة للمفرد وان إضافة غراب ثاني للنص جاء لتفسير النص كما يريد أصحاب التفاسير ليكون اكثر اقناعاً للعامة ولكنه لم يكن مقنعاً لمن هم على الأقل من ﴿امثالي﴾ يحبون التحرر من قيود الموروث ولا يخافون من تغيير عادات الإباء والاجداد ولا يرددون الحجة الأكثر شهرة في يوم الحساب والتي ستهلكهم لامحالة ﴿ هذا ما وجدنا عليه ابائنا واجدادنا ﴾ نسأل الله سبحانه وتعالى ان يخرجنا واياكم من الظلمات الى النور ويجنبنا ان نركن لقول الظالمين الذين يحرفون الكلم من بعد مواضعه .

ولمن أصيب بالحيرة بعد ان قرأ كلامنا السابق في قضية الغراب فأقول ببساطة ان الغراب قام بفعل﴿البحث في الأرض ﴾ فقط كي يتعلم القاتل كيف يواري ﴿سوءة ﴾ المقتول فما هو هذا

(1)سورة المائدة: آية (27).

البحث يا ترى؟ وكيف استنبط ابن ادم كيفية الدفن مباشرة من هذا البحث؟ بل ما هو البحث أصلا؟!!

البحث: هو التنقيب عن شيء للاستدلال عن مكانه.

بحث الغراب: قام بحفر الأرض للتنقيب عن شيء قام بإخفائه سابقاً.

الدليل: عادة الحيوانات ان تدفن فرائسها وتنقب عنها حينما تصاب بالجوع.

المصدر: قناة ناشيونال أبو ظبي.

النتيجة: أبن ادم القاتل رأى فعل الغراب بإخفائه لجثة في الارض افترسها سابقاً وعاد لإخراجها مرة أخرى ليتغذى عليها فاستنبط فعل الدفن من عادة هذا الغراب.

ملاحظة: هذه وجهة نظر مقاربة لما ورد في النص دون زيادة او نقصان لمن يذهب ان يكون الغراب ﴿أحد أنواع الطيور﴾ أوردناها كمثال على استخدام الرواة إضافات من بنات أفكارهم لأقناع الناس بتفاسيرهم واستخدامنا للعقل والمنطق للتدبر في مقابل آرائهم، ولكم الحكم في المقارنة بين المنهجين من حيث وجه الصحة وهناك اراء أخرى أعرضنا عن ذكرها لأنها ليست نافعة في هذا المورد.

ذريعة الكبر ما بين زكريا وعهد أبراهيم:

وعَـوْداً علَـى بـادئ ذي بَـدْءٍ لـنفهم وجـه الاعتـراض لزكريـا(عليه السلام) مـع أنـه هـو مـن طلـب الذريـة وهـو محـيط بكـل مشـاكله الشخصـية فكيـف يتـذرع ويتعجـب بالبشـارة بيحيـى(عليه السلام) الـذي سـيحيى كمـا سـماه الله قبـل ولادتـه مـن خـلال فهمنـا لدلالـة الوصـف علـى الموصوف.

قال تعالى:﴿ يَـا زَكَرِيَّـا إِنَّـا نُبَشِّـرُكَ بِغُلَـامٍ اسْمُهُ يَحْيَـى لَـمْ نَجْعَـل لَّـهُ مِـن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾[1].

وهذا لا يزول بمكر الشيطان واعوانه.

قـال تعـالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُـرُ بِـكَ الَّـذِينَ كَفَـرُوا لِيُثْبِتُـوكَ أَوْ يَقْتُلُـوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[2].

فهـل أن ذريعـة الكبـر تـؤدي إلـى عـدم الإنجـاب ام غابـت عـن ذهـن زكريـا قصـة إبـراهيم (عليه السلام) خليـل الله حينمـا بشـر بإسـحق ويعقـوب وهـو فـي صـريح القـرآن شـيخ كبيـر وامرأتـه عجـوزٍ عقـيم وزكريـا(عليه السلام) هـو كبيـر اليعاقبـة، وكـاهنهم ومرشـدهم الاعظـم وخليفـة عمـران(عليه السلام) فـي نبوتـه وكـل اسـرار الهيكـل المقـدس بحوزتـه وتـاريخ ال يعقـوب وجـدهم الأكبـر ابـراهيم (عليهما السلام)واسـراره بحوزته فلماذا هذا الاعتراض يا ترى؟!

(1) سورة مريم: آية (7).

(2) سورة الانفال: آية (30).

أقول إن هذا الاعتراض مرتبط بما بعده من قوله ﴿وامرأتي عاقر﴾، وربما يذَّكر أحدهم علينا ويطلب الادلة على هذه التخرصات، فأقول مهلاً لنتدبر ...فأن كثيراً من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض ولا ادَّعي لنفسي علماً فوق علم لا يملكه غيري ولا اتحدث من تلقاء نفسي لطلب دنيوي إن أريد الا الاصلاح ووجه ربي وارجو منه التوفيق لفهم وتدبر كلامه المنزل القران الكريم..

الخليل وضيفه المكرمين:

ولنستعرض قصة الخليل﴿عليه السلام﴾ في حادثة البشارة.

النص الأول: قال تعالى:

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (24) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا ۖ قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ (25) فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (26) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (27) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (28) فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ (29) قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ (1)

النص الثاني: قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا ۖ قَالَ سَلَامٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (69) فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ

(1)سورة الذاريات: آية (24-30).

خِيفَةً ۚ قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ (70) وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (71)قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (72) قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۖ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ۚ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ (73) فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ (74) إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ (75) يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۖ إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾[1]

أن المتدبر لهذين النصين يلاحظ عدة اختلافات وسأقوم بتفصيلها وتبيان علاقتها بمبحثنا هذا:

أ- جاءت رسل الله من الملائكة إلى ابراهيم قبل ذهابهم إلى قوم لوط.

ب- هناك خبرين في الآيات، الأول بالذرية والثاني بالعذاب وهلاك قوم لوط.

ت- هناك امرأتين اثنين موجودات لحظة وصول الخبرين اي زوجتين + خبرين.

ث- الزوجة الأولى ضحكت من الإنذار بعذاب لوط قبل أن تسمع البشارة بإسحق ويعقوب.

---

(1)سورة هود: آية (69-76).

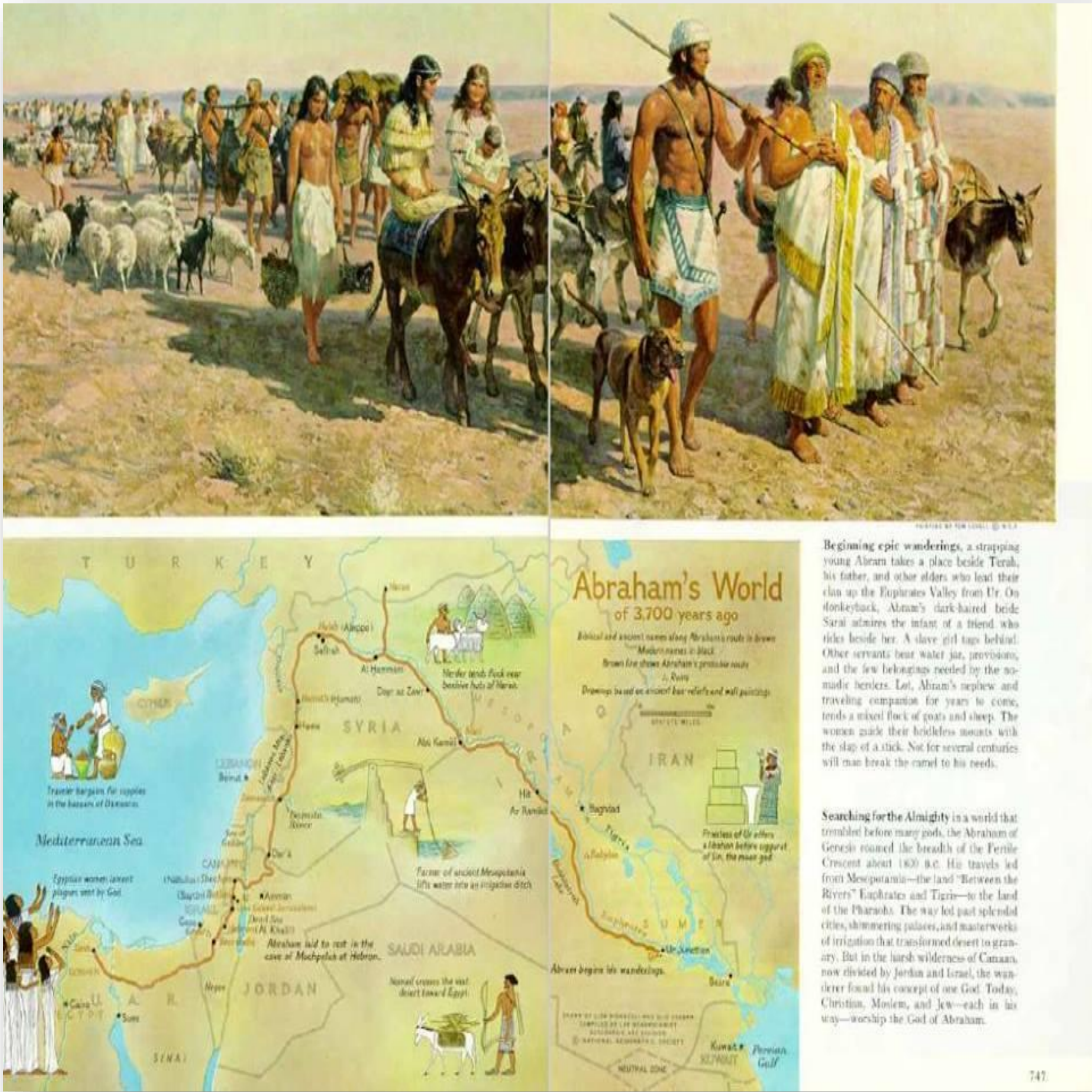
ج- الزوجة الثانية لم تسمع الإنذار بعذاب لوط فلما اقبلت في صرة سمعت البشارة بإسحق ويعقوب فنبزت ضرتها أن قالت لها ﴿ عجوز عقيم ﴾.

ح- النقطة السابقة محور بحثنا حول الفرق بين ﴿ العجوز العقيم وكلمة عاقر التي ورد ذكرها لامرأة زكريا﴾.

أن الاشتباه كان حاضراً أيضا في مفردتي ﴿ عقيم ﴾ في قصة زوج إبراهيم و﴿عاقر﴾ في قصة زوج زكريا.. فما هي العقيم وما هي العاقر؟!!

أولا: من باب ايماننا بعدم وجود ترادف في كلمات الله فيجب ان نتمعن في كل المفردات الواردة في النص المراد تدبره وبما اننا نتكلم عن امرأتين لإبراهيم ﴿عليه السلام﴾ كما جاء في القرآن فيجب ان نميز بين مصطلحات النعت لهاتين المرأتين.. فهما لم تكونا زوج إبراهيم انما امرأتاه فقط!! وليس كل نساء الأنبياء ازواج لهم ... ولمن يتتبع النص لكل الأنبياء وقصص نسائهم يلاحظ الفرق جيدا فقد كان نبي الله نوح ونبي الله لوط﴿عليهما السلام﴾ متزوجين من نساء ولكن لم تحظى تلك النساء بشرف ان يكن ازواجاً لهم، ولكن ليس كل امرأة لم تحظى بشرف ان تكون زوجة لنبي هي على شاكلة امرأتي نوح ولوط.. وما يميز الامرأتين عن باقي نساء الأنبياء هو فعل الخيانة منهما كما عبر عنه القرآن الكريم حيث ورد فيه:

قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾[1]



(1)سورة التحريم: آية (10).

وكما ذكرنا سابقاً ان لإبراهيم ﴿عليه السلام﴾ امرأتين يمكن تمييزهما بوضوح من خلال تدبر النص احداهما كانت ﴿ قائمة﴾ اثناء البشارة من قبل ضيف إبراهيم المكرمين والثانية كانت مقبلة اثناء البشارة ولا بأس ان نميز بين المرأتين بالاستعانة بأسمائهما التوراتية والتي لم تختلف عما جاء في السنة والحديث، وسنعبر عن الامرأة القائمة بـ ﴿سارة﴾ ام النبي اسحق والتي كانت ﴿عقيم ﴾ في محور بحثنا والامرأة المقبلة ب ﴿هاجر﴾ ام النبي إسماعيل.

قال تعالى: ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾(1)

قال تعالى: ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾(2)

والملاحظ في السياق القرآني السابق ان سارة كانت حاضرة وقائمة حينما دخل ضيف إبراهيم﴿عليه السلام﴾ عليه ﴿فقالوا سلاماً﴾ وهذا السلام منهم على جميع من في البيت وهو في محل منصوب بتنوين الفتح، ولو كان إبراهيم ﴿عليه السلام﴾حاضراً لوحده لجاء قولهم ﴿ سلام عليك ﴾ ربما..

---

(1)سورة هود: آية (71).

(2)سورة الذاريات: آية (29).

خلاف عائلي في بيت إبراهيم:

نحن نشرد بأذهاننا لتخيل الموقف على الرغم من تصريح النص بان امرأته قائمة باختلاف النص الثاني ان الثانية مقبلة في صرّة ونستنتج من هذه الفرضيات المقابلة للنص ان الرسل جاءوا إبراهيم(عليه السلام) في بيته وبيت سارة، وأيضاً ان سارة كانت هي العجوز العقيم وهاجر هي الزوجة الصغرى المفتقرة للخبرة بسلوكيات الحوار وسلوك زوجها ومنزلته وفضله كونه خليل الرحمن.

ويمكن ان نفهم ان إبراهيم (عليه السلام) لم يكن في حالة مزاجية جيدة لسبب معين وهو ان هناك خلاف عائلي بين ازواجه وكل هذا يمكن استنتاجه من رده على الرسل بسلامٍ مبهم، وربما لا يمكن اعتباره رد سلام من قبله على رسل ربه ولهذا كان حواراً متشنجاً بينهم وامرأته قائمة فقال ﴿سلامٌ﴾ بتنوين الضم ولم يقل﴿سلاماً﴾ بتنوين الفتح!! فهل من مدَّكر يخبرنا ما هي صيغة السلام المبتكرة هذه وهل فعلاً قول إبراهيم هذا يعتبر رد سلام من اول مسلم في العالمين ﴿ وانا اول المسلمين ﴾

قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ**﴾(١)

لنتابع النص ونطرح الاستنتاج:

(1)سورة القمر: آية (22).

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالبشرى قَالُوا سَلَامًا ۖ قَالَ سَلَامٌ﴾[1]

قال تعالى: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا ۖ قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾[2]

ان هذا الرد بالسلام من إبراهيم(عليه السلام) فيه رسالة مخفية أراد ان يوصلها للرسل كون امرأته قائمة لحظة السلام ويمكن فهم فحوى الرسالة من تفصيل النص التالي بنقاط عدة:

قال تعالى: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ (52) قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (53) قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ(54) قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ (55) قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾[3].

1- قوله انا منكم وجلون.
2- قوله ابشرتموني على ان مسني الكبر فبم تبشرون.
3- قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون.

---

(1) سورة هود: آية (69).
(2) سورة الذاريات: آية (25).
(3) سورة الحجر: آية (52-56).

الاستنتاج:

أ- عدم الاستعداد النفسي لإبراهيم بتلقي بشرى مماثلة من قبل رسل ربه لكونه لم يطلبها في سياق هذا النص كما في حالة طلب نبي الله زكريا.

ب- اعتراض إبراهيم كان واضحاً كونه كبير السن طاعناً فيه لا يستسيغ البشرى بالذرية وهو في حال الشيخوخة هذه.

ت- جوابه عليهم بعدم قنوطه يدل على ان هناك أسباب أخرى عائلية مانعة لتقبله بشرى رسل ربه ويمكن فهم باقي تفاصيل هذه المشكلة من قول الرسل له وبلاغهم بعذاب قوم لوط.

ث- لم يستقبل إبراهيم البشرى بالفرح والسعادة كما هو متوقع بل ان الحنق واضح عليه من سياق كلامه وهذا الحنق كان بسبب الصراع القائم بين نسائه فإحداهما قد فرحت بعذاب قوم لوط والأخرى أبدت غيرتها من البشارة لضرتها بالذرية الغير منقطعة ونبزتها بقولها ﴿عجوز عقيم﴾.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رأى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ (70) وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ (1)

(1)سورة هود: آية (70-71).

السؤال المحير: لماذا ضحكت سارة من الانذار بعذاب قوم لوط؟ والذي يمكن استنتاجه بهذه الصيغة وعدم اقترانه بالبشارة بإسحق ويعقوب لأنه ورد قبل البشارة أصلاً.

هل أم إسماعيل من قوم لوط؟!

قال تعالى: ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (71) قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾[1].

والملاحظ من تكملة النص ابداء استغرابها الفوري من البشارة بالذرية كونها عجوز ولم ترد مفردة عقيم على لسانها بل على لسان ضرتها هاجر بل قد انبرت سارة للتبرير لزوجها أيضاً بقولها ﴿وهذا بعلي شيخا﴾ والعجب واضح عليها بقولها ﴿ان هذا لشيء عجيب﴾؟!!

الجواب على السؤال هو التالي: ان قصة رحيل إبراهيم(عليه السلام) بعد حادثة النار والاحراق ﴿ قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾ وتبعه وآمن معه لوط(عليه السلام) وكان استقرار لوط في ﴿ القرية﴾ وقد مكث معه إبراهيم(عليه السلام) بعض الوقت قبل انتقاله للسكن في ﴿ المدينة﴾، قال تعالى: ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾[2]

---

(1) سورة هود: آية (71-72).

(2) سورة الاعراف: آية (82).

ويمكـــن الاســـتنتاج بـــأن زوج إبـــراهيم هـــاجر تنتســـب للقريـــة التـــي استقر فيهـا لـوط ولمـا كانـت هـذه القريـة تشـتهر بفعـل الفاحشـة علنـاً كما حدث عنهم الله في القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ (165) وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ ۚ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ (١)

فمـــن البـــديهي ان مـــن نتـــائج فعلـــة الرجـــال هـــذه ان يصـــاحب سـلوك الشـذوذ سـلوك سـلبي اخـر لبـاقي شـرائح المجتمـع والمتمثـل بنسـاء هـؤلاء القـوم، فهـؤلاء المشـتهرين بفعـل الشـذوذ لـم يتخلـوا عـن عـادة الـزواج مـن النسـاء وإنجـاب الأطفـال ولكـنهم يـأتون الرجـال شـهوةً مـن دون النسـاء علنـاً، وبالتـالي فمـن الطبيعـي ان تشـذ نسـائهم بفعـل الزنـا فـي السـر ممـا سـبب شـمولهم بالعـذاب الـذي نـزل علـى قـوم لـوط بالكامـل، الا آل لـوط طبعـاً، وخيـر دليـل علـى هـذه الافتـراءات هـو حادثة امرأة لوط الخائنة في صريح القران الكريم.

قـال تعـالى:﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾(٢)

(1)سورة الشعراء: آية (165-166).

(2)سورة التحريم: آية (10).

وما يهمنا من كل سبق هو انتساب هاجر لهذه القرية مما جعل فعل الضحك من قبل ضرتها العجوز سارة والفرح بهلاك قومها، مما سبب الحنق لإبراهيم ﴿عليه السلام﴾ بالبشارة بالذرية من قبل رسل ربه بسبب هذا الخلاف العائلي الناشب بين نساءه، والذي لم يكن قد وضع له حلاً جذرياً بعد وسنلاحظ اختلاف منهج إبراهيم الخليل﴿عليه السلام﴾ في وضع الحلول الاجتماعية كونه يهتم بالجوهر اكثر من اهتمامه بالمظاهر وقد نجح نجاحاً باهراً في منهجه العلمي السليم لوضع الحلول الاجتماعية لعائلته على عكس فعل يعقوب ﴿عليه السلام﴾ والذي كان يهتم بالمظاهر اكثر في محاولاته للجمع بين أبنائه كونهم عصبة ﴿من الجمع﴾ ولم يكن يفكر في وضع حلول جوهرية كإبراهيم﴿عليه السلام﴾ مما سبب تفرق بنيه من بعده.

التباين ما بين زوجه وامرأته:

بقي ان نعرف هناك نعت جديد لنساء الأنبياء متغير حسب الظرف والحالة الاجتماعية كما في حالة امرأة زكريا﴿عليه السلام﴾ التي لم تكن أكثر من امرأته حينما رفع يده الى السماء داعيا الله مشتكيا من حالته الاجتماعية ومشكلته العائلية والتي ستتضح في النص التالي:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (4) وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾[1]

---

(1)سورة مريم: آية (4-5).

وجاء الرد من الله تعالى فورا، قال تعالى: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾(١)، ولكن بقيت مشكلة زكريا ﴿عليه السلام﴾ في عقور أي ﴿نشوز﴾ زوجته...من اين جاء هذا الافتراء ان العقور هو النشوز يا ترى؟!! وهل لنا الا ان نلجأ للنص نفسه كي نتدبر قوله تعالى على لسان زكريا، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾(٢)، فكلمة عاقر وردت في قصة ﴿ناقة الله﴾ والتي يسميها اهل السلف والرواية كما يحلو لهم بـ﴿ ناقة صالح﴾، ولكننا نأبى الا ان نطلق المسميات كما أوردها القرآن.. وبقي ان نعرف ان الله حينما أصلح حال امرأة زكريا﴿ عليه السلام ﴾ تغير النعت الى ﴿زوجه﴾ فكان لها الشرف والفضل ان تكون بمرتبة زوجه بعد ان كانت امرأته فقط وهي مشكلة اجتماعية أوردها الله سبحانه وتعالى في القرآن:

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾(٣).

والنعت الاخير لنساء الأنبياء هن الأزواج كما في نساء النبي محمد ﴿ صلى الله عليه وآله ﴾ حيث قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ

(1) سورة مريم: آية (7).

(2) سورة مريم: آية (8).

(3) سورة الانبياء: آية (90).

الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[1].

فلا يوجد في كتاب الله نعت لنساء النبي ﴿ﷺ﴾ بلفظ ﴿امرأة﴾ او ﴿امرأته﴾، فقط ﴿ازواج﴾ وكما فهمنا لفظ زوج من المباحث السابقة فنساء النبي ﴿ﷺ﴾ هُنَّ ازواجه ولهذا جاء النهي من الله بحرمة نكاحهن من بعده، وهي خصوصية انفرد بها النبي محمد ﴿ﷺ﴾ عن باقي الأنبياء بل عن جميع العالمين فلا يوجد أي نص يبين حرمة نكاح أي زوجة او امرأة لأي شخص غير النبي محمد ﴿ﷺ﴾ وهذا لأنهن أصبحن ازواجه من نفسه ...

قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[2].

التباين ما بين العاقر والعقيم:

ونستمر في تكملة لما ذكرناه في المواضيع السابقة حول قضية العقم وتبيانه في قصة امرأتي إبراهيم سارة﴿العجوز العقيم﴾وهاجر ﴿الصغيرة التي تفتقر للباقة الحوار﴾، وعلاقته بقضية زكريا النبي وعقور زوجه، فما هو

(1) سورة الاحزاب: آية (59).

(2) سورة الروم: آية (21).

الفرق يا ترى بين العاقر والعقيم؟! اكيد ان هاتين الكلمتين مختلفتان في البناء ﴿ع ق ر﴾ تختلف عن ﴿ع ق م﴾.. وربما يدَّكر علينا أحدهم بقوله الفرق هو حرف الميم فقط!! كلا وألف كلا.. فتغيير حرف في بناء الكلمة يغير المراد والقصد من معنى الكلمة بالكامل ولكننا نتفاجأ حينما نفتح المعاجم لنقرأ:

معنى كلمة عاقر = الامرأة التي لا تلد.

معنى كلمة عقيم = الامرأة التي لا تلد.

هل يعقل هذا.. وهل ربنا جل وعلا لا يفرق بين هاتين الكلمتين؟!! كلا وألف كلا.. وهل عندك دليل لتفتري هذا القول انت يا أسامة البدران؟!!

الجواب/ نعم يوجد ادلة دامغة على الفرق بين المصطلحين من خلال آيات اخر في القران وقصص ذكرها ولكنها بحاجة الى تدبر وربط.. تعالوا معي لندخل في واحة التدبر...

ان مفردة العقيم الواجب تمييزها في قصة امرأة إبراهيم ﴿سارة﴾ ورد ذكرها في قوله تعالى:

﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾(1)

اما مفردة عاقر كوصف لامرأة زكريا فقد ورد ذكرها ثلاث مرات:

(1) سورة الشورى: آية (50).

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾[1]

قال تعالى: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾[2]

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾[3]

وقد ساد في الموروث عن تفسير قول زكريا هذا بانه يصف امرأته بانها لا تنجب، ولكن الم يتبادر في اذهانكم سؤال عن كيفية معرفة زكريا بان مشكلة عدم الانجاب هي من امرأته وليس منه هو بالذات ولا أتوقع ان أجهزة السونار وطرق فحص العقم الحالية كانت متوفرة لدى اهل ذلك الزمان، من يدري؟! وعلى الرغم من انه وصف نفسه بالكِبَر وانه يخاف الموالي من بعده بل لو كانت المشكلة في عدم الانجاب من زوجه فلماذا لم يتزوج من غيرها لتحل المشكلة ويذهب الروع عنه في انقطاع الذرية وخصوصا بعد ان ولدت امرأت عمران ﴿عليها السلام﴾ما في بطنها انثى بعد ان نذرته محرراً لله كي لا تنقطع النبوة من ذرية عمران وال عمران، والذي لم يبقى منهم سوى زكريا ومريم ﴿عليها السلام﴾لاستمرار النبوة.. وان هذه التهمة

(1) سورة مريم: آية (8).

(2) سورة مريم: آية (5).

(3) سورة آل عمران: آية (40).

التي اتهم بها زكريا (عليه السلام) امرأته خطيرة جداً اذا ما علمنا عدم صدق التأكد من هذا الامر دون وجود طرق طبية حديثة تؤكده ووجود البدائل للإنجاب كالزواج الثاني فالعقم هو عدم الانجاب وليس العقر.

قال تعالى: ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾[1]

ناقة الله وقوم صالح:

وحينما نبحث في جذر كلمة (عقر) نجده في مضامين الآيات الدالة على قصة نبي الله صالح (عليه السلام) وقومه ثمود لنفتح باباً جديداً في البحث وقصة جديدة...

قال تعالى: ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[2]

قال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾[3]

ماذا فعلوا للناقة يا ترى (هل ذبحوها)...لنتابع؟!

قال تعالى: ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾[4]

---

(1) سورة الذاريات: آية (29).
(2) سورة الاعراف: آية (77).
(3) سورة الشمس: آية (14).
(4) سورة هود: آية (65).

قال تعالى: ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ﴾[1]

في الآيتين السابقتين من سورة هود والشعراء نلاحظ ان الندم والعذاب جاء بعد فعلهم العقر ...لنتابع!!

قال تعالى: ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فتعاطى فَعَقَرَ﴾[2]

من سياق الكلام في سورة القمر نلاحظ ان العقر جاء من قبل شخص واحد في سياق مختلف عن الآيات السابقة وأصبح لدينا الان فعل عقر لجمع وفعل عقر لمفرد.. فمن هو هذا الفرد يا ترى؟!! صاحبهم ام النبي صالح﴿عليه السلام﴾؟!!

ومن خلال تدبر الآيات السابقة استنتجنا عدة أسئلة وهي كيف عقر القوم الناقة وكيف أصبحت الناقة عاقر بعد ان عقروها؟!! أليست امرأة زكريا عاقر أيضا؟ فهل عقرها شخص؟ وهل العقر يعني العقم؟ فلماذا نقول في كلامنا المثل الدارج ﴿امسكنا الرجل في عقر داره﴾.

وماذا تعني جملة عقر الدار؟!!

لقد امر الله سبحانه وتعالى قوم صالح بعدم مساس الناقة بالسوء فما كان فعلهم بعد ان ضاقوا بها ذرعاً إلا أن عقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم..

اذن عقروها = مسوها بسوء ...فما هو هذا السوء يا ترى؟!!

---

(1)سورة الشعراء: آية (157).

(2)سورة القمر: آية (29).

الفهم الجديد لمفردة العقر:

أصــبح الآن لدينا منظومة بحثية جديدة لفهم وتدبر معنى مفردة العقر التي اتهم بها زكريا ﴿عليه السلام﴾ زوجه ربما افتراءً وربما حقيقة.. ســنتوصــل لها في نهاية المطاف بأذن الله، وربما يتخيل القارئ للنص ان القوم قد ذبحوا الناقة أي مسوها بسوء مخالفة لأمر الله سبحانه وتعالى وقد يحتار الباحث عن الحقيقة بين مجموع الآراء المطروحة من قبل المفسرين لمفردة واحدة.. حيث ان الكلام هو وســيلة التواصــل بين البشــر فيما بينهم وبين العوالم الأخرى والهدف هو التواصل وايصال المعلومة المراد تنفيذها او تطبيقها، ولكي نمســك بطرف الخيط المربوط بقدم العصــفور ســنقوم بالتقســيم الموضوع من قبل المفسرين وأصحاب المعاجم التالي:

1- كلمة عقر = عقم = عدم الانجاب.

2- كلمة عقر = ذبح = المساس بسوء.

معنى فعل العقر في المعجم(١):

عَقَرَ/ فعل

عـقَـرَ يَـعـقِـر، عَـقْـرًا، فـهـو وهـي عـاقِـرٌ، وهـم عُـقَّـرٌ، وهُـنَّ عُـقَّـرٌ وعـواقِـرُ، والمفعول معقور -للمتعدِّي

عَقَرَتِ الْمَرْأَةُ: لَمْ تَلِدْ

عَقَرَ السَّرْجُ أَوِ الرَّحْلُ الظَّهْرَ: جَرَحَهُ

(1) معجم المعاني: نسخة الكترونية.

عَقَرَ الكَلْبُ الوَلَدَ: عَضَّهُ

عَقَرَهُ عَنْ حَاجَتِهِ: قَطَعَهُ عَنْهَا

عَقَرَ النَّخْلَ عَقْرًا: قطعَها من رأْسها

عَقَرَ الحيوانَ: ذَبَحَهُ

انتهى الكلام في المصدر للمعجم.

العقر لا يعني الذبح:

كيف لي ان اخرج نفسي من هذه الورطة في ان العقر للناقة ليس ذبحاً لها وكيف نستنتج ان قوم صالح لم يذبحوها؟!!

لمن يتدبر القرآن فالأمر بسيط جداً..

فمفردة ذبح جاءت في سياقات قرآنية أخرى.. دالة على معناها ومختلفة من ناحية البناء لكلمة عقر!! لنتابع....

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾[1].

لاحظ ان قوله يذبّحون ابناءكم قد وردت كناية عن الذبح وجاءت مع الانسان ولكن قد يدّكر علينا أحدٌ ويقول ان المعنى يختلف ان جاء لنفس المفردة مع الحيوان ونرد على هذا المدكر بقوله تعالى:

(1) سورة ابراهيم: آية (6).

﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فذبحوها وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾[١]

اذن فمفردة الذبح قد وردت في سياق قرآني مع البقرة فلماذا يا ترى ورد مع الناقة فعل العقر؟! قطعاً نستنتج من خلال هذا الدليل ان العقر أي المساس بالسوء هو غير الذبح... فماذا فعل القوم للناقة حينما عقروها وماذا كان يقصد زكريا﴿عليه السلام﴾ بقوله ﴿امرأتي عاقر﴾؟!! لنتابع..

العقر لا يعني القتل:

ربما يأتي شخص اخر يقول ان قوم صالح قد مسوا الناقة بسوء وهذا يعني انهم قتلوها بدون الحاجة لذبحها فربما قد دسوا لها السم مثلا... من يدري.. ولكننا نرد على صاحبنا هذا بأن مفردة القتل قد وردت في سياقات قرآنية أيضا فالقتل ليس عقر كذلك..

قال تعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[٢]

فها هو ابن ادم يقتل اخاه ثم يحتار في مواراة سوءته وأصبح من الخاسرين اذن لم يبقى لنا الا تدبر قصة الناقة من البداية لنقع على معنى مفردة العقر..

(1) سورة البقرة: آية (71).

(2) سورة المائدة: آية (30).

قال تعالى: ﴿وإلى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إله غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هذه نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(١)

من خلال هذه الآية نفهم ان قضية الناقة كانت مسألة تعايش اجتماعي واقتسام الشرب والاكل بين قوم صالح وبين ناقة الله ولكي لا يكون هناك التباس اننا نتحدث عن انثى الجمل المعروفة والتي لو كتبت كلمة ناقة الله على محرك البحث فلن تجد سوى صور انثى الجمل وهذا ان دل فعلى تطبع المجتمع على الموروث المحرف، فان الله قد حدثنا عن هذه الناقة بصيغة المعرفة وليست النكرة كما في قصة البقرة في سورة البقرة والتي كانت بحاجة الى تبيان اوصافها ولونها وحالها بل وحتى طباعها الغرائزية كي لا تتشابه مع غيرها من الابقار وهذا لسان حالهم يصرح بقولهم ﴿ان البقر تشابه علينا﴾، فلماذا لم يكن اهل ثمود قد تشابهت النوق والجمال عليهم؟!! ولم يطلبوا اوصاف الناقة يا ترى؟!!

هذا لأن الناقة بال التعريف هي موجودة ومعروفة بشكلها وهي ليست ﴿انثى الجمل﴾ قطعاً.. وسأقوم بشرح ماهيّة الناقة في الفصول القادمة.. فقط اعطي دلالة مقترنة ببحثنا هذا ان الله غيور لا يرضى ان ينسب لنفسه ولد او ملائكة او أي شيء اخر فلماذا ورد لفظ الناقة كمعرف مقترن بلفظ الجلالة ﴿ ناقة الله﴾ ؟!!

---

(1)سورة هود: آية (61).

الله الــذي يحــرم علــى النــاس ان يقرنــوا بلفــظ جلالتــه عيســى ابــن مــريم﴿﴾ ويســتنكر علــيهم قــولهم بــان عيســى هــو ﴿ابــن الله﴾ وهــو ينسب ناقة لاسمه بقوله ﴿ناقة الله﴾؟!!

ناقة الله فتنة وآية:

قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً ﴾[1]، وعَوْداً عَلَى بَدْءٍ، فإنَّ ناقة الله كانت فتنة للقوم وكان على القوم ان يتآلفوا معها سلميا ولكنهم ضــاقوا بها ذرعا لان هذا التعايش الســلمي من المفترض ان يكون ﴿فتنة﴾ للقوم وهذه الفتنة من قبل الله لإخراج ما ضمر من نواياهم في قلوبهم.

قال تعالى: ﴿إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ﴾[2]

وهذه الفتنة من قبل الله تتكرر في كل قصة من قصص الأنبياء ولكن على اشــكال مختلفة وكان لهذه الناقة﴿ناقة الله﴾ دورا هاما بها ولكن تجلياتها كانت تختلف من جيل لأخر..

والسؤال هو: لماذا ضاق القوم ذرعا بناقة وديعة لا تؤذي ولا تفترس؟!!

هذا لان القسمة كانت غير متكافئة.. كما قلنا كي تفتنهم وتظهر نواياهم الخفية، فكيف كانت القسمة الغير متكافئة؟!!

كانت القسمة في المأكل والمشرب قد ذكرها الله تعالى بقوله:

(1) سورة الاعراف: آية (73).

(2)سورة القمر: آية (27).

﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾ [1]

قال تعالى: ﴿ويَا قَوْمِ هذهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾[2]

النتيجة: ان القوم مأمورين ان يتركوا الناقة تأكل وتشرب في مراعيهم دون ان يمسوها بسوء كي يميز الخبيث من الطيب منهم وهذا معنى قوله ﴿ واصطبر﴾ أي ان الزمن كفيل بكشف المنافقين منهم الذين لم يظهروا نواياهم الخبيثة فهو امتحان الهي اليهم، ولما كان هذا الامر هو امر بسيط وتعايش فقط فنحن نظن ان السوء الذي قاموا به للناقة هو بسيط أيضاً وليس عظيماً، فما يحتاجه القوم فقط هو كسر هذه الهدنة والتعايش بإخراج الناقة من مراعيهم وأماكن سقايتهم، ليكون لهم ناتج المراعي والابار والانهر بالكامل دون ان يشركوا الناقة به معهم.. اذن ما فعلوه هو﴿عقروها﴾ أي اخرجوها من ديارهم وارضهم ومراعيهم فقط..

العودة الى قصة زكريا:

ونرجع لقول زكريا(عليه السلام) ان امرأته كانت عاقرا.. اي كانت خارج ديارها فقط وليست عقيم وهو امر اجتماعي دارج في بعض البيوت حيث ﴿تزعل﴾ المرأة من زوجها وتذهب الى بيت أهلها ﴿زعلانة﴾ من زوجها لفترة من الزمن، قال تعالى:﴿قَالَ رَبِّ أَنى

(1)سورة القمر : آية (28).

(2)سورة هود: آية (64).

يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾[١]

وهذا هو وجه استغراب زكريا ﴿عليه السلام﴾ من البشارة، فكيف تحمل امرأته منه وهي خارج ديارها ﴿زعلانة﴾ في بيت أهلها، وهو وجه استغراب متحصل عند كل شخص منا وقد يراوده الشك في امرأته، وهنا نلاحظ تحول الخطاب من امرأته الى زوجه بعد رجوعها، قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[٢]

فحينما كانت ﴿زعلانة﴾ خارج بيت زكريا﴿عليه السلام﴾ في بيت أهلها أطلق الله عليها لفظ ﴿امرأته﴾، وحينما أصلحها له قال عنها ﴿زوجته﴾، وهكذا يتجلى لنا صدق الخطاب وحلاوة معانيه وسهولة تدبره من سياقات ونصوص قرآنية.. ولندخل في تراتيل جديدة لمعرفة كيف أصلح الله امرأة زكريا ...

نتيجة: من خلال الجهد المبذول في التدبر لآيات الله في هذا الفصل توصلنا الى ان ﴿امرأة زكريا﴾ كانت عاقرا أي ﴿زعلانة﴾ في بيت أهلها لسبب معين وقد أطلق الله عليها لفظين مختلفين لتمييز حالها فحينما كانت

(1) سورة مريم: آية (8).

(2) سورة الانبياء: آية (90).

عاقرا قال عنها ﴿امرأته﴾، وحينما أصلحها له قال عنها ﴿زوجته﴾ قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾[1].

اصلاح زوج زكريا:

ولقد جاء الخطاب الالهي في اية اخرى من الذكر الحكيم ليؤكد حدوث الإصـــلاح الرباني بين زكريا ﴿عليه السلام﴾ وامرأته التي تمكث الآن خارج بيته لتصبح زوجته ويتحقق حصول الذرية منهما ودخول البشارة بيحيى﴿عليه السلام﴾ حيز التنفيذ:

قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[2]

فكيف نميز بين اللفظين للحال وما هو هذا الإصلاح يا ترى؟!!ومن هو الذي له الحق في ارجاع الامرأة ﴿العاقر﴾ من بيت أهلها الى بيت زوجها؟!! وهل كلمة ﴿عاقر﴾ دالة على حال مستمر ام حال منقطع؟!!

قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾[3]

(1) سورة مريم: آية (8).

(2) سورة الانبياء: آية (90).

(3) سورة النساء: آية (35).

اذن الإصلاح بين الرجل وامرأته اللذان حصل بينهما شقاق يتطلب وجود:

1- حكما من اهله.

2- حكما من أهلها.

3- النية في الإصلاح من قبل الطرفين.

4- التوفيق الإلهي لفض الخلاف.

وحينما كانت رغبة زكريا﴿عليه السلام﴾ بتحصـيل الذرية من بعده بعد تيقنه من موت عمران﴿عليه السلام﴾ وخوفه من انقطاع الذرية لان امرأة عمران قد ولدت انثى ﴿مريم﴾، والنبوة لا تكون في النساء وانما للرجال حق ميراثها لأسباب سنخوض في غمارها مستقبلا ...

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ ۚ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾(١)

اذن كانت نية الإصـلاح متوفرة في قلب زكريا﴿عليه السلام﴾ لأسـباب كثيرة نظن ان منها ما يجعل نفس نية الإصلاح متوفرة لدى امرأته بسبب علمها بأهم أسـباب الإصـلاح الا وهو ﴿ ميراث النبوة في بيت ال عمران﴾، و يا له من شرف عظيم تتسابق عليه نساء العالمين، وبالأخص ان بني إسرائيل كانوا ينتظرون عيسى﴿عليه السلام﴾ ونبوته ولا يعلمون بأن التخطيط الإلهي للخط الرسالي كان اعظم من هذه النبوءة بان يكون عيسى ﴿عليه السلام﴾ من رحم مريم ابنة عمران ﴿عليهما السلام﴾ويحيى﴿عليه السلام﴾ مصـدقا به من ذرية زكريا كافل

(1)سورة النحل: آية (43).

مريم فلا يستطيع الكهنة من بني إسرائيل على القضاء على هذا الخط الرسالي في مهده واطفاءه لكون عيسى ﴿عليه السلام﴾ لم يتكلم بلسان القوم ببساطة فهو لم يشب بين ظهرانيهم ليتعلم الكتابة والقراءة واللفظ من معاشرتهم ﴿ أي بني إسرائيل﴾، انما تكلم وهو في مهده، وهنا لنتوقف في محطة استراحة لنتكلم من الواقع الاجتماعي لهذه الاطروحة ..

نظرية تعلم الكلام وتعدد الالسن:

كيف يتعلم الانسان الكلام وكيف يصبح لسانه هو لسان القوم الذين شب وتربى بين ظهرانيهم؟!!

كل طفل يولد يجد ابواه امام عينه يكلمانه بشتى أنواع المفردات الصحيحة والغير صحيحة بلسانهم طبعاً الذي يتكلمان به ولغتهم ولكنتهم وحتى في طريقة لفظ الحروف ومخارجها وهناك لغات صعبة النطق لمن هو مثلي كعراقي يسكن في العراق مثل اللغات الروسية واليابانية والكورية، وقد يتساءل هذا العبد البسيط كيف لهؤلاء نطق هذه اللغات الصعبة على مخارج الحروف والتي تسبب تشنج الفكين حين نطق جمل وتراكيب كاملة؟!!

ولكن في اللغة العربية أيضا توجد جمل وتراكيب صعبة على من يقرأها ومن ينطق بها اذكر لكم كمثال للطرفة هذه الابيات الشعرية واترك لكم التمتع بقراءتها ونطقها: يقول المتنبي:

عِش ابقَ اسمُ سُد جُد قُد مُر انه اسرُ فُه تُسَل [1]
غِظ ارمِ صِبِ احمِ اغزُ اسبِ رُع زَع دِل اثنِ نَل
هذا في نطقها فكيف بحفظها؟!!

عش من العيش، وابق من البقاء، واسم من السمو، وسد من السيادة، وقد من قود الجيش، أي قد الجيوش إلى أعدائك، وجد من الجود، ومر من الأمر، وانه من النهى؛ أي كن صاحب أمر ونهى، ورِ من الورى وهو داء في الجوف﴿هو قيح يأكل الجوف ويفسده﴾، يقال وراه الله، يريد أصب رئات أعدائك بأن توجعهم، وفِ من الوفاء، واسر بضم الراء من السرو وهو المروءة في سخاء، وبكسرها من السري وهو مشي الليل؛ أي اسرِ إلى أعدائك ونل من النيل، يقول: أسر إلى أعداءك وأدرك منهم إرادتك.

يا سادتي الاكارم نحن نتكلم من منطلق كون الطفل قد تعلم الكلمات من خلال تواجده في كنف عائلته وفهمه لتراكيب الجمل يعتمد على المستوى الثقافي لهذه العائلة التي تكتنفه، وكذلك اللغة التي يتعلمها منهم يزقونها زقاً له في مراحل تنشئته وصباه، فما ان يبلغ عمر السنتين تجده قد اجاد استعمال بعض ما حفظه عن هذا المجتمع من جمل بسيطة قد يخطئ وقد يصيب في لفظها وحين بلوغه سن السادسة من العمر يدخل المدرسة ويبدأ مشوار دراسته للغة اهله وقومه وبلده، فالطفل الياباني يتكلم

(1) الشعر للمتنبي يمدح فيه أبو فراس الحمداني وشرحه منقول من صفحة الشعر الجاهلي على الانترنت.

ياباني والطفل الروسي يتكلم روسي والعراقي﴿زي حلاتي﴾ على قول إخواننا المصريين تجده بقدرة ربانية يجيد استخدام تراكيب لغوية عراقية وغير عراقية مثل حرف الجيم المصري واليمني والإيراني والعربي الفصيح يستطيع العراقي لفظه، ليس كل عراقي طبعا فانا قلت أولاً ﴿زي حلاتي﴾، ولكن حينما تعرض هذا الحرف الذي يختلف نطقه من منطقة لأخرى على المصري لا يستطيع لفظه ..وكذلك الإيراني لا يلفظه كما يلفظ في اللغة العربية الفصيحة كمثال نقول: كلمة أسألك = يلفظها الإيراني = اسألج بالجيم الإيرانية كلمة جمال = يلفظها المصري = كمال بالكاف الثقيلة المصرية التي تماثل صوت حرف﴿G﴾ الإنكليزي.

كلمة قالت = يلفظها اليمني = كالت بالجيم اليمنية الشبيهة بالمصرية العراقي يستطيع ان يلفظ هذه التراكيب اللغوية فونولوجيا كلها بدون تلعثم في اللسان..

عيسى يتكلم في المهد:

ما نريد ان نبينه في هذه الشطحات الفكرية التي تراودنا هو ان عيسى ابن مريم﴿عليه السلام﴾ تكلم في المهد دون ان يحاوره أي شخص او يرد عليه أي شخص كما ذكرنا وبينا في المباحث السابقة حيث لا يوجد حوار فقط كلام في المهد دون جواب وكلام كهلا دون جواب، وهاتين الجملتين في المهد

وكهلا كانتا موجهتين لبني إسرائيل وليس للحواريين، فالحواريون اكتسبوا هذه التسـمية لأنهم فقط من يسـتطيع محاورة وفهم ما جاء على لسـان عيسى﴿عليه السلام﴾ من خلال وحي يوحى لهم ومن خلال تكليف خاص ليحيى ابن زكريا﴿عليهما السلام﴾ وهذه الأدوار سـنتطرق لها في الفصـول القادمة كي لا نخرج عن هدفنا المنشود من قصة زكريا وامرأته... ولإضفاء طابع المشروعية على فعل زكريا﴿عليه السلام﴾ بأمر من الله لإصـلاح امرأتـه وتحقق البشـارة بيحيى﴿عليه السلام﴾ فان الله تعالى قد بين ان البعل له كامل الحق في الإصلاح ان توافرت نوايا الإصلاح قال تعالى:

﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(1).

لاحظ قوله ﴿ان أرادوا اصلاحا﴾ وقوله في قضية زكريا ﴿أصلحنا له زوجه﴾، فزكريا ﴿البعل﴾ الرجل أحق برد زوجه اليه ﴿وبعولتهن أحق بردهن﴾ كي تصلح بعد نشوزها.

(1)سورة البقرة: آية (228).

قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾[1].

فمن يطلب الإصلاح كما في حالة زكريا وامرأته وتوافر النوايا السليمة سيكون التوفيق من الله سبحانه وتعالى حاضراً ﴿ان يريدا اصلاحا = يوفق الله بينهما﴾ وبهذا تم الفراغ من تبيان هذه المفردة لننتقل الى مفردات أخرى وعدنا بتبيانها للمتابع العزيز..



(1)سورة النساء: آية (35).

الفصل الخامس

ناقة الله المبصرة

تناولنا شطراً من قصة ثمود قوم صالح النبي(عليه السلام) في الفصول السابقة لأننا ظننا ان في هذه القصة موارد ومعاني يمكن الاخذ بها في الاستدلال على ما نثيره من ظنون لمعاني كلمات الله التامات في القرآن الكريم بحيث يمكننا من فهم النص بعيدا عن الموروث الشعبي وقد استوقفتني بعض الكلمات التي من الممكن ان نحصل من خلال تدبرها على مبحث جديد يعضد ما سبقه من فصول هذا الكتاب من مائدة عيسى والحواريين.

قال تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾[1]

ربما يمر هذا النص على من هو قليل التدبر والتركيز لكلام الله دون ان يميز ما فيه ولكننا لاحظنا سياقاً لوصف نبي الله صالح(عليه السلام) لم يتكرر الا مع انبياء معدودين الا وهو قول الله في وصفه ﴿رسول الله﴾ ونحن نعلم ان الله قد بعث كثيراً من الرسل والانبياء منهم من أوحى لهم ومنهم من كلمهم تكليماً.

قال تعالى:﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾[2]

(1)سورة الشمس: آية (13).

(2)سورة النساء: آية (164).

ولكن لم يقترن لفظ ﴿رسول الله﴾ مع كل الرسل في كلام الله سوى مع بعض منهم، فمن هم هؤلاء الرسل؟ ولماذا اقترن لفظ ﴿رسول الله﴾ مع أسمائهم يا ترى؟!!

الأنبياء الذين أقترن لفظ (رسول الله) بهم:

❖ الرسول الأول هو عيسى ﴿عليه السلام﴾:

جاء لفظ رسول الله مقترناً باسمه على لسانه في القرآن الكريم لاحظ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [1].

كما جاء لفظ رسول الله مقترناً باسمه على لسان انبياء اخرين في القرآن الكريم لاحظ قوله تعالى:﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [2]

(1) سورة الصف: آية (6).

(2) سورة النساء: آية (171).

كما جاء لفظ رسول الله مقترناً باسمه على لسان بني إسرائيل قال تعالى:﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾(1)

❖ الرسول الثاني محور بحثنا في هذا الفصل هو النبي صالح ﴿عليه السلام﴾، قال تعالى:﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾(2)

❖ الرسول الثالث هو نبي الله موسى﴿عليه السلام﴾:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (3)

❖ الرسول الرابع هو محمد ﴿صلى الله عليه وآله﴾، قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (4)، وهناك آيات اخر تذكر فيها اقتران لفظ ﴿رسول الله﴾ بالنبي محمد﴿صلى الله عليه وآله﴾ ولكننا ارتأينا عدم ذكرها والاكتفاء بصريح اللفظ في الآية السابقة في اقتران وصف رسول الله بمحمد﴿صلى الله عليه وآله﴾.

---

(1) سورة النساء: آية (157).

(2) سورة الشمس: آية (113).

(3) سورة الصف: آية (5).

(4) سورة الأحزاب: آية (40).

لفظ (رسول الله) دلالة على تركة من بعد الرسول:

النتيجة: لفظ﴿رسول الله﴾ اقترن بأربعة انبياء فقط في كل كتاب الله ومن يعرف اية لم نقع على أثرها تدحض ما نقول او تكّمله فليتفضل بها ونكون شاكرين لمجهوده الطيب.. وهؤلاء الأنبياء هم ﴿ محمد، موسى، عيسى، صالح﴾ ،فما هو القاسم المشترك بينهم كي يطلق عليهم هذا الاصطلاح دوناً عن انبياء الله ورسله يا ترى؟! لماذا لم يأتي هذا اللفظ مقترناً مع إبراهيم مثلاً او نوح او يونس﴿عليهم السلام﴾ ؟! ان ابسط فرضية يمكن ان نخرج بها هو ان هناك تركة تميز بها هؤلاء الأنبياء الأربعة تميزهم عن باقي الأنبياء وربما يمكن ان نلاحظ عدم وجود الذرية من الذكور الوارثة للنبوة من بعدهم، فلكل نبي وارث من بعده يرثه.. فان كان لديه ولد واحد ورثه هذا الولد وأصبح نبياً من بعده وان كان لديه عدة أولاد فيصطفي الله أحدهم لميراث ابيه وقد يكون الولد أعظم شأناً من ابيه، او قد يحمله الله تكليفا أعظم من تكليف ابائه واجداده حسب ما تقتضي المصلحة وهذا لحفظ الدين والشريعة الدستور الإلهي لتسيير الكون وحفظ البشرية من التمادي، فيصدق افتراء الملائكة بقولهم حين الحوار مع الله في حوار الخلق الأول لخلافة الأرض حيث قالوا لله﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾ ولهذا قال لهم الله ﴿أني اعلم مالا تعلمون﴾.

فالنبوة خط رسالي لحفظ البشرية من الركون للظلم والفساد والافساد قد يظن البعض انها امر منقطع في زماننا هذا وان إرادة الله قد رفعت عن الخلق بوفاة النبي محمد﴿صلى الله عليه وآله﴾ وانقطاع الوحي

ونحن نظن ان مداركنا تعجز عن فهم ما أراده الله لنا بعد ان قام المدلسون بتحريف الكلم عن مواضعه وان اعطانا الله من علمه على قدر ما تحتمل عقولنا لربما وقعنا على فهم مطابق للواقع القرآني بما يتفق مع الشريعة المحمدية.. اذن احدى المشتركات بين هؤلاء الأنبياء الأربعة هو عدم التصريح بوجود تركة من الذرية الذكور من بعدهم وهذا واضح لمن يتتبع آيات الله في القرآن الكريم، وقد نجد ان هناك شيء اخر مشترك بين النبي موسى والنبي عيسى والنبي محمد ﴿عليهم السلام﴾ ولا يشترك به معهم النبي صالح ﴿عليه السلام﴾ فلماذا يا ترى ؟!!وما هو هذا القاسم المشترك؟!!

قال تعالى:

﴿يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾(١)

القاسم المشترك بين الأنبياء الأربعة:

من خلال تدبرنا لمضان الآيات السابقة يمكننا التحصيل على معلومة مفادها ان التوراة انزلت بعد إبراهيم ﴿عليه السلام﴾ وإبراهيم كانت لديه صحف كما ان لموسى صحف ذكرها الله في سورة الأعلى:

﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى (18) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾(٢)

(1) سورة آل عمران: آية (65).

(2) سورة الاعلى: آية (18-19).

وان التوراة هي التي حملها بنو إسرائيل واستمرت الى يومنا هذا وقد ظهر ذكرها في آيات عديدة ولكنها تم تفعيل تشريعها في وقت موسى﴿عليه السلام﴾ ولبني إسرائيل، ويمكن استنتاج وقت نزول التوراة من متابعة أماكن ورودها في آيات الله في الذكر الحكيم...

اذن التوراة = صحف = على شكل الواح.

قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾[١]

وهذه الالواح التي فيها تفصيل كل شيء ومن كل شيء موعظة هي مشابهة لوصفها في وصف القرآن الكريم والانجيل من حيث انها هادية وإنها فيها موعظة وحكمة وان فيها تبياناً لكل شيء وتفصيلاً لكل شيء وهي تختلف عن الزبور والصحف الأخرى والقراطيس، اذن الالواح هي جزء من الكتاب الذي فيه تبيان لكل شيء ولكنها كتبت بطريقة التورية.. فجذر التوراة هو ورى وتوارى من مواراة وتورية..

قال تعالى:﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ ۖ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾[٢]

(1)سورة الاعراف: آية (158).

(2)سورة الاعراف: آية (154).

لاحظ انه وجد في نسختها وليس في ظاهرها ولا يوجد وصف واضح للقوم المذكورين ومن يتتبع سياق الآيات سيجد ان هؤلاء الذين بشر الله موسى ﴿عليه السلام﴾ بهم هم نفسهم السبعين رجلا:

قال تعالى:﴿ وَاخْتَارَ موسى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا﴾[1]

وقوله ﴿لربهم يرهبون﴾ واضح فيه ان هؤلاء هم من ابتدع الرهبنة فيما بعد.

قال تعالى:﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[2]

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ﴾[3]

اذن فالتوراة هي ميراث موسى﴿عليه السلام﴾ لمن بعده من النبيين وهي تبقى تركة من بعده رغم عدم تحصل الذرية من الذكور لموسى﴿عليه السلام﴾ فقد كانت تركته وميراثه الذي بعده مستمر الى يومنا هذا هو التوراة..

(1) سورة الاعراف: آية (155).

(2) سورة الحديد: آية (27).

(3) سورة المائدة: آية (44).

التوراة والانجيل والقرآن تركة وجودها مستمر:

ذكرنا قبل قليل ان تركة موسى (عليه السلام) بعد ان حرم من الذرية لميراثه هي التوراة التي بقيت حتى يومنا هذا يحكم بها ﴿النَّبِيُّونَ﴾ .

قال تعالى:﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ﴾(١).

وعلى الأقل اذا استبعدنا وجود الأنبياء انطلاقا من العقيدة بختم النبوة بعد محمد (صلى الله عليه وآله) فان التوراة لايزال ذكرها موجوداً حتى وان قلنا بتحريف صحفها او اطلاق اسمها على كتب او قراطيس لا تمت للتوراة بصلة فنحن نظن ان التوراة موجودة بشكلها وتصميمها ونسخها من خلال حفظ كلام الله في القرآن الكريم وهذا ما لمسناه في أقوال الكثير ممن سافر الى دول الغرب والتي تجد فيها ان تلك المجتمعات الغربية على الرغم من ايمانها بكتب نحن نعتقد انها محرفة الا انهم يطبقون تعاليم الإسلام بحذافيرها ولا ننسى أيضا ان الدين عند الله الإسلام وما مسميات ﴿اليهودية والنصرانية والصابئة﴾ إلا وجه اخر من أوجه الأديان الابراهيمية المسلمة لله تعالى والملتزمة بتعاليمه التي يعتقدون بصحتها ومطابقتها لشرائعهم وهذا بنظرنا يكفي ليكون الانسان مسلماً طاهراً.. اذن ماذا ترك عيسى إذا علمنا انه ليس لديه ذرية ذكور ليرثوه كما كان موسى كذلك؟!

---

(1)سورة المائدة: آية (44).

قال تعالى:

﴿مُصَـدِّقًا لمَـا بَـيْنَ يَدَيْـهِ مِـنَ التَّـوْرَاةِ وَآتَيْنَـاهُ الْإِنْجِيـلَ فِيـهِ هُـدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا ﴾[١].

الجواب: انه الانجيل والذي ينطبق عليه ما كان من كلام حول التوراة أيضا؟!! وماذا ترك محمد صلوات ربي عليه وسلامه؟!!

قال تعالى: ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ**﴾[٢].

الجـواب: انـه القـرآن!! وأيضـا ينطبـق عليـه مـا ذكرنـاه حـول الانجيـل والتـوراة؟!! والفـرق ان القـرآن مهـيمن علـى التـوراة والانجيـل رغـم الاتفـاق علـى ان هنـاك مضـامين واشـارات وردت فـي الانجيـل والتـوراة تنبـأ بنـي إسـرائيل باتبـاع النبـي محمـد صـلوات ربـي وسـلامه عليـه ولكنهم أنكروها، قال تعالى:

﴿الَّـذِي يَجِدُونَـهُ مَكْتُوبًـا عِنْـدَهُمْ فِـي التَّـوْرَاةِ وَالْإِنْجِيـلِ يَـأْمُرُهُمْ بِـالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾[٣].

---

(1)سورة المائدة: آية (46).

(2)سورة يوسف: آية (3).

(3)سورة الاعراف: آية (157).

تركة رسول الله صالح عليه السلام:

إذن ماذا ترك النبي صـــالح من بعده إذا لم يكن لديه كتاب وتركة يتركها من بعده فهو بلا ذرية ولا كتاب لماذا اذن اقترن وصــف ﴿رســول الله﴾ به؟!!

الجواب: ان ما تركه النبي صالح من بعده ومستمر دون انقطاع أثره ليخرج مرات ومرات في ازمان أخرى لتحقق مشــيئة الله في افتتان اقوام وانبياء ليخرج ما في قلوبهم ويصلح سرائرهم هو ﴿ناقة الله﴾ !!

نعم انها الناقة التي قلنا سابقاً لكم اننا سنعود لنفتح باب التدبر والسر في كون الله قد نســب لاســمه الكريم ﴿ناقة﴾ وهو الغيور الذي يأبى ان يشرك به او ينسب له ولد فما هو سر هذه الناقة والتي نفتري انها ليست انثى الجمل أصــلاً بدلائل وقرائن ذكرناها في الفصــول الســابقة بســياق متصل؟!! وكيف أصبحت تركة للنبي صالح؟!!

علاقة قصة ناقة الله بقصة عيسى عليه السلام:

ان هــذه القضــية والتــي اعتقــد ان لهــا نتــائج مرجــوة فــي مبحــث المائــدة المســتديرة كــي نفهــم ونكشــف عــن اسرارها التــي غابــت علــى مــدى قــرون عــن مــدارك البــاحثين والمتــدبرين لمــتن آيــات الله مــن الذكر الحكيم تنقسم الى شقين:

الشــق الأول: هــو تــدبر قصــة ثمــود وصــالح مــن البدايــة لــنفهم لمــاذا أرســل الله لهــم ناقتــه وكيــف تكــون الناقــة مرســلة؟ وكيــف تكــون مبصرة؟ وكيف تكون فتنة؟

الشق الثاني: معرفة تاريخ وجود هذه الناقة التي كما بينا في الفصول السابقة انها ناقة معروفة غير مبهمة الوجود بل لها وجود ودلائل على شكلها وخواصها بحيث لا يشتبه بها أحد كونها تختلف عن باقي الخلق وكونها خالصة لله وحده..

تدبر قصة ثمود وصالح والناقة من البداية:

لنبدأ بالشق الأول:

قال تعالى:﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾(١)

حينما يرسل الله رسولاً الى قومه يتحدث بلسانهم يعطيهم أولا ادلة على نبوته ووحي الله له ثم يبلغهم رسالات ربه فأول ما يمكن تدبره من النص السابق هو ان قوم ثمود كانوا لا يعبدون الله فأرسل إليهم صالحاً ليرشدهم ويدعوهم الى عبادته وتوحيده فما كان من القوم الا ان انقسموا الى فريقين متخاصمين وهاذين الفريقين المتخاصمين في جهة، وصالح وأهله في جهة اذن نفهم القصة كالتالي:

1-صالح وأهله في جهة المؤمنين.

2- ثمود في جهة المشركين منقسمين الى فريقين مختصمين في رسالة صالح.

(1)سورة النمل: آية (45).

قال تعالى:﴿قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (46) قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾(١)

وهنا تتفاقم المشكلة الاجتماعية بعدم التصديق لرسالة صالح بعدة نقاط:

1- تطير القوم بصالح ومن معه ﴿ناقة اللّه﴾.

2- اختصموا بطريقة لإخراجه لأنهم اعتبروه نذير شؤم لهم، وهذا ديدن الاقوام على نفس عهدهم من النبيين... الفريقين المختصمين كانت فيهم جهة ترجح لإخراجه ﴿عقره﴾ وهم الأكثرية لأنه كان مرجواً عندهم وجهة تريد قتله وهم ﴿التسعة رهط﴾.

3- التسعة رهط كان لديهم مكيدة سوء باهل صالح لأنهم خافوا من ولي صالح الشديد من بعد مقتله ان يطالبهم بالقصاص العادل ولهذا اقترحوا ان يمسوا اهل صالح بسوء عن طريق مكيدة سنبينها.

قال تعالى: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٢)، ان هذا النص فيه من الأمور الكثيرة بتعبير متشابك، حيث يمكن ان نفهم

(1)سورة النمل: آية (46–47).

(2)سورة النمل: آية (48).

منه القصة من منظور جديد، فالتسعة رهط ان كانوا ﴿يفسدون في الأرض ولا يصلحون﴾ فأن صالحاً كان من ساكني مدينة كبيرة يقطنها قومه ثمود وفيهم ما يسمى في يومنا هذا مجموعة من المفسدين ﴿الشقاوات﴾ او ﴿القتلة المأجورين﴾ او ﴿أصحاب الأموال المفسدين﴾ والذين تحاك كل مكائد هذه المدينة بمعيتهم ومعرفتهم وقولهم ﴿تقاسموا بالله لنبيتنه﴾ هو اقسموا فيما بينهم على قتل عائلته بالكامل من خلال ارسال شخص لا يمكن معرفة شخصه واسمه، أي ما يسمى ﴿بالقاتل المأجور﴾ كي يقوم بالمهمة عوضا عنهم وهذا قولهم لولي صالح ﴿ما شهدنا مهلك اهله﴾ أي ان لدينا حجة غياب وشهود على اننا لم نكن متواجدين في هذه المدينة حينما تم الفتك بعائلة صالح وهذا ان دل فعلى ان اغلب الجرائم كان يشار بها الى هؤلاء الرهط التسعة ولكن لحساسية هذا الامر هذه المرة وكونه امر يخص سياسة الدولة والمدينة بالكامل ويمس عقيدتهم فقد حبكوا هذه الجريمة بتروي.. ولكنهم مكروا مكرا بفعلتهم هذه والله خير الماكرين حيث ابلغ نبيه صالح بهذه المكيدة ﴿فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر﴾.

تسعة رهط يمكرون بصالح وأهله:

حينما أنبأ الله نبيه صالح بمكر التسعة رهط المفسدين انبأه أيضا بعذابهم الذي سيستمر لثلاثة أيام ان هم أقدموا على فعلتهم، وقول هؤلاء التسعة ﴿لنبيتنه﴾ كان القصد منه هو النفاذ لأهل صالح ليلاً وبسرية تامة فالبيات هو التنفيذ في الليل.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾(١).

ويجب ان لا ننسى مصير وموقف باقي قوم ثمود حيث انهم كان موقفهم من صالح وأهله ومن معه غير ما ذهب اليه هؤلاء التسعة فقد كان مرجوا بينهم ولكنهم في شك مما يدعوهم اليه..

قال تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ (61) قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾(٢)، وما اشبه قولهم هذا بما يجتاح مجتمعنا من تخلف فكري ودعوة للتمسك بالتقاليد والموروثات وتكفير من يخرج عن نهج الإباء والاجداد ويتهم بانه صاحب دعوة للإلحاد بل وصلت بهؤلاء من عبدة الاصنام ان يكيلوا شتى أنواع التهم لمن خالف منهجهم العقيم فتارة يقولون عنه سفسطائي وتارة أخرى انه فاسق ومرة يقال عنه مارق!! ويا لها من القاب رنانة تطلق على المتحرر بفكره الباحث من اجل ان يسير بالمجتمع نحو بر الأمان والصراط المستقيم بما يراه هو صائبا وصحيحا وملائماً لقولبة الناس

(1)سورة الفرقان: آية (64).

(2)سورة هود: آية (61–62).

بإطار سليم يقيهم من الجهل واصحابه وقد وصل الحد بهم ان يجابهوا القلم الرصاص بالرصاص الحي وتحسب عدد رصاصات القاتل بعدد أفكار المقتول.. فكلما زاد تحرره الفكري من قيود الصنمية زادت عدد الاطلاقات القاتلة لشخصه الكريم...

الاثر المترتب من فهم عملية اغتيال النبي صالح:

ان فهم هذه القصة يترتب عليه أثر ينفع في مبحثنا الشامل والذي انتهجنا نهجاً جديداً فيه وقطعنا وعداً بتفصيل كلمات الله في الذكر الحكيم بما يتناسب مع طرح مناسب للإدراك والفهم بعيداً عن التفسير الجاف والركيك والذي لا يعطي لوصف الله لكتابه بأنه ﴿ أحسن القصص﴾، أي دلالة على كونه حاوياً على قصص للماضين من الأنبياء بما يتناسب والاطروحة المحمدية في العالمين، قال تعالى:

﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (1) إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (2) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾[1]، ولمن اشتبه عليه بعد الزمان عن اخر الآيات المرسلة للأقوام والمجتمعات التي تحوي على شرائح مختلفة من المجتمع من ذكر وانثى فمنهم من وصفه الله تعالى بقوله:

(1)سورة يوسف: آية (1- 3).

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾[١].

ومنهم من قال عنهم من الذكور: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً﴾[٢].

ومنهم من قال عنهم من الاناث: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ ﴾[٣]

وبمختلف شرائح المجتمع هذه قد يصل الحد بهم لإنكار آيات الله في الاقوام السابقة او يقوم بتفسيرها معنوياً على انها تيارات شعوبية او اسقاطات ذهنية او طاقات سماوية إيجابية وهكذا بمن جبل على تفسير المعجزات الظاهرة في سياقات كلام الله على هذا النحو ونحن اذ نفتري عليكم بما نكتب قد يكون لنا رأي مجانب للحقيقة لا نقول كلها بل بعضها ان تتبع القارئ الكريم ما نكتب فنحن لا نعطي للنص تفسيراً من

(1) سورة الاحزاب: آية (35).

(2) سورة نوح: آية (26).

(3) سورة الممتحنة: آية (10).

خارجه اطلاقاً، ولا نسقط ما في اذهاننا من تخيلات واوهام عليه انما نرجو رحمة ربنا لتدبر ما قاله لنا في الذكر الحكيم بالنص والمتن لا بالوهم والخيال، ولكننا نظن ان الحاخامات والسدنة والكهنة المسيطرون على المؤسسات الدينة والإنتاج الفكري على مر الزمان ومن يمنعون إصدارات فكرية تغرد خارج سربهم وميراث اجدادهم هم من قام بتحريف الكلم عن مواضعه ﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾(1)

فتحريف الكلم عن مواضعه هو ما أدى الى تغيير معنى ودلالة الكلمة بما أراد الله ايصاله من علم وفهم وشرع الى الناس بما يتناسب وكل زمان وهذا ان دل فعلى عجز هذه المؤسسات عن تحريف كلام الله لأنه حفظه من كيدهم ولهذا عمدوا الى تغيير المعنى ﴿الكلم عن مواضعه﴾ وبهذا أصبح لدينا شطراً وفارقاً زمنياً عن رؤية آيات الله التي قصها علينا بسبب كثرة تكذيبها للأقوام التي انزلها الله عليهم، قال تعالى:

(1)سورة النساء: آية (46).

﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ۚ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾(١)

فالتكذيب المستمر لآيات الله جعل هذه الآيات فارغة المحتوى لأهل تلك الأزمنة ﴿كآيات النوم والليل والنهار والمسكن﴾ ولهذا أصبح الله يرسل آيات بينات لا يمكن تكذيبها ان هو اوجدها، فتارة الآية تكون بخلق عيسى من تراب مسيح وأمه تحمل به من دون اب وتارة يرسل ناقة للقوم تفتنهم وتارة يرسل موسى بآيات بينات على الرغم من ان فرعون جاءه الله بكل اية ولم يؤمن ولكنه بهت امام ما جاء به موسى وهكذا...

قاتل مأجور في بيت النبي صالح:

وعَوْداً عَلَى بَدْءٍ لنكمل الشطر الأول من قصة صالح ولكي ننتقل بسلاسة الى الشطر الثاني في قصة الآية المرسلة لقوم صالح﴿ناقة الله﴾ فقد قلنا ان ثمود بعد ان جاءهم صاحبهم ﴿صالح مبلغا﴾ قد انقسموا الى قسمين، القسم الأكثر من اهل المدينة كانوا متعاطفين معه بان يخرج من مدينتهم او يعرض عن دعوته لأنه كان مرجواً عندهم والقسم الثاني تسعة رهط كادوا به ليقتلوا اهله بمكيدة ان يرسلوا قاتلاً في الليل ولكن الله كان قد أنبأ صالحاً بهذه المكيدة فكيف كان تعامله مع كيدهم يا ترى؟!!

---

(1)سورة الاسراء: آية (59).

قال تعالى: ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾[1]

السؤال هو: من قال ان صاحبهم هذا هو صالح؟! لماذا لا يكون صاحبهم هو القاتل المأجور؟! وننجرف مع الموروث بانه تعاطى مع الامر والمكيدة بان عقر أي ذبح ﴿حسب القصة الشعبية﴾ قتل اهل صالح او عقر الناقة.. كلا وألف كلا.. ان التعامل مع النص بهذه الركاكة ليصدق به المجتمع هو جريمة لغوية وقد أثبتنا سابقاً ان العقر هو ﴿الخروج من المكان﴾ ولهذا سنفصل تدبرنا لفهمه كالتالي:

1- من هو صاحب الرهط الذي نادوه؟!

2- كيف عقر؟!

3- هل العقر مستمر ام وقتي؟!

قال تعالى: ﴿ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾[2].

ان صاحب القوم هو رسول الله الذي أرسل إليهم بدليل قوله تعالى: ﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾[3].

---

(1)سورة القمر: آية (29).

(2)سورة القمر: آية (29).

(3)سورة سبأ: آية (46).

فالنذير هو من وصفه الله بـ ﴿صاحب القوم﴾ وهذا النذير هو رسول الله لقوله تعالى:﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ۗ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[1]

النتيجة: صاحبكم = نذير = منذر = رسول الله

اذن صاحب القوم = رسول الله

قال تعالى:﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾[2]وقال:﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾[3] ،اذن قوله ﴿فنادوا صاحبهم﴾ تدل على ان الرهط قد نادوا صالح رسول الله الى مكان معين بعيداً عن اهله كي يكيدون به وبأهله ويستطيعون ان يحققوا مرادهم ﴿بضرب عصفورين بحجر﴾ كما يقال في المثل بان يكون صالحاً نفسه شاهداً على عدم تواجدهم في مكان حصول الجريمة وان يبعدوه عن اهله ليقوموا بتنفيذها دون أي معوقات.. خاصة لعلمهم ان وليه لن يسكت عن أي اذى قد يصيب رسول الله وكما تدل على ان الرهط قد أرسلوا قاتلاً مأجوراً ليقوم بالجريمة مكانهم كون ضمير المنادي جاء بالجمع ﴿فنادوا﴾ وليس فرداً منهم والا لجاء قوله ﴿فنادى

---

(1)سورة الرعد: آية (7).

(2)سورة النجم: آية (2).

(3)سورة التكوير: آية (22).

صاحبه﴾.. ولكننا حينما نتتبع سياق النص نجد ان من قام بفعل العقر هو فرد لقوله ﴿فعقر﴾ اذن من قام بالعقر وكيف قام به؟!!

لنتدبر النص:

﴿فنادوا﴾ = جمع = الرهط

﴿صاحبهم﴾ = جمع

الضمير ﴿هم﴾ = الرهط

﴿صاحب﴾ = رسول الله

﴿فقعر﴾ = فرد = صاحب = رسول الله

ما هو فعل [العقر] الذي قام به رسول الله؟!!

اذن رسول الله هو من قام بالعقر.. فما هو الذي قام به بالضبط؟!! وكما علمنا من الفصول السابقة في قضية زكريا وزوجه وربطنا للأحداث بقضية ناقة الله التي عقروها وفهمنا ان العقر جاء في قضـــية امرأة زكريا معناه انها كانت خارج بيت زوجها لفترة زمنية معينة ورجعت لقوله تعالى ﴿وأصلحنا له زوجه﴾ وأيضا في قضية الناقة فان مساسها بسوء لا يعني أكثر من إخراجها من مراعيهم وحياضـــهم ومشـــربهم وهذا الابعاد لا يحتمل الاستمرار لأنه ليس قتلاً او ذبحاً كما أثبتنا سابقاً.

فكيف قام صالح بفعل العقر يا ترى؟!!

لنقع على معنى فعل العقر الذي قام به صـالح يجب ان نراجع الفعل الذي قام به قبله:﴿فنادوا صاحبهم.. فتعاطى ...فعقر﴾

ان فعل التعاطي ضـميره وعائديته على رسـول الله صـاحبهم نفسـه فهو من قام بالتعاطي بعد المناداة ونحن نعتقد ان صـالحا قد تعاطى مع المجرم القاتل الذي قام الرهط باستئجاره بعد ان انبأه الله بكيدهم.. لنرجع الى النص كي نكون على بينة مما نقول..

قال تعالى: ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (49) وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (1)

فان المكر الذي قد بينه الله في هذا النص واضـح انه كان دون علم الرهط ومتداخل مع مكيدتهم وهذا ان دل فعلى ان الله قد أحاط بما ينوون من سـوء باهل صـالح علماً منه واعلاماً لرسـول الله ففعل التعاطي الذي قام به صـالح هو نفسـه الذي قال عنه الله ﴿ وَمَكَرْنَا مَكْرًا ﴾ وهم لا يشـعرون ونحن نتصـور ان رسـول الله قد قام بفعل يجعلهم يشـعرون ان مكيدتهم وخطتهم تجري حسب ما يشتهون ولم يشعرهم انه قد علم بما ينوون فعله.. اذن بعد ان تعاطى صـالح مع المجرم قام بفعل العقر وهو

(1)سورة النمل: آية (49).

الخروج من بينهم بعد ان نبأه الله بان امره فيهم نافذ وسيعذبهم بمكرهم هذا.. قال تعالى:

﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾[١]

وهذا الخروج الوقتي جاء مصداقاً لقوله تعالى:

﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾[٢]

اذن القصة تكون على المنوال التالي:

بعد ان أرسل الله الناقة لقوم ثمود قاموا بعقرها واخراجها من مراعيهم وبعد ان تطيروا بصالح ومن معه ﴿الناقة وأهله ومن آمن معه﴾ كادوا له ومكر الله وهم لا يشعرون فجاء وعده وامره مصداقاً لقوله تعالى ووعده بان عذابه لهم بعد ثلاثة أيام من اخراجهم للناقة وامر صالح ان يقوم بالخروج دون ان يشعرون كي لا ينفذ أحدهم من عذاب الله ولكي يكونوا على بينة ان خطتهم تجري على حسب تخطيطهم لها.. وهكذا اكملنا الشطر الأول من المبحث لندخل في الشق الثاني الذي يختص بتدبر القصص التي تتحدث عن تجليات ﴿ناقة الله﴾في قوم صالح وباقي الاقوام

(1)سورة هود: آية (66).

(2)سورة هود: آية (65).

السابقة لهم واللاحقة.. والسؤال المهم هنا هو: ماذا ترك النبي صالح من بعده إذا لم يكن لديه كتاب وتركة يتركها من بعده فهو بلا ذرية ولا كتاب لماذا اذن اقترن وصف ﴿رسول الله﴾ به؟!!

الجواب: ان ما تركه النبي صالح ﴿عليه السلام﴾ من بعده ومستمر دون انقطاع أثره ليخرج مرات ومرات في ازمان أخرى لتحقق مشيئة الله في افتتان اقوام وانبياء ليخرج ما في قلوبهم ويصلح سرائرهم هو ﴿ناقة الله﴾ !!

ولكي نضع النقاط على الحروف سنحاول التطرق لقضية الناقة وارتباطها بقصة رسول الله صالح ﴿عليه السلام﴾.

الناقة مبصرة:

قال تعالى:﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ۚ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾[1]

إن المتدبر لهذا النص جيداً يجد فيه عدة مفردات تستحق التأمل وعدم المرور بها مرور الكرام من هذه المفردات قوله ﴿واتينا ثمود الناقة مبصرة﴾، كما إن ارتباط هذا النص بنصوص في آيات اخر يحتم علينا البحث والتقصي في كل اركان القرآن الكريم عن تدبر يرتقي بإفهامنا الى وضع قصة قابلة للإدراك الذهني من قبل الناس والمجتمع لقضية الناقة وادوارها في قصص الأنبياء المذكورة في القرآن.

(1)سورة الاسراء: آية (59).

قال تعالى: ﴿إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ﴾ [1]

فالناقة لها اوصاف عديدة منها انها ﴿مبصرة﴾ و ﴿مرسلة من قبل الله﴾و ﴿معرفة بأل التعريف﴾و ﴿فتنة لقوم ثمود﴾ ... وبعيداً عن تكهنات الموروث الروائي للمفسرين حول هذه المفردات التي حاولوا لَيَّ النص ونسف مضامينه من اخلال اسقاطات اذهانهم على هذه الناقة والتي قلنا سابقاً انها ليست انثى الجمل سنقوم بتفكيك النص وتدبر كل مفرداته لنصل الى الحقيقة التي أراد الله ايصالها لنا في الذكر الحكيم من خلال ايماننا ان الدين يؤخذ من خلال كلام الله والتاريخ يؤخذ من الروايات وكلام الله بعيد كل البعد عن مكر المدلسين والمزورين اما الرواية فلم يتعهد الله بحفظها ولا برعايتها كما تعهد للذكر الحكيم:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[2]

الوصف البايولوجي لناقة الله:

ان النظر الى العالم من حولنا يتم بواسطة آلة النظر التي اودعها الله في مخلوقاته كافة بكل أنواعها والتي يطلق عليها ﴿العين﴾ او المستشعرات التي تعمل بالذبذبات الارتدادية والتي تحل محل العين في بعض أنواع الكائنات الحية والية عمل العين تشترط وجود ضوء ساقط على المساحة المراد رؤيتها والنظر اليها فما هو الفرق يا ترى بين البصر والنظر والرؤية؟!!

(1)سورة القمر: آية (29).

(2)سورة الحجر: آية (9).

قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾[1]

أصبح لدينا عدة مصطلحات وهي ﴿بصر – نظر – رؤية – أعين﴾

لنتابع قول المعاجم[2] في هذه المفردات:

نظَر الشّيءَ/ نظَر إلى الشّيء/ نظَر للشّيء: أبصره، أدركه بواسطة القدرة البصريّة

رَجُلٌ بَعِيدُ النَّظَرِ: بَعِيدُ الرُّؤْيَةِ، أَيْ يَنْظُرُ إِلَى الأَشْيَاءِ بِفِكْرٍ وَاسِعٍ.. انتهى ...

يبدو ان أصحاب المعاجم لا يستطيعون التمييز بين هذه المفردات ويعتبرونها كلها دالة على النظر من خلال العين بصورة متغيرة بحسب الاستعمال اللفظي في الكلام ونحن نعتقد جازمين ان النص القرآني قادر على وضع منهج تدبر يفرق بين هذه المصطلحات على الأقل بما ينفعنا في فهم قوله ﴿الناقة مبصرة﴾.

وإذا قلنا ان الناقة هي كائن حي ﴿حيوان﴾ من خلق الله يمكننا تمييز هذه الكائنات حسب هذا المفهوم الى قسمين ميزهما الله بأسمائهما الدالة عليهما:

(1)سورة آل عمران: آية (143).

(2)المعجم الوسيط.

1- كائنات حية ﴿حيوانات﴾ مبصرة.

2- كائنات حية ﴿حيوانات﴾ غير مبصرة.

وتشترك هذه الكائنات الحية في كونها تمتلك الآلية التي من خلالها يتم الابصار الا وهي ﴿الاعين﴾ والتي مفردها ﴿عين﴾، وما يهمنا هو معرفة التصنيف للنوع الذي تنتمي له هذه الناقة المبصرة وماذا يعني كونها مبصرة؟!!

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[١]

من خلال تدبرنا لهذا النص نفهم عدة أمور أهمها:

1- هناك كائنات لها اعين لا تبصر بها.

2- شبه الله هذه الكائنات بالإنعام بل اضل.

اذن الكائنات التي تبصر هي ليست من نوع الانعام، فالأنعام لها اعين ولكنها لا تبصر بها!! ماذا يعني هذا الكلام... وهل انت تعي ما تقول.. كيف بمن يملك العين ان لا يبصر.. الا ان كان اعمى البصر والعين.. وربما انت منهم يا كاتب هذه الاسطر؟!!

(1) سورة الاعراف: آية (179).

كـلا يـا عزيـزي الناقـد.. فـان الله قـد بـين مـا نفتـري مـن قـول بهـذه المباحث في آياته الكريمة.. لاحظ معي:

قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾[١]

الفرق بين الدواب والانعام:

اذن فقد قسم الله الكائنات الحية «الحيوانات» الى قسم يسمى انعام وقسم يسمى دواب، وان استنتاجنا يقول ان الناقة المبصرة ليست من الانعام انما من الدواب فما هي الانعام وما هي الدواب؟!!

الانعام هي الابل والبقر والماعز والضأن وهي كائنات تم تسخيرها وتذليلها لينتفع بها الانسان لها اعين لا تبصر بها وقلوب لا تفقه بها واذان لا تسمع بها، وقبل ان يذهب ذهنك بعيداً نقوم بتوضيح هذا الكلام اكثر فمرادنا من القول اذن لا تسمع بها يعني لا تميز من السمع ما تستطيع اتخاذ القرار به ولا تميز من البصر ما يمكن الاستدلال به ولا تفقه شيئا فهي انعام مسخرة للإنسان وليست دواب فالماعز لا يميز من الراعي سوى رائحته سواء كان يريد ان يذبحه ام يريد ان يطعمه وهكذا باقي الانعام لا تفقه شيئا فهي نعمة من نعم الله سميت تيمناً بالنعم فاطلق عليها جمعاً انعام وهي بهذا التفصيل ...

(1)سورة الانعام: آية (32).

قال تعالى:﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (143) وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (١).

وربما يقول أحدهم ان الخيل أيضا من الانعام او كيف استثنيتها من كلامك فنرد عليه من كتاب الله الذي فيه تبيان لكل شيء، قال تعالى: ﴿وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ﴾(٢)

[ناقة الله] من الدواب وليست من الانعام:

فكيف يمكننا تمييز باقي المخلوقات كونها انعام من غيرها؟! نقول: هناك اية فصلت الانعام وحصرتها بهذه المخلوقات ﴿الإبل والضأن والمعز والبقر﴾ فقط ويمكن أيضاً إدراك ان الخيل مثلاً يمكن ترويضها وتعليمها من خلال حواس السمع والبصر والمشاعر وهكذا كثيراً من الدواب الأخرى.

(1)سورة الانعام: آية (143 – 144).

(2)سورة آل عمران: آية (14).

اذن الناقة المبصـرة هي من نوع الدواب ﴿أمم امثالكم﴾ لها عين تبصـر بها وتميز الخبيث من الطيب ومن أراد بها سوءاً ممن أراد بها خيراً وهكذا.. وقد نرى كثيراً من الناس من له اعين يمكنه من الرؤية بها لكنه لا يشـعر بقلبه الرفق واللين حينما يرى شخصاً معوزاً محتاجاً او انساناً اخر يسفك دمه او طفلاً أصـابه الأذى فهذا الانسـان له اعين يرى بها ولكنه لا يبصـر ويميز ويشـعر بقلبه من خلالها ويمكن الاطلاع على أنواع الحيوانات التي تم ترويضها في السرك والتي لا تشتمل على الانعام مثل الفيلة والأسود والكلاب وغيرها، فبعد ان ميزنا ان قوله ﴿مبصـرة﴾جاء لكي نفهم انها ليسـت انثى الجمل﴿الابل﴾ من الانعام انما كائن حي من صـنف الدواب مبصراً نلاحظ ان الله ميزها بأن نسبها الى لفظ الجلالة بقوله ﴿ناقة الله﴾.

قال تعالى:﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾[1]

فنحن نستطيع ان نفهم ان المال لله والأرض لله ولكن كيف بالناقة ان تكون لله ومن اين لله هذه الناقة؟! هل خلق الله ناقة له فسميت ناقة الله ام أعطاها له شخص اخر فنسبت له؟!!

المنهج البحثي في تدبر القرآن:

يعتقد بعض الاخوة المتابعين انه من الممكن اسقاط مبحث كامل بكل اسـتدلالاته ومنهجيته من خلال كلمة واحدة او سـطر واحد يعتقد هو به، وقد رسـخ اعتقاده هذا من خلال معلومات تراكمية دون الاخذ بالاعتبار ان

(1)سورة الشمس: آية (13).

المنهج البحثي يقودنا الى نتائج حتمية يمكن التيقن منها، وبالأخص في قضايا تدبر القرآن خارج سياق الموروث، ولكي ادلكم على الطريق الصحيح لفهم ما نفتري من هذه الاسـطر عليكم أولاً ان تقرأوا المبحث من بدايته، ثانياً عليكم ان تهجروا المعلومات السابقة التي تحاكي الموروث الشعبي والاخباري، وتهجروا الروايات التي وضـعت لتشـويه قوله تعالى الحق في الذكر الحكيم، وقد يعتقد البعض اننا بهذا الكلام قد ندعوا الناس القارئين لما نكتب الى ترك ارث محمد وآل محمد من سنن واحاديث وروايات، سواء عنه صلوات ربي عليه وعلى اله التسليم او عن اهل بيته الطاهرين او عن صحابته رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ونقصد بالصحابة هم من سار على نهج محمد وآله ذوي القربى دون أن يحيد عنه، لا كما يفسـره ارباب المذاهب من ان أي شخص رأى النبي ولو لساعة فهو صحابي، هذا اعرابي وليس صـحابي والاعراب اشـد كفراً ونفاقاً، فنحن في مبحثنا لا نحيد عن الرواية والسـنة ولا ندعوا لهجرها اطلاقا لقوله تعالى:﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾[1]، بشـرط ان يكون من الثابت لدينا ان هذه الرواية ليسـت مكذوبة على الرسول او الائمة والصـحابة وان تكون حقاً رواية نطق بها الرسـول ولم يطالها التحريف والتزوير الاموي والعباسي وما تبعهم من مزورين ومدلسين.. ومن خلال المعيار الذي وضعه لنا أئمة اهل البيت ﴿عليهم السلام﴾ في تمحيص الرواية والتي لم يتطرقوا في معاييرهم يوما الى العنعنة وعلم الرجال بل كان معيارهم لتصـديق

(1)سورة النساء: آية (80).

الرواية وتكذيبها هو ﴿كتاب الله﴾ فما طابق القرآن نأخذ به وما خالفه نرمي به عرض الحائط.. كيف والاخوة يدعوننا ان نركن لكل رواية من اجل تفسير القرآن بل لكي يميزوا القرآن ان كان صادقاً من عدمه يعرضوه على الروايات ليفهموه... كلا وألف كلا لهذا المنهج العقيم الشاذ.. انما قالوا لنا ﴿عليهم السلام﴾ ان نعرض الرواية على كلام الله لا العمل بالعكس.. وهكذا نفهم نحن ونعمل ونتدبر..

إشكالية فهم مصطلح [ناقة الله]:

قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾[١]

اذن اخوتي نكمل تدبرنا لقوله تعالى ﴿ناقة الله﴾ ونحاول ان نضع النقاط على الحروف من خلال تدبر كل الآيات التي تبين لنا سر هذا المصطلح الذي ربما يجعلنا في حيرة من امرنا لكوننا نعلم جيدا ان لو شاء الله لاصطفى مما يخلق ما يشاء ويتخذه له خالصا.. قال تعالى:

﴿لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ سُبْحَانَهُ ۖ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾[٢]

(1) سورة مريم: آية (88-92).

(2) سورة الزمر: آية (4).

اذن كيف نفهم قوله تعالى ﴿ ناقة الله﴾ وكيف ينسب الله ورسوله ﴿ناقة مبصـــرة﴾ الى لفظ الجلالة ﴿الله﴾ وقد أثبتنا في الفصـــول الســابقة ان هذه الناقة ليســـت من صـــنف الانعام أي ليســـت انثى الجمل وانما من صـــنف الدواب وهذه علّة قوله ﴿مبصـــرة﴾ ..الجواب في قوله ﴿ يتخذ﴾ فهذا القول يجعلنا نفهم ان الله حينما يقول ﴿يتخذ﴾ فأن فعل الاتخاذ هذا هو ناتج من رغبته وفعله هو وليس بفعل فاعل؟!!

ماذا يعني هذا القول؟!!

هذا يعني انه لو أراد الله ان يتخذ بنفسه ولداً لاصطفى له مما يخلق ما يشاء ولكن لو اعطى شخص ما الى الله شيئا فانه ان تقبله منه فهو يصبح خالصاً له تعالى ولتمسك بهذه الاسطر في ذهنك ربما تحتاج اليها فيما بعد واصبر علينا لكي نفهم سوياً هذه الاطروحة ...

العودة الى قصة البتول:

قـال تعـالى: ﴿إِذْ قَالَـتِ امْـرَأَتُ عِمْـرَانَ رَبِّ إِنِّـي نَـذَرْتُ لَـكَ مَـا فِـي بَطْنِـي مُحَـرَّرًا فَتَقَبَّـلْ مِنِّـي ۖ إِنَّـكَ أَنـتَ السَّـمِيعُ الْعَلِـيمُ (35) فَلَمَّـا وَضَعَتْهَا قَالَـتْ رَبِّ إِنِّـي وَضَعْتُهَا أُنثَـى وَاللَّـهُ أَعْلَـمُ بِمَـا وَضَعَتْ وَلَـيْسَ الـذَّكَرُ كَالْـأُنثَى ۖ وَإِنِّـي سَـمَّيْتُهَا مَـرْيَمَ وَإِنِّـي أُعِيـذُهَا بِـكَ وَذُرِّيَّتَهَـا مِـنَ الشَّـيْطَانِ الـرَّجِيمِ (36) فَتَقَبَّلَهَـا رَبُّهَـا بِقَبُـولٍ حَسَـنٍ وَأَنبَتَهَـا نَبَاتًـا حَسَـنًا

وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[1].

حينما نعود مراراً وتكراراً على قصـــة مريم ابنه عمران فلأنها حاوية على معاني كثيرة ممكن الاستفادة منها لترسيخ عقائد مهمة لإسلام الانسان لربه، ولنسأل أنفسنا من خلال تدبر النص السابق هل اتخذ الله مريم واصطفاها ام كانت نذراً خالصاً له واصطفاها مرتين وليس مرة واحدة، المرة الأولى اصطفاها كنذرٍ تقبله من أمها تكريماً لآل عمران والمرة الثانية اختارها لتحمل المسيح عيسى ابن مريم طاهرة مطهرة دون ان يمسها بشر كما أثبتنا في الفصول السابقة من خلال تدبر النص القرآني.. اذن قوله تعالى ﴿تقبلها﴾ يختلف في البناء والتركيب والحال عن قوله تعالى:﴿ اتخذها﴾ فحينما يتقبل الله شيئاً كنذرٍ يصبح خالصاً له بفعل خارج عن ذاته وينسبه الله لنفسه، ويمكن إضافة لفظ الجلالة له بقولنا في حالة مريم ﴿ نذر الله﴾ ومن خلال هذه الاطروحة يمكن الاستنتاج ان الناقة المبصرة هي نذر تقبلها الله ولم يتخذها الله من تلقاء نفسه، فما هو هذا النذر ومن اين جاء ومن قام بفعل النذر وكيف تغير جنس النذر ليصبح بهذه الخوارق للعادة الحيوانية الموجودة في مخلوقات الله؟!! انا اعتقد ان الأجوبة على هذه الأسئلة كلها يمكن استخلاصها من آيات الذكر

(1)سورة مريم: آية (88-92).

الحكيم المنتشـرة في السـور للدلالة على مفهوم مقبول لقصـص القرآن الكريم ولا ننسـى ان هذا الكلام هو كلام الله بلسـانه الازلي القديم وهو يصلح لكل زمان ومكان وفيه من المعاني ما لا يعد ولا يحصى قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[1].

وقد نجد في القرآن ان الله ينكر على من يتقول عليه ان له شـركاء في الملك او يصفون الملائكة بانها بنات الله وحاشاه قال تعالى:

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ (149) أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ (150) أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (151) وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (152) أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾[2].

بل إن هذا القول المفترى على الله تكاد السـماوات ان يتفطرن منه وتنهد الجبال هدا وتتشـقق الأرض قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (88) لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (89) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (90) أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (91) وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا (92) إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾[3].

(1) سورة مريم: آية (88-92).
(2) سورة الصافات: آية (149-152).
(3) سورة مريم: آية (88-92).

اذن نفهم من هذه السياقات القرآنية وسياقات اخر للذكر الحكيم ان الله لم يتخذ له ولداً ولا شريك في الملك ولا ملائكة اناثاً، وما ينبغي له أصلاً فعل هذا لأنه خرق لنواميس الكون في أوحدية وتفرد واجب الوجود الواحد الاحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد..

وقد يحاول أحدهم ان يرد علينا بقوله ان هناك أسماءُ تنسب للفظ الجلالة كقولنا ﴿عبد الله﴾ مثلا.. او شيئاً مادياً كقولنا ﴿ ارض الله ﴾ او ﴿ مال الله﴾ نقول اننا يجب ان نحدد كون الشيء ليس من الصفات للمخلوق فالعبد صفة للمخلوق وقولنا ﴿رسول الله﴾ هي صفة للمخلوق وأيضا يجب ان نميز الناقة عن الأشياء المادية فهي ناقة مبصرة تأكل وتشرب وليست مالاً او ارضاً جماداً خلقاً من الناحية التكوينية عائديتهِ لله يضاف لأسمه لأنه في الأصل خالق الكون ويستطيع كما قلنا سابقاً ان يتخذ مما يخلق ما يشاء فلم تنسب الأرض لله او المال لله لأنه ﴿اعطي﴾ لله من قبل شخص بل لان الكون كله في الأصل من خلق الله ولكن الناقة كائن حي يمكن إعطائه لله كنذر وهدية وقربان لا يتخذه الله لنفسه انما يتقبله من المعطي له كعلامة على قبول التوبة والتشفع والتضرع له جل وعلا ولندخل في تفاصيل ادق سنتطرق لعائدية هذا القربان او النذر ...

الفصل السادس

المحراب المقدس

ان تقبل الله لما في بطن امرأت عمران حينما نذرته خالصاً لوجهه تعالى كي لا تنقطع النبوة في نسل آل عمران هو تكريم وتشريف واصطفاء حيث ان الله قد تقبل مريم (عليها السلام) كنذر له وهذا التقبل جعلها في مكانة تتنافس عليها نساء الأرض منذ بداية الخليقة فهي سيدة نساء العالمين الوحيدة بينهن المؤهلة لحمل روح الله في بطنها دون ان يمسسها بشر فأنبتها نباتاً حسناً وطهرها واصبح رزقها يأتيها في المحراب من عند الله والملائكة تتنزل عليها تباركها وهي راكعة وقانتة في محرابها المقدس في قدس اقداس الله واصبح عيسى و أمه مريم العذراء (عليها السلام) آيتين ظاهرة للعالمين، والله جل وعلا يأبى لنفسه وهو الغيور ان ينسب له خلق من خلقه الا ان كان من النذور او هدية او قربان خالصاً لوجهه.

قال تعالى:﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي ۖ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (35) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (36) فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا

زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾(1)

ونحن نظن أيضاً كما توصلنا في نتائج بحثنا ان ﴿ ناقة الله﴾هي نذر قد تقبلها الله ولم ﴿ يتخذها﴾ مما يخلق ما يشاء، وان الشخص الذي قدمها لله هو شخص متقي وصالح كما كانت امرأت عمران تقية وصالحة ونعتقد أيضا ان اية تقبل القربان ظاهرة وبيّنة أي ان من قدم الناقة كهدية لله قد علم ان الله قد تقبلها منه من خلال آيات بينات ظاهرة وليس وحياً وقولاً فقط ولهذا أصبحت الإشارة للناقة تتم ﴿بأل﴾ التعريف فهي ناقة معرفة ومعروفة للعالمين في زمن كانت قرباناً وهديةً خالصةً لله ومضافة الى ﴿لفظ الجلالة﴾من حيث الإشارة لكينونتها! ماذا يعني هذا؟!!

آية تقبل القربان حكاية متوارثة ومعروفة:

يعني اننا نفهم ان الله سبحانه وتعالى كان يعطي آيات بينات لكل من قدم له قرباناً كدليل منه على تقبل هذا القربان وكانت الاقوام والأمم تعرف هذا الشيء جيداً وتشير اليه في اثارها ورسوماتها ومسّلاتها كإرث تأريخي ومعرّف للأقوام والاجيال القادمة المهتمة بتاريخ اوطانها... وقد نقع على مضامين ما توصلنا اليه في مضان الآية القرآنية الكريمة التالية:

---

(1)سورة آل عمران: آية (35-37).

قال تعالى:﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[1].

إذن كان هناك حكاية متوارثة في البلدان المختلفة عن قضية القربان الأول ولهذا كانوا يطلبون من الأنبياء والرسل تكرار القصة كلما جاؤوهم منذرين ومبشرين وإذا تدبرنا النص جيداً نفهم ان آية تقبل الله للقربان تكون ظاهرية للعيان بحيث يعرف كل من يحضر ويشهد القضية ان الله قد تقبل هذا القربان﴿الهدية﴾ والسؤال المطروح حالياً هو هل ان هذه الناقة ﴿ ناقة الله﴾ هي نفسها القربان الأول؟! وما علاقتها مع النار التي ﴿تأكل القربان﴾؟! هذا اذا ما علمنا ان الناقة كانت موجودة بكيانها قبل ارسالها لقوم صالح وكونها مبصرةً على الدوام لإن كلمة ﴿مبصرة﴾ هي اسم فاعل وليس ﴿ابصرت﴾ من اسم للفعل الماضي، اي ان كونها مبصرة يدل على انها مبصرة على الدوام وان ارسالها لقوم صالح يدل على تواجدها أيضا فلا يمكن ارسال الشيء اذا لم يكن موجوداً بكيانه وحصول قضية القربان الذي تأكله النار اصبح مؤكداً لدينا بتأكيد الله سبحانه وتعالى له في قوله:

﴿قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ﴾[2]

(1)سورة آل عمران: آية (183).

(2)سورة آل عمران: آية (183).

زمن القرابين: قربان تأكله النار

اذن يؤكد الله سبحانه وتعالى عدة مضامين:

1- ان هناك رسلاً جاءت بما افترى به القوم.

2- افتراء القوم كان ان الله عهد إليهم ان لا يؤمنوا لرسول الا ان يأتيهم ﴿بقربان تأكله النار﴾.

3- يستنكر الله على القوم قتلهم الأنبياء الذين جاؤوهم ﴿بقربان تأكله النار﴾.

4- نفهم من هذه الآية ان حادثة القربان الذي تأكله النار قد تكررت مراراً وان الله يؤكد على حصولها.

5- يؤكد الله سبحانه وتعالى في هذه الآية ان من قدموا القربان الذي تأكله النار هم رسل جاءوا اقوامهم بالبينات.

اذن متى حصلت هذه القصة ﴿القربان الذي تأكله النار﴾ و، لأي الاقوام يا ترى؟! قطعاً ان زمن القرابين كان قبل ارسال الناقة لقوم﴿صالح﴾ لأنها كما أسلفنا ﴿ناقة الله المبصرة﴾وهي ﴿مرسلة﴾ أي موجودة زمنياً قبل ارسالها لقوم صالح فتنة لهم من قبل الله على لسان نبيهم صالح ﴿عليه السلام﴾.. وللإجابة عن هذه الأسئلة سوف نتتبع كلمة قربان في آيات الذكر الحكيم ولنبدأ بالقصة من أولها.

أول القرابين المقدسة: قربان أبي آدم:

قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (1)

ان حادثة القربان في قصة ابني آدم هي اول وأقدم حادثة تم الاحتكام فيها الى الله من خلال تقديم قربان كهدية خالصة الى الله وإذا ما عرضنا هذه الحادثة على منهجنا البحثي والاستنتاجات التي توصلنا اليها في النقاط السابقة من خلال تدبرنا لآيات الذكر الحكيم نفهم عدة نقاط:

1- ابني ادم قد قدما قرباناً الى الله وفعلهم هذا يقابل الآية في قوله تعالى: ﴿لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار﴾.

2- ان آية تقبل القربان من قبل الله ولكي يعلم الشخص ان قربانه قد تقبله الله هو ان تأكله النار.

3- ان من تقبل الله منه القربان هو ﴿رسول﴾ من عند الله ولفضله عند الله فأن الله تقبل قربانه بأن اكلته النار ولكي يفتتن الابن الاخر فأنه رفض قربانه.

(1) سورة المائدة: آية (27).

النار المقدسة تأكل القرابين:

لنقرأ النص من جديد..

قال تعالى:﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حتى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (1)

شـرط تقبل القربان هو ان تأكله النار.. فما هي هذه النار التي تأكل القربان المقدم الى الله كآية على تقبله؟! وهل هناك أنواع من النار؟! نار تأكل ونار لا تأكل.. ربما يضحك علينا البعض من خلال قراءته لهذا الكلام فيقول ان النار تحرق كل شـيء وحرقها يعني اكلها للقرابين فماذا تعني بقولك قربان تأكله النار؟! وما علاقة هذا الاستنتاج بقضية ﴿ناقة الله﴾؟! إذا كانت النار قد اكلت القربان أصـلاً.. فلا وجود للناقة.. اقول ...ايها العزيز احتفظ بهذه الأسئلة في ذهنك لأننا تعهدنا بطرح كل مفردة على النص القرآني لتدبرها من اجل الوصـول الى طرح شـافي ووافي لقصـص الله وسهل على الاذهان تقبله.. اذن حينما نقول ان اية تقبل القربان ان تأكله النار فنحن لانقصد أي نار بل نار الهدى المقدسة وهي النار التي يخلق الله منها مخلوقات الجان والملائكة حيث ان الملائكة هم مخلوقات من نار في أحسـن تقويم وصـفة الفسـق في الملائكة تجعلهم تحت تصـنيف ﴿الجن﴾.

(1)سورة آل عمران: آية (132).

قـال تعـالى:﴿وَإِذْ قُلْنَـا لِلْمَلَائِكَـةِ اسْجُدُوا لِـآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّـا إِبْلِـيسَ كَـانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾[1].

النار المقدسة تحيي كل ما يلقى فيها:

ان النار التي تأكل القربان لا تحرقه ولا تحوله الى رماد بل تجعل منه كائناً حياً وليس فقط القربان بل كل ما يلقى فيها يتصف بصفة الكائن الحي لأنها مادة الخلق واصل الطاقة الحرارية ومصدر الجان ولا يكون الطين فخاراً الا ان يمتزج بلهيبها المقدس.

قال تعالى:﴿إِذْ قَالَ موسى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾[2].

وسأحدثكم بشيء من التفصيل عن هذه النار المقدسة التي يأنس بها البشر فور رؤيتها، فهي ليست ناراً عادية موقدة في جبل يرتاب ابن السبيل حينما يراها خوفاً من الغريب الذي اوقدها، بل هي نارٌ يأنس البشر بها حينما يراها بل هي تتطاير فوق جذوتها الشهب وكلمة ﴿تصطلون﴾ انفردت بها هذه النار المقدسة دوناً عن باقي النيران التي جاء ذكرها في القرآن الكريم والتي تعبر عن الدفء في شدة البرد ونحن نعلم حينما ينفرد الشيء بوصف معين يكون تكريماً من قبل من أطلق الوصف على الموصوف..

(1)سورة الكهف: آية (50).

(2)سورة النمل: آية (7).

لا نحيد عن منهجنا رغم صعوبة تقبله من المجتمع:

حينما نتكلم في مبحث المائدة المستديرة عن سياقات قرآنية ونحاول الربط فيما بينها للوصول الى أقرب تصور ممكن لقصص الأنبياء ﴿عليهم السلام﴾ وبالأخص فيما يتعلق بالرسالة المحمدية وتبيان حقائق غابت عن التدبر لعقود مضت، فهذا التدبر والرأي لا يخلو من تقصير وهو أقرب للظن منه الى الحق لذا فنحن نؤكد للقارئ الكريم والمتابع لما نفتري ان هذه السلسلة غير ملزمة لاحد ان يأخذ بها او يرمي بها عرض الحائط فانا مثلاً لا اعتقد ان ما اكتبه هو موجود في كتاب الله حقاً بل هو استنباط للرأي وليس قطعٌ به اطلاقاً..

قال تعالى:﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾[1].

وبالتالي ومصداقاً للآية الكريمة السابقة فنحن لا ندعوا أحداً ان يأخذ بما نكتب او ان يصرف من وقته الثمين في قراءة كتابات مغايرة لما ورثه من مفاهيم دارجة في المجتمع والبيئة الثقافية التي يألفها، انما ارجو وجه ربي لا اريد منكم جزاءً ولا شكوراً، وان بقيت الحياة بمشيئة الرحمن ورأت هذه السلسلة النور من خلال طباعتها ككتيب بسيط ارجو ان يوفقني

(1)سورة البقرة: آية (79).

الله لنشـــره لوجه الله تعالى خدمة للثقافة والعلم واحقاق الحق وتبيان ما خفي عن النـاس من مبهمـات في القرآن الكريم جعلتهم يحيـدون عن الصراط المستقيم دون ان تكون لهم يد فعلية في التحريف والتزوير الذي نالته السـيرة النبوية.. فقد اقسـم ابليس اللعين ان يقعد للناس صـراطهم الحق المستقيم الا عباد الله المخلصين..

قـال تـعـالـى:﴿قَـالَ أَنـظِـرْنِـي إِلـى يَـوْمِ يُـبْـعَثُـونَ (14) قَـالَ إِنَّـكَ مِـنَ الْمُنظَرِينَ (15) قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [1].

وبالتالي فأن الأنبياء والمرســلين لا يأتون بآيات مبصــرة وملموســة الا للأقوام التي بحاجة الى من ينذرهم عذاب الله ان هم أبو الا كفراً وعصــياناً وفساداً في الأرض وتقتيلاً بالنسل وهلاكاً للحرث.. وربما يمكننا ان نستلهم بعض ما ينفعنا في الاســتدلال لإكمال مبحثنا من قصــة موســى﴿عليه السلام﴾ ولقائه بربه عند النار ﴿المقدســة﴾ بالقرب من الذات الإلهية والتي في جذوتها المباركة يوجد الهدى.. لنتابع..

موسى عليه السلام والنار المقدسة:

قال تعالى:﴿إِذْ قَالَ موســى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَســْتُ نَارًا ســَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ [2]

(1)سورة الاعراف: آية (14 –16).

(2)سورة النمل: آية (7).

فهل انس موسى﴿عليه السلام﴾ النار لوحده ام اهله أيضاً انسوا تلك النار يا ترى؟!! لكي نفهم هذا المشهد القرآني بصورة ادق يجب ان نبحث في المفردات ونتأنى في الطرح لعلنا نصل الى استنباط قد يسعفنا في فهم ما لم نحصل له على جوابٍ شافي من خلال الاطلاع على كتب المفسرين فما معنى ان يأنس الشخص بالنار يا ترى؟!!

ومن خلال عرض نصوص قرآنية أخرى وجدنا ان هناك عدة مفردات استخدمها الله للدلالة على الحادثة منها قوله تعالى في سورة طه:

﴿إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ [1].

ان هذا النص لوحده فيه مطالب عدة يمكن فهمها من خلال تقسيم المفردات الى عدة نقاط:

1- موسى رأى ناراً...

سؤال: هل رأى موسى النار لوحده ام اهله رأوا النار أيضا؟!!

2- موسى انس ناراً ...

سؤال: لماذا اختلف تعبير موسى بقوله ﴿انست﴾ بدلا من قوله ﴿رأيت﴾فهو قد رأى نارا في بداية النص؟!!

(1)سورة طه: آية (10).

3- قال موسى لأهله ﴿لعلي آتيكم منها بقبس او أجد على النار الهدى﴾.

سؤال: هل كان موسى﴿عليه السلام﴾ ضالا ليبحث عند تلك النار عن الهدى؟!! وهل من يضل الطريق مع قافلة يظل لوحده؟!! ام يكون التعبير عن ظلال الطريق بالجمع كقولنا ﴿او نجد على النار الهدى﴾؟!!

ان طرح السؤال المناسب لتدبر النص قد يجعلنا نحصل على جوابٍ شافي وهذا مالم نجده في اغلب الكتب التي تطرقت لهذه المفردات وبالتالي فأننا نفهم من خلال طرحنا للسؤال الأول ان موسى﴿عليه السلام﴾ لوحده هو من رأى تلك النار ولم يراها اهله معه وان المتتبع لقصة موسى﴿عليه السلام﴾ وسيرته يعلم جيدا ان موسى مشهور بانه عجول دائماً ﴿مستعجل﴾.. قال تعالى:

﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَى (83) قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴾[1].

ولكيلا ينشغل بمحاولة اثبات وجود النار لأهله من عدم وجودها او تبيان امرها لهم ويفوته اللحاق بتلك النار فقد كان هناك تباين بين المصطلحات بين ﴿رأى نارا﴾ و ﴿انس نارا﴾ ولهذا جاءت صيغة الفعل بالماضي ولو كانوا جميعا قد رأوا تلك النار ربما لقال لهم

(1)سورة طه: آية (83 – 84).

﴿أنــى أرى نــارا﴾ بالمضــارع.. ولعلــم موســى بانــه وحــده مــن يســتطيع رؤيــة تلــك النــار لأنهــا ليســت نــاراً عاديــة بــل نــارٌ مــن نــوع خــاص ممــا اثــارت فضــول موســى العــالم النبــي وهــو فــي مرحلــة الاعــداد لحمــل رســالة ربــه وتبليغهــا لفرعــون ﴿ان أرســل معــي بنــي إســرائيل﴾ إيــذاناً بانتهــاء الــبلاء المبــين الــذي وقــع علــيهم بــان ســلط علــيهم فرعــون ﴿يــذبح أبنــائهم ويســتحيي نســائهم﴾.. اذن مــن هــم المــؤهلين لرؤيــة تلــك النــار ومــن الــذي اشــعلها ومــا هــو الهــدف الــذي رســمه موســى لنفسه في تتبع إثر تلك النار؟!! لنتابع ...

الهدف الذي رسمه موسى في تتبع أثر النار المقدسة:

قــال تعــالى: ﴿۞ فَلَمَّــا قَضَــى مُوسَــى الْأَجَــلَ وَسَــارَ بِأَهْلِــهِ آنَــسَ مِــن جَانِــبِ الطُّــورِ نَــارًا قَــالَ لِأَهْلِــهِ امْكُثُــوا إِنِّــي آنَسْــتُ نَــارًا لَّعَلِّــي آتِــيكُم مِّنْهَــا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ (1).

الهدف الأول: ان يأتي موسى لأهله منها بخبر.

الهدف الثاني: ان يأتي موسى لأهله بجذوة لعلهم يصطلون.

فــالخبر الــذي ذهــب مــن اجلــه موســى ﴿عليه السلام﴾هــو الهــدى ﴿أَوْ أَجِــدُ عَلَــى النَّــارِ هُــدًى﴾ فقــد ظــن موســى انــه ســيجده عنــد تلــك النــار.. وان الهــدى الــذي يبحــث عنــه موســى لا يعنــي انــه قــد ظــل الطريــق

(1)سورة القصص: آية (29).

فموسى (عليه السلام) ليس من الأشخاص الذين يظلون الطريق بسهولة وهو قد مر بهذا الطريق نفسه لما توجه تلقاء مدين قبل عدة سنوات من هذه الحادثة وقد يظن أحدهم اننا نتكلم من وحي خيالنا في سرد هذه القصة ولهذا سنجيب من سرح بخياله بسوء الظن عنا..

سؤال: من قال ان موسى مر بهذا الطريق سابقاً؟!

الجواب: قال تعالى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (1)

أي ان موسى (عليه السلام) حينما يبحث عن الطريق الصحيح لا يبحث عنه في الموجودات انما يطلب الهدى من الله سبحانه وتعالى.. فهذا موسى الذي خلقه الله ومن عليه منذ ان كان في المهد.

سؤال: ما الدليل انه الفرق بين ذهاب موسى (عليه السلام) الى مدين ورجوعه منها هو عدة سنين؟!

الجواب: قال تعالى: ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ ۖ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى﴾ (2).

(1) سورة القصص: آية (22).
(2) سورة طه: آية (40).

وهكذا فان كل افتراء في مباحثنا وان كان من عندنا فهو ظنُ ولا نقول انه قطعُ بالحق ولكننا نأتي بدليل عليه او لا نذكر ادلته بحسب الحاجة والركون الى الاختصار والتفصيل قدر الإمكان كي يكون المبحث مستساغاً للناس سهلاً للفهم والتعلم.. وعَوْداً عَلَى بَدْءٍ فنحن سنطرح الأسئلة المفصلية التالية:

1- ما هو الهدى الذي يبحث عنه موسى لنفسه؟!!

2- وهل النار التي يأنس بها البشر وتكون مختلفة عن باقي النيران هي مصدر هداية حسب اعتقاد موسى؟!!

3- ما هو شكل هذه النار بحيث يبحث موسى فيها عن الهدى؟!!

مصادر الهداية المرئية:

لنتابع مصادر الهداية المادية في الكون والتي يصورها لنا الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة:

قال تعالى:﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (15) وَعَلَامَاتٍ ۚ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [1]

اذن المصادر المادية للهدى والتي وفرها الله تنقسم الى قسمين.. القسم الأول للناس كافة وهي:

1- الرواسي التي في الأرض ﴿الجبال﴾.

(1)سورة النحل: آية (15).

2- الأنهار التي في الأرض.

3- السبل التي في الأرض والسماء.

القسم الثاني من مصادر الهدى المادية لفئة معينة من الناس وهي:

1- العلامات.

2- النجم.

تبعات هذا الظن تجعلنا امام واجب تفصيل كل ما تم ذكره في النقاط السابقة ولكننا سنكتفي حالياً بما ينفع البحث وهو موجود في القسم الثاني من الآيات والعلامات المادية وهو النجم الذي اقسم به تعالى في قوله: ﴿والنجم إذا هوى﴾ فان سقوط هذا النجم متكرر في الحصول وليس علامة من علامات يوم الحساب او الظهور للمخلص الذي يملا الأرض قسطاً كما ملئت جوراً حيث يحب اهل الرواية ان يسرحوا بخيالهم في كل ما لا يجدوا له تفسيراً من اجل تخدير الامة ومنعها من تدبر كتاب الله..

عقيدتي ومنهجي:

ان من اصعب المواقف التي قد يتعرض لها الانسان هو ان يحاول تقديم فكرة جديدة ويطرحها على المجتمع كما ان هذه الصعوبة قد تتضاعف حينما تكون هذه الفكرة الجديدة تخالف ما ألفه هذا المجتمع من ابائه واجداده ونحن نعلم حجم الموقف الذي قد نضع انفسنا فيه امام من يقرأ ما نكتبه هنا من مباحث وهو يعتقد ان اهل العلم والدراية من ﴿غير امثالنا﴾طبعا هم قد جاءوا بكل ما هو قطعي ولا يمكن تفنيده من

علوم وتفاسير لآيات الله سبحانه وتعالى ولكي أكون صريحاً معكم فإنني حينما اكتب هذه المباحث فهي تعبر عن عقيدتي الراسخة على مر السنين وليست وليدة اللحظة او ﴿فلتة﴾ من فلتات الفكر تزوغ بمجرد ان تهب نسمة ريح، فعقيدتنا في كتاب الله لا تهزها ريح الا من جاءنا بأدلة دامغة من القرآن... وقد يتباين الفهم لكلام الله من شخص لآخر ولهذا تجدون من يجادل بكثرة في ما توصلنا اليه، وهذا الامر طبيعي وراجع لتنوع الخلفيات الثقافية للأشخاص فمنهم مختص بجانب معين ومؤمن بقضيته وربما لا يرى ما نراه واضحاً جلياً في متنٍ معينٍ لكلام الله، وهكذا هو التنوع الفكري والثقافي نجد اثره بارزاً في اغلب الكتابات.. لذا ندعو كل من يخالفنا الرأي ممن يعتبر نفسه من اهل العلم والبحث والثقافة ان يعرض عما نكتب ولا يذيق لنا بالاً وان يعتبرنا من اهل الجرم والظلال مصداقا لقوله تعالى:

﴿قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[1].

فالله سبحانه وتعالى يفتح بيننا يوم القيامة وهو الفتاح العليم

قال تعالى:﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴾[2]

---

(1) سورة سبأ: آية (25).

(2) سورة سبأ: آية (26).

النجم الهادي ونجوم الهداية:

وعَوْداً عَلَى بَدْءٍ.. فقد انتهينا الى حيث انس موسى﴿عليه السلام﴾ النار المقدسة والتي هي نفس النار التي يأنس بها البشر والتي فيها هداية خاصة لبعض من اصطفاهم الله وهذه النار كنا قد توصلنا سابقاً الى انها نفسها التي التهمت قربان أبن ادم (المقتول﴾ والذي لمحنا حسب الاستدلال في حينها الى ان القربان الذي تأكله النار المقدسة يقدمه الرسل لله..

قال تعالى:﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حتى يَأْتِينَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (1).

وقلنا أيضا ان الخبر الذي ينشده موسى﴿عليه السلام﴾ هو الهدى الذي يتوقع ان يجده لنفسه عند تلك النار ومصدر تلك النار هو النجم الذي اقسم به الله بقوله:

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هوى (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ (2).

ان هذه الآية الكريمة تحدد لنا نجماً معيناً محدداً اقسم الله به لكونه معرّفاً بنجم الهداية لخواص البشر من الأنبياء والرسل وان

---

(1)سورة آل عمران: آية (183).

(2)سورة النجم: آية (1 –2).

المتتبع لسيرة الأنبياء يجد ان علاقتهم بالنجوم والسماء والكواكب كثيراً ما ترد في قصصهم وبالأخص نجد ان منهج إبراهيم الخليل في التأمل والبحث هو منهج الجدل والتشكيك في كل ما موجود من حوله ولكن انى لنا هذه الفكرة وقد ذكرت آيات القرآن ان النجوم هي علامات الهداية لمن ظل الطريق؟!!

قال تعالى:﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[1].

فكلمة نجوم مفردها ﴿نجم﴾ وقد بدأت سورة النجم بقوله تعالى ﴿والنجم إذا هوى﴾فكيف نميز هذا النجم الهاوي الهادي عن باقي النجوم التي يهتدي بها الناس في ظلمات البر والبحر والتي يتخذها ربابين السفن وقادة القوافل دلائل تعريفية للطرق والسبل والاتجاهات نحو البلاد المختلفة المنتشرة على رقعة جغرافية واسعة أسفل قبة السماء.

قال تعالى:﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾[2].

فهذه النجوم الكثيرة بأبراجها ماهي الا زينة للسماء الدنيا تختلف عما اقسم الله به من نجم محدد بذاته، وصيغة الجمع في الآية الأولى تجعلنا

(1)سورة الأنعام: آية (97).

(2)سورة الملك: آية (5).

نتساءل لماذا لم يقسم الله سبحانه وتعالى في اول سورة النجم بقوله ﴿والنجوم﴾ بأن قال﴿والنجم﴾؟!! وأيضاً لماذا لم يقل انه جعل لكم ﴿النجم﴾لتهتدوا به في ظلمات البر والبحر؟!!

علاقة [إذا] بالعامل الزمني في النص القرآني:

هذه الأسئلة وغيرها لمن يتدبر ويتأمل يجد ان التمييز بين هاتين المفردتين بحسب موقعهما في الآيات يكون من خلال تمييز مفردة ﴿إذا﴾ التي جاءت بعد كلمة ﴿النجم﴾ مما يجعلنا نعتقد ان هذا النجم الهاوي هو نجم معين مميز عن غيره من النجوم الأخرى فهناك آيات كثيرة جاءت فيها مفردة ﴿إذا﴾ قبل الاسم فلماذا لم يقل مثلا ﴿وإذا النجم هوى﴾ بدلاً من ﴿والنجم إذا هوى﴾؟!! ان هذا التقديم والتأخير في هذه المفردة هو عامل زماني للأحداث ومميز للاسم الذي يأتي بعده او قبله بحسب الحدث.. قال تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ (1) وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ (2) وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ (3) وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾[1].

فهناك آيات كثيرة جاءت على نفس هذا النسق لمفردة ﴿إذا﴾ قبل الاسم.. وإذا تتبعنا كل الآيات التي وردت فيها هذه المفردة قبل الاسم سنجد وجه الترابط فيما بينها من حيث زمن تحقق الحدث وبمقارنة بسيطة بين الآيات التي وردت في سورة الانفطار والآيات التي جاءت فيها مفردة ﴿إذا﴾ بعد الاسم في سورة الشمس نلاحظ الفرق واضحاً..

(1)سورة الانفطار: آية (1–4).

قال تعالى:﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (1) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا (2) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا (3) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴾[1].

فالأحداث المرتبطة بمفردة﴿إذا﴾ ان جاء اسمها بعدها تكون احداثا زمانها في الاخرة والاحداث المرتبطة بفردة ﴿إذا﴾ ان جاء اسمها قبلها تكون احداثا زمانها في الدنيا.. ماذا يعني هذا ؟!!وما علاقته بمبحثنا؟!

❖ لنفصل هذا الاستنتاج تفصيلا مملاً.. كي نصل الى واقع قريب من تدبر النص القرآني..

ان حوادث الدنيا من تعاقب الليل والنهار هي حادث يومي دنيوي فالشمس والقمر والليل والنهار إذا كان الكلام في وصف لحركتهما الطبيعية تأتي مفردة ﴿إذا﴾بعد اسمائها مثل ﴿والقمر إذا تلاها﴾ وإذا كانت الشمس والقمر والسماء والكواكب يتعلق الكلام فيهم بحادث في الاخرة او نهاية الزمان كانشقاق القمر مثلا وانفطار السماء فتأتي مفردة ﴿إذا﴾ قبل اسمائها مثل ﴿وإذا السماء انشقت﴾...

اذن قوله تعالى ﴿والنجم إذا هوى﴾هو حدث دنيوي تم استنتاج زمانه من خلال مراقبتنا لموقع ﴿إذا﴾في سياقات قرآنية أخرى،

---

(1)سورة الشمس: آية (1–4).

وهذا الـنجم هـو مصـدر نـار الهدايـة التـي يبحـث عنهـا موسى وهـو مـن المـؤهلين لرؤيتهـا بعـد ان قضـى الاجـل لشـعيب بثمـاني حجـج او عشـراً.. وقـد نسـتطيع ان نفهـم ان فتـرة التأهيـل تحتـاج الـى انقطـاع وتأمـل وعبـادة واعتكـاف قـد قضـاها موسـى (عليه السلام) عنـد بيـت الله المحرم ولكننا قد نتوقف عند مفردة أخرى في قوله تعالى:

﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (15) وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [1].

المؤهلين لرؤية نجم الهداية:

ان من يتدبر النص القرآني السابق مرة أخرى قد يتوقف عند مفردة ﴿هم﴾ يهتدون التي وردت في الآية حيث ان هذه المفردة دالة على التعيين لقوم مؤهلين لرؤية النجم.. وكلمة ﴿نجم﴾ هنا قد وردت بالمفرد لا بالجمع ﴿نجوم﴾ بحيث يمكننا الان ان نفهم ان بداية سورة النجم بقوله تعالى ﴿والنجم إذا هوى﴾ هو نفسه هذا النجم الذي به يهتدي هؤلاء الذين دل عليهم النص بالضمير ﴿هم﴾ وابسط سياق يمكن الاستدلال به هو ان يقول ﴿وبالنجم يهتدون﴾ ولا داعي لذكر الضمير ان كان القصد من النص هم كل من يمكنه رؤية النجم زينة السماء..

(1)سورة النمل: آية (15-16).

اذن الـنجم هـو نجـم لا يـراه الا اشـخاص مـؤهلين لرؤيتـه، والـذين يهتـدون بـه هـم نـاس مـؤهلين تـأهيلاً خاصـاً لهـذا الحـدث، فمـاذا يكـون مـن وراء هـذا الحـدث الكـوني يـا تـرى؟!! ومـن هـم هـؤلاء الـذي اصطفاهم الله لهذا الحدث؟!!

قـال تعـالى: ﴿قَـدْ أَفْلَـحَ الْمُؤْمِنُـونَ (1) الَّـذِينَ هُـمْ فِـي صَـلَاتِهِمْ خَاشِـعُونَ (2) وَالَّـذِينَ هُـمْ عَـنِ اللَّغْـوِ مُعْرِضُـونَ (3) وَالَّـذِينَ هُـمْ لِلزَّكَـاةِ فَاعِلُونَ(4) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ [1]

فـأن كـان الضـمير ﴿هـم﴾ فـي هـذه الآيـات يـدل علـى المـؤمنين ففيمـا بعـدها دلالـه واضـحة علـى التخصـيص لقـوم معينـين سـواء كانوا عاديين ام مؤمنين..

قـال تعـالى: ﴿فَمَـنِ ابْتَغَـى وَرَاءَ ذَلِـكَ فَأُولَئِـكَ هُـمُ الْعَـادُونَ (7) وَالَّـذِينَ هُـمْ لِأَمَانَـاتِهِمْ وَعَهْـدِهِمْ رَاعُـونَ (8) وَالَّـذِينَ هُـمْ عَلَـى صَـلَوَاتِهِمْ يُحَـافِظُونَ (9) أُولَئِـكَ هُـمُ الْوَارِثُـونَ (10) الَّـذِينَ يَرِثُـونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [2].

(1)سورة المؤمنون: آية (1-5).
(2)سورة المؤمنون: آية (7-11).

إذن من يجد ذلك النجم الذي يهدي ويهوي من السماء الى الأرض يجب ان يكون باحثاً عنه في سبل السماء في كل وقت، وهذا النجم نفسه قد رآه نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وعلى آله التسليم وقد تحصل من خلاله على هداية الله..

قال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا ولكن رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾[1].

الحادثة للأسراء تتحدث عن نفس مكان اللقاء المتحصل لموسى(عليه السلام) بعد ان اهتدى بالنجم الذي هوى فالنجم نفسه والطور ذاته وكان اللقاء في البقعة المباركة والفرق ان موسى(عليه السلام) كان في رحلته متسلحا برداء الترحال فقال له الله اذ ناداه:﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾[2].

فالأمر بخلع النعلين ضروري لان موسى(عليه السلام) لم يكن يعلم لحد هذه اللحظة انه في الوادي المقدس ﴿طوى﴾ حيث المكان الذي هوى النجم فيه ونزلت النار المقدسة معه فنودي:

﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[3]

(1) سورة القصص: آية 46.

(2) سورة طه: آية 12.

(3) سورة النمل: آية 8.

في حين ان محمداً صــلوات ربي عليه وعلى آله التســليم كان واعياً بالأسراء والنجم الهادي لقوله تعالى:

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ [1].

ولا اظـن ان محمـداً كـان متسلحاً بـرداء الترحـال حينمـا كـان يقلـب وجهـه فـي السماء باحثـا عـن الـنجم الهـادي ...فـلا مجـال للطلـب بخلـع النعلين إذا انه لم يكن ينتعلهما أصلاً ....

موسى والنار المقدسة:

كان منهجنا في الفصول الاولى من هذا الكتاب يعتمد في اساسه على محاولة منا للربط بين القصص القرآنية من اجل الخروج بمفاهيم واضحة لكلمات الله التامات في الذكر الحكيم ولكي نقوم بجمع الفكرة بأكملها منذ البداية فنحن نبحث عن النار التي هي مصدر من مصادر الهدى والتي تتولد من النجم الذي يبحث عنه الأنبياء في اثناء تقلب وجههم في السماء للتدبر في آيات الله وان بحثنا عنها كان لأنها النار التي تأتي فتأكل قرابين الرسل اثناء احتكامهم لأمر معين ولكي يكون واضحاً ان القرابين تقدم من اجل الفصل بين المتحاكمين في محكمة الرب العادلة ليفصل بينهم ولقد دخلنا في مبحث القربان من اجل معرفة ﴿السنخية﴾ التي هي عليها ناقة صالح والتي استنتجنا من خلال البحث والتدبر القرآني انها كانت موجودة قبل ان يرسلها الله لقوم صالح ودخولنا في قضة الناقة كان من اجل البحث

(1)سورة النجم: آية (1-3).

عن مفردة ﴿عقروها﴾ لعلاقتها الوثيقة بقصة زكريا﴿عليه السلام﴾ وقوله المفترى على زوجه بأنها ﴿ عاقر﴾ ولكي نضع قضية يحيى وعلاقته بالمسيح عيسى ابن مريم﴿عليه السلام﴾ والحواريين تحت مجهر التدبر... اذن ما علاقة النار بكل هذا؟! لنتابع ماذا حصل حينما وصل موسى﴿عليه السلام﴾ الى النار بين ثنايا الوادي المقدس!! قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (8) يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (1)

لقد كانت المفاجأة لموسى﴿عليه السلام﴾ ان كلّمه الله تكليماً بعد ان كان حاجاً معتكفاّ لأكثر من ثمانِ سنواتٍ عند بيته المحرم.

قال تعالى:﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى (11) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ (2).

ان التواجد الفيزيائي لهذه النار المقدسة هو في الوادِ المقدس وقد يتهمنا البعض باننا نتكلم من وحي خيالنا بخصوص قداسة النار والتي تتميز بالقرب الإلهي والازلية فان لم تكن هذه النار بالخواص التي نقدمها لكم فالمتدبر للنص السابق يفهم ان كل ما موجود في الواد المقدس من الممكن ان يكتسب قداسته لتواجده فيه وهكذا تحل هذه الإشكالية في

(1) النمل: آية (8-9).

(2) سورة طه: آية (11-12).

الفهم والتي قد وضعنا أساساً لها في الفصول السابقة ولندخل في صلب الموضوع.. نستمع للخطاب الإلهي فور ان خلع موسى نعليه..

قال تعالى:﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾[1].

هنا حصل الاصطفاء لموسى﴿عليه السلام﴾ الذي كان باحثاً عن النار التي مصدرها نجم الهدى الزاهر.. ولكن الحقيقة التي نحن بصددها تكمن في النص التالي:

قال تعالى:﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى (17) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾[2]

أسرار عصا موسى:

ان من يطالع النص بصورة سريعة قد لا يجد أي مبرر للاستغراب من طريقة الحوار ولكن المتدبر جيداً قد يلاحظ ان موسى ﴿عليه السلام﴾قد قام بفعلين غريبين:

الأول: الادعاء بمليكة العصا بقوله ﴿هي عصاي﴾.

الثاني: التورية مع علمه بأنه يكلم الله مباشرة بقوله ﴿مآرب أخرى﴾.

بالنسبة للشق الأول وادعاء الملكية للعصا فنحن نعلم جيداً انه حتى في القوانين المدنية الحديثة ﴿يثبت ملكية الشيء من خلال وضع اليد عليه﴾ فمن يرتدي سروالاً مثلا فهو ملكه لأنه

(1)سورة طه: آية 13.

(2)سورة طه: آية (17-18).

ببساطة يرتديه وهذا ما يسمى بـ ﴿ وضع اليد﴾، ومن يركب حصاناً ويراه الناس راكباً فلا موجب لادعاء ملكيته لأنه ببساطة يخضع لقانون ﴿ وضع اليد ﴾ وهكذا ..فلا يطلب التفسير عن ملكية الشيء اذا وضعت يدك عليه، والحوار السابق في الذكر الحكيم كان بخصوص ماهيّة الشيء وليس ملكيته، اذن هناك ما يثير الحيرة بخصوص قول موسى﴿عليه السلام﴾ ﴿هي عصاي﴾ إشارة للعصا التي هي في يمينه ...ويمكن الاستدلال على كون هذه العصا هي ملكية خاصة لموسى﴿عليه السلام﴾ وليست عصا عادية كما قال للتورية ﴿اهش بها على غنمي﴾ لأنه حاول إخفاء امر ما في هذا الحوار ...وقد وقع إخواننا من اهل العلم ممن يعتقدون انهم قد وضعوا أساساً متيناً للتفسير يصلح لكل زمان ومكان في إشكالية عدم تفصيل كل المتن للذكر الحكيم واقتصروا على تفسير ظواهر الكلم واسندوا البواطن لأولياء الله الصالحين واعتبروها خطوطاً حمراء لا يجوز لاحد من بعدهم ان يتدبر القرآن ويحاول فهم نصوصه خارج منهجهم هذا غافلين عن قوله تعالى :

﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا** ﴾[1]، فهل هذه الآية فيها تخصيص لما يمكن لنا تدبره مما لا يمكننا تدبره؟! ان عقيدتي تأمرني بأن اتدبر كل حرف موجود فيما بين أوراق المصحف الشريف قال تعالى:

---

(1)سورة محمد: آية 24.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[1]

تدبر المآرب الأخرى للعصا:

لنتابع الاستنتاج من بدايته بالتفصيل الممل.. فأن الشق الثاني من الاستغراب الذي خلصنا اليه هو أسلوب التورية الذي استخدمه موسى (عليه السلام) في كلامه مع الله وهو في حضرته في الواد المقدس بقوله ﴿مآرب أخرى﴾ فما هي هذه المآرب الأخرى يا ترى؟!!

ان أقرب ما يمكن التوصل اليه من فهم لهذه المفردة هو ان موسى (عليه السلام) كان يحاول إخفاء شيء قد فعله بهذه العصا مع يقينه ان الله ﴿يعلم كل شيء ويعلم ما تخفي الصدور﴾ ولكن حيائه من الفعل جعله يتلفظ بكلمات عشوائية للتورية استحياءً من حضرة الخالق جل وعلا فما هو هذا الشيء الذي جعل موسى (عليه السلام) يخجل حياءً من ذكره يا ترى؟!!

لنتابع قصة موسى (عليه السلام) قبل وروده ماء مدين.. قال تعالى:

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (14) وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ

(2) سورة النساء: آية 85.

يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ ۖ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ [1].

حينما اتأمل في هذا النص لا يساورني أي شك ان موسى ﴿عليه السلام﴾ من اهل العلم والملك ومن ورثة النبوة ليس هو فقط فأخوه هارون كذلك، ونبوة هارون﴿عليه السلام﴾ جاءته من ابيه الذي كفل موسى في الصغر ومن متابعة شخصيات بطولة هذه القصة ﴿قارون وفرعون الاصغر﴾ من جهة و ﴿موسى وهارون﴾ من جهة أخرى نجد عدة مشتركات بين هؤلاء الأربعة نفر، فهم ورثة انبياء بني إسرائيل وكانت المشكلة القائمة فيما بينهم هي تولي الحكم بعد موت ﴿فرعون الأكبر﴾ وقضية خروج موسى﴿عليه السلام﴾ من المدينة جعلت فرعون الأصغر يسلب الحكم من الوريث الشرعي له ﴿موسى﴾.. ولكي لانتهم بالتخريف نرجئ هذا المبحث الى وقت اخر ونرجع لموضوعنا الأصلي لنتدبر قوله تعالى ﴿وكزه﴾ فقد وكز موسى﴿عليه السلام﴾ الرجل وقتله قبل ان يأتي كافل موسى ليبلغه ان الملأ يأتمرون به ليقتلوه.. وهذا الوكز كان بالعصا التي ورثها موسى﴿عليه السلام﴾ وادعى ملكيتها والتي يحملها بيمينه..

---

(1)سورة القصص: آية (14-15).

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (1)

فالحياء الذي قتل موسى (عليه السلام) خجلا في حضرة الرب من قبح ذنبه الذي اعترف به حين قال ﴿أنى ظلمت نفسي﴾ جعله لا يستطيع ان يدخل في تفاصيل قتل الرجل في المدينة حينما ﴿وكزه﴾ بعصاه وقال لله ﴿ولي فيها مآرب أخرى﴾ وهو نفس الدعاء الذي دعا به ﴿ذي النون﴾ (عليه السلام) بعد ان إلتقمه الحوت.

قال تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (2)

فمن يظلم نفسه ويتوب الى ربه يجد الله غفوراً رحيماً.. اذن نرجع للشق الأول لكي نفهم قضية قول موسى (عليه السلام) ﴿هي عصاي﴾ لنعرف من اين ورث موسى (عليه السلام) هذه العصا التي ادعى ملكيتها.

---

(2)سورة القصص: آية 16.

(1)سورة الأنبياء: آية 87.

العصا تركة أبراهيم الخليل:

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (51) قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴾ (1)

إذا تتبعنا قصة إبراهيم﴿عليه السلام﴾ ومنهج التشكيك والجدل الذي انتهجه للتعرف على ربه قد نستطيع ان نتتبع مصدر ملكية ﴿عصا موسى﴾ التي كان يحملها دائماً في ﴿يمينه﴾ولكننا حينما نطالع كتب التفسير والرواية نجد ان هناك مصطلحات دخلت على قصة إبراهيم ﴿عليه السلام﴾ لا وجود لها في القرآن بل اقتبسها اصحابنا آنفين الذكر من الكتب المنسوبة الى الله في باقي الديانات، ولست أدرى ما هو هذا المنهج المتخبط في تدبر القرآن الصريح الواضح من خلال كتب شوهتها أقلام المدلسين الذين يحرفون الكلم عن مواضعه.. فيقال في قضية تحطيم إبراهيم ﴿عليه السلام﴾للأصنام مثلاً انه قد استخدم فأساً من اجل هذه العملية.. ولا اعرف من اين جاءت هذه الفأس ووضعت بيد إبراهيم﴿عليه السلام﴾ ونحن نعلم جيداً ان الفأس هي أداة لها استخدامات عديدة ولا يندرج التحطيم للحجر تحت أي من هذه الاستخدامات!!

والفأس اما تكون بيد الحطاب الذي يجمع الحطب ويقطع جذوع الأشجار واغصانها للنجارة والوقود او تكون بيد الجزار الذي يستخدمها لتقطيع اللحوم وربما هناك استخدامات منزلية أخرى. وإبراهيم﴿عليه السلام﴾ لم

(1)سورة الأنبياء: آية (51-52).

يكن نجاراً ولا حطاباً.. حســب آيات القرآن الكريم انما كان ملكاً فمن اين جاءت هذه الفأس لصيقة بقصة تحطيم الاصنام؟!!!



الفَصْلُ السَّابِعُ

المسير الابراهيمي

ان اول مسير الى الرب قام به إبراهيم ﴿عليه السلام﴾ وهو فتى حينما حاجج ابيه ﴿آزر﴾ عن مدى ظلال قومه في عبادة الاصنام التي تصنع من حجارة صماء لا تضر ولا تنفع وهذا ان دل فعلى فطنة ورشد بتوفيق من الله وهداية لهذا الفتى المشكك في كل الموجودات من حوله.. فهو فتى فطن انتهج نهجاً جديداً للمسير باتجاه الحق تعالى لمعرفة اسرار الكون والخلق من خلال اتباع نور الهدى نحو الصراط المستقيم.

قال تعالى:﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ (1)

وحينما لم يجد اذناً صاغية من هؤلاء القوم الذين يعكفون على اصنامهم آثر ان يعتزلهم بالكامل لا يأكل معهم ولا يكلمهم ولا يتزوج منهم لفترة من الزمن كي يهديه الله الى سواء السبيل ولا يركن اليهم بالمخالطة فهو دخل في حالة نفسية اجتماعية تجعله لا يتفق في فكره مع أفكار القوم وفلسفتهم في الوجود والحياة والعيش، مما جعله يركن للعزلة عما يرتكبه المجتمع من

(1)سورة الأنبياء: آية 51.

جـرم بحـق الخـالق الأوحـد دون ان يلتفـت الـى ان لهـذه العزلـة اثـار سلبية علـى عقـل الانسان لان الانسـان علـى فطرتـه يحـب العـيش فـي تجمعـــات ســـكانية وعوائـــل وأســـواق لـــيكلمهم ويخــــتلط معهـــم ويتعامل معهم قال تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (1)

عزلة إبراهيم عن المجتمع:

اذن فالجانب السـلبي لعزلة إبراهيم ﴿عليه السلام﴾ جعلـه ينظر الى مصـــدر الهــــدى ﴿ النجم الهاوي﴾ في السماء عسى ولعل ان يأذن الله بأن يرى هذا الفتى إبراهيم الحقيقة لشـكوكه حول الخالق الأوحد لهذا الكون مقابل الهة قومه الذين حاججهم واعتزلهم وانوه هنا ان العزلة لا تعني أحيانا ان ينفرد الشــخص في جبل او جزيرة بل لا يقدح الاعتزال في العيش بين ظهراني القوم انما كانت عزلته كصـــيام زكريا ومريم ولكن الفترة الزمنية كانت أطول بحيث جعلت إبراهيم يقر بأنه ﴿ســقيم﴾ بعد ان لم يجد الهدى ودليلنا على ان ﴿ السقم ﴾ هو مرض ناتج عن الاعتزال ما لمسناه في قصة ﴿ذي النون﴾ حينما إلتقمه الحوت ..

(1)سورة الحجرات: آية 13.

قال تعالى :﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ (142) فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (143) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (144) فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ (1)

وبعد ان انفرد إبراهيم ﴿عليه السلام﴾ بآلهة القوم وهو جالس يتناول طعامه قام بتوجيه الكلام لهم من باب الاستهزاء..

قال تعالى: ﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ (90) فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (91) مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ (92) فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ (2)

ان ما يهمنا من هذا الربط فيما بين القصص القرآني هو ان إبراهيم ﴿عليه السلام﴾ استخدم اليمين في الضرب، ولكي ندخل في تفاصيل التدبر لهذه المفردة والتي تعني بما لا يدع مجالاً للشك ﴿اليد اليمنى﴾ ولكن السؤال المطروح هو: هل ان إبراهيم استخدم آلة معينة في الضرب ام قام بالضرب بيده الغير مسلحة؟! والمدقق في سياق النص يعلم جيداً ان إبراهيم لم يستخدم يساره بالضرب بل يمينه فقط وانه أيضاً قام بضرب هذه الاصنام ولم يحطمها الى قطع صغيرة كما نقرأ في قصص كتب التفسير والرواية لأهل العلم والدراية من غير ﴿امثالنا﴾ نحن اهل الجرم والجناية ﴿قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون﴾..

---

(1)سورة الصافات: آية (142–145).

(2)سورة الصافات: آية (90–93).

كيف جعل إبراهيم الاصنام جذاذا؟!:

اذن إبراهيم استخدم يده اليمنى في الضرب ولم تتحطم هذه الآلهة بالكامل بل أصبحت ﴿ جُذَاذًا﴾ الا كبيرهم:

قال تعالى:﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ (1).

والتجذيذ في المعاجم لا يختلف معناه عن التحطيم فكلمة حطم وجذذ حينما تستخدم في جملة مفيدة كقولنا: جذَّذ الزجاج أو حطم الزجاج تعطينا نفس المعنى والذي هو ﴿تكسيره الى قطع صغيرة﴾ وكما يعلم من يتابع منهجنا فنحن لا نركن لهذه المعاني التي لا تسمن ولا تغني من جوع ولكن ذكرناها من باب العلم بالشيء.. ولكي نقع على معنى كلمة ﴿ جُذَاذًا﴾ نستطيع تدبر قوله تعالى:

﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۖ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ (2).

فكلمة مجذوذ وجذاذاً مصدرها الجذر ﴿جذ﴾ وهو لمن يتدبر النص السابق يعني قطع الفرع من الأصل فجملة ﴿غير مجذوذ﴾ تعني عطاءً متواصلاً غير منقطع من أصله الراجع الى ﴿المعطي﴾ وجملة ﴿فجعلهم جذاذا﴾هو فصل الأطراف القابلة للكسر من الاصنام عن طريق ضربها بألة

---

(1)سورة الأنبياء: آية 58.

(2)سورة هود: آية 108.

لا تقوم بتكسيرها الى قطع صغيرة انما قطع منفصلة عن الأصل الثابت ودليلنا الذي نعتمد عليه في كون أصول الاصنام باقية وكبيرهم لم يتم ضربه هو قوله تعالى:

﴿قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ(62) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ﴾ (1)

تدبر في محكمة إبراهيم:

من يتدبر هذا النص بتمعن يجد ان إبراهيم ﴿عليه السلام﴾ طلب من القوم ان يسألوا ﴿اصنامهم﴾ بالجمع لا ان يسألوا كبيرهم لأنه افترى حسب قوله على كبير الاصنام وطلب ان يشهد الاصنام الباقين على فعلته كما يحصل في المحاكم العادية حينما يأتي مجموعة متضررة وكان هناك شاهد وجاني ومجني عليه.. ففي هذه الحالة المجني عليه هو كبيرهم والمفتري هو إبراهيم والشهود هم من تم تجذيذهم.. ليتني كنت حاضراً في هذه المحكمة عسى ولعل ان تتقد شمعة في فكري كي يرتاح في مجاورة طالب الحق والحقيقة..

ولكيلا ننجرف في تدبرنا الى ابعد من حدود المبحث فغايتنا منه هو معرفة هل ان إبراهيم﴿عليه السلام﴾ كان يستخدم آلة معينة في التجذيذ ام

(1)سورة الأنبياء: آية (62–63).

يستخدم يده الغير مسلحة، ومن خلال آيات الذكر الحكيم نجد ان الله قد ذكر اليمين في عدة مواقف منها قوله تعالى:

﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ (1)

اذن من يخط بيمينه يجب ان يكون من خلال آلة وهذه الالة هي ﴿القلم﴾ ولكن النص لم يذكر القلم مع اليمين كوسيلة خط في هذه الآية لان فهم النص متحصل بذكر اليمين فقط مع العلم ان هناك من هو اعسر ويكتب بيساره وهذا ان دل فعلى تواتر المعنى بين كل الاقوام منذ بدايات عصر التدوين الى يومنا هذا، ومن قام بتجذيذ الاصنام يجب ان تكون يمينه مسلحة، ولا حاجة لذكر هذه الآلة لأنه ببساطة القول ان من يستخدم فأساً مثلاً في تحطيم التماثيل سيستخدم كلتا يديه بينما من يحمل عصا مثلاً قد يستخدمها بيمينه فقط ولا ننسى ان إبراهيم لم يكن ينوي التحطيم بل التجذيذ فقط ككسر قدم او يد او جدع انف لتماثيل متعددة مبنية من الجص واللبن او الصخر، وهكذا نستطيع استنتاج الآلة المستخدمة في التحطيم.. وقد يرد علينا بعض الأشخاص في استنتاجنا هذا بقوله ان هناك الات عديدة يمكن حملها بيد واحدة كالمطرقة المستخدمة للنحت مثلاً وقد يحصل عليها إبراهيم من ﴿آزر﴾ الذي لديه مشغل لصنع التماثيل.. ونقول نحن لصاحب هذه الفكرة.. نحن نشجع من يتدبر معنا ويطرح أفكار قد تفند

(1)سورة العنكبوت: آية 48.

مزاعمنا ولكن بشرط ان يأتي بأدلة من الذكر الحكيم.. ونحن ان قلنا ان الآلة المستخدمة بالضرب في اليمين والتي ذكرت في النص:

﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ (1)

فقد لمسنا ان العصا قد ذكرت بجانب مفردة (اليمين﴾ في آيات اخر في الذكر الحكيم..

العصا وسيرتها الأولى:

لنتابع قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا موسى (17) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا على غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أخرى﴾ (2).

فهذه يمين موسى كليم الله قد حملت العصا كما يذكر النص ولهذا زعمنا ان إبراهيم كان قد استخدم نفس العصا لضرب الاصنام وتجذيذها.. ولكن قد يرجع صاحبنا الذي افاض علينا بأفكاره المعارضة لما نكتب فيقول ومن قال ان عصا إبراهيم قد صمدت كل هذه الفترة الزمنية لتصل الى موسى دون ضياع وتلف بل يمكن ان تكون قد تهشمت فعلاً حينما جذّذ إبراهيم اصنام القوم بها!! نعم نحن نقول ان هذه العصا قد صمدت لهذه الفترة دون ضياع وتلف لقوله تعالى في وصف هذه العصا الخاصة والتي ورثها موسى وادعى ملكيتها بقوله تعالى:

---

(1)سورة الصافات: آية 93.

(2)سورة طه: آية: (17-18).

﴿قَالَ أَلْقِهَا يَا موسى (19) فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تسعى (20) قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأولى﴾ (1)

فقوله تعالى ﴿سنعيدها﴾ الى ﴿سيرتها الأولى﴾ دليل على ان هذه العصا لم تكن ذات فاعلية مقدسة كما كانت في سابق عهدها حينما كانت لدى إبراهيم وقد يتساءل المرء ما هو سر هذه العصا التي وضع الله فيها كل سلطانه وجعلها اية من آيات موسى وقوة لحجته ورسالته امام سطوة فرعون وملأه؟! لماذا العصا وليس شيءٍ اخر.. وما هي سيرة هذه العصا التاريخية بحيث بقيت ارثاً يتوارثه الأنبياء جيلاً بعد جيل لتصل الى يمين موسى الملك الوارث لحكام وانبياء بني إسرائيل؟!!

العصا إرث مقدس يتوارثها الأنبياء:

ان اهم ما يمكن الخروج به من مباحثنا هذه حول ادعاء موسى لملكية العصا التي في يمينه بقوله ﴿ هي عصاي ﴾هو كونها عصا قد ورثها مع ميراث النبوة من انبياء بني إسرائيل وملوكهم جيلاً بعد جيل وان هذه العصا اقل ما يمكن توقعه هو كونها ذات تاريخ عظيم وشأن معلوم لدى من يحملها ﴿ سنعيدها سيرتها الأولى ﴾ وتمسك موسى بها في حله وترحاله دليل على ما نقول فهي ذات سيرة عظيمة قديمة وكما قلنا سابقاً ان إبراهيم قد ورثها أيضا ولكي لا نتشعب في هذه القصص نورد فقط ما يهمنا

(1)سورة طه: آية: (19–21).

منهـا الا وهـو علاقـة النـار المقدسـة بالعصـا.. فقـد يظـن الـبعض ان طلـب الله لموسـى بإلقـاء مـا فـي يمينـه جعلـه يرميهـا علـى الأرض ولكننـا نظـن مـن خـلال مـا توصـلنا اليـه فـي الفصـول السـابقة ان فعـل الالقـاء للعصـا جـاء الـى داخـل النـار ولكـي تعـاد هـذه العصـا الـى سـيرتها الأولـى وتاريخهـا المقـدس حيـث ان النـار هـي المصـدر الـذي جعـل العصـا تهتـز ﴿كأنهـا جـان﴾ ورب سـائل يسـأل مـا هـو هـذا الكـائن الـذي وصـف الله العصـا علـى شـاكلته فهـو ﴿ لـيس جـان طبعـا﴾ بـل ﴿ كأنهـا جـان﴾ فهـل رأى موسـى جـان سـابقاً يـا تـرى؟!! ومـا فائـدة ان يضرب الله لنا مثلاً لا نستطيع ان نتخيل شكله؟!!

علاقة العصا بالنار المقدسة:

ان المفردة المسـتخدمة لوصـف هيئة العصـا التي أصـبحت عليها بكونها تهتز كأنها جان جاءت فقط لان لغتنا العربية لا توجد فيها مفردة تعبر عن شكل هذا المخلوق المخيف الذي راه موسى وفر هارباً ﴿انا اتخيل﴾ من حضـرة الله نحو المجهول!! مع كل علمه وقوته وشـجاعته يفر موسـى هارباً من حضـرة الله لهول ما رآه.. ونحن نعتقد ان ما رآه موسـى مصـاحباً للنار المقدسـة لم يتحقق مرة أخرى في يوم الزينة لأن لا فرعون ولا ملأهِ ولا أي واحد من عامة الناس قد ولى هارباً لما رأى العصـا تتحول الى ثعبان مبين.. فالهيأة التي كانت عليها بوصـفه تعالى لها بأنها ﴿حية تسـعى﴾ لا تشـبه وصـفه لها بانها ﴿ثعبان مبين﴾ فكلمة حية هنا تعني الحياة

وكلمة الثعبان هنا تعني الكائن الحي المسمى ثعبان من فصيلة الزواحف، وما يهمنا من هذا الربط القصصي هو قصة ناقة صالح وقربان ابني ادم السابق.. حيث ان النتائج هذه التي نفهم من خلالها ان بعث الحياة في العصا لإعادتها الى سيرتها الأولى كان مصدره وجودها في النار المقدسة البيضاء كنور الله الموصوف في سورة النور والنار التي اكلت قربان ابن ادم المقتول جعلت الحياة تدب في هذا القربان لا تأكله بمعنى تشويه او تحرقه لقوله تعالى:

﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (1)

ويفهم من هذا النص ان قولهم ﴿قربان تأكله النار﴾ هو ليس امراً متواتراً مفهوماً عند الناس من علاقة النار بالمواد من حولها فالنار تحرق كل ما تقع عليه من مواد والحرق بمعنى تفتيت بالكامل الى المواد الأولية الكربونية، اما الاكل فهو الإحاطة بالمواد من كل الاتجاهات ولكي نقرب الصورة أكثر لنتابع وصف النار المقدسة الممزوجة بنور الذات الإلهية بقوله تعالى:

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ

---

(1)سورة آل عمران: آية: (183).

مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (1)

ومن هذا النص يمكننا ان نتصور كون القربان قد وقعت عليه نار القداسة واحاطته بنورها الأبيض الذي يشبه الزجاجة المكورة كأنها كوكب دري وقامت بأكله في تخومها او بطنها وبدأ يتشكل ويهتز ﴿كأنه جان﴾ كعلامة لتقبل القربان من قبل الله وتم اعادته للحياة ولكن بخواص الكوكب الدري المنير وشكله المنير بنور الذات الإلهية فأصبح نورا على نور اية للناس لا يستطيع أحد ان يمسها بسوء او يذبحها او يقتلها فأصبح هذا القربان والذي نعتقد انه اكتسب اسم ﴿ناقة الله﴾ لإنه كان بالأصل احد أنواع الحيوانات الداجنة التي نزلت مع ادم والتي حددها الله بقوله :

﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ ۗ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَٰذَا﴾ (2)

فإن أقرب الظن هو كون القربان الذي قدمه ابن ادم كان من ﴿الإبل﴾ ناقة من النوق ذبحها كقربان الى الله وحينما ﴿اكلته﴾ النار اعيد للحياة كما عادت عصا موسى الى سيرتها الأولى ولكن هذه المرة وبفعل تقبلها

---

(1)سورة النور : آية: (35).

(2)سورة الأنعام: آية 144.

كقربانٍ تغير صــنفها من الانعام الى الدواب وأطلق عليها ﴿ناقة الله﴾ المبصــرة والتي اخرجها قوم صــالح ﴿عقروها﴾ من ديارهم ومراعيهم وحياضهم والتي أرسلها الله لعدة مرات في القصص القرآني بأسماء دالة عليها كما سنبينه في المباحث القادمة ان بقيت الحياة..

ربط القصص السابقة بقصة عيسى والحواريين:

أذن لنرجع الى سياق مبحثنا الأول ونخرج من القصص المرتبط به الى صلب موضوعه وهو ﴿عيسى و الحواريون ﴾ والأشخاص المرتبطين بهذه القصة ﴿مريم الصديقة وزكريا النبي ويحيى الوجيه ﴾ لنفهم وجه الترابط الاجتماعي بين هؤلاء النخبة والصفوة لهداية بني إسرائيل بعد ان انحرفوا عن جادة الطريق الســوي بانتهاجهم ديدن تقتيل الأنبياء وتكذيبهم كان لابد من حفظ ميراث النبوة والكتاب وضــمان اســتمراريته للأجيال القادمة وهكذا كان كما أراد الله وكتب على هذه الأرض بأن يرثها عباده الصالحين ومن هؤلاء الصــالحين انبثقت فئة قليلة من مجتمع كان ينتهج نهجاً معادياً لرسالات السماء كافراً بها مغيراً لسنة الله على الأرض اتسموا بصفة ﴿الأنصــار ﴾ عن علم ودراية علَّمهم الله إياه مباشــرة عن طريق الوحي وفي تلك الفترة الزمنية كان هناك عدد لابأس به من الأشــخاص يســكنون في الأرض المباركة لهم كرامات ومخاطبات مع السماء بعد رحيل عمران النبي

فكانت امرأته تأتيها الملائكة وتكلمها حينما حملت بمريم ابنة عمران قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (1) .

فآل عمران من المصطفين كما ال إبراهيم قد خضعوا للاختبار والتمحيص وكانت بذره هذا الاصطفاء ﴿مريم ابنة عمران﴾ وللعلم فأن الصديقة مريم هي الامرأة الوحيدة التي تم ذكر اسمها صريحاً في القرآن دوناً عن باقي نساء العالمين ولهذا فهي سيدة نساء العالمين التي تقبلها ربها قبولاً حسناً بعد اذ نذرتها أمها بقولها أنى نذرت ما في بطني محرراً.. قال تعالى:

﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (2).

وكذلك كانت مريم تكلمها الملائكة وزكريا ويحيى وعيسى بل وحتى الحواريون!!

قال تعالى:﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ (3).

---

(1)سورة ال عمران: آية 33.

(2)سورة ال عمران: آية 35.

(3)سورة المائدة: آية 111.

ولكي نفهم توزيع الأدوار فيما بين يحيى وعيسى والحواريين لإيصال رسـالة الرب لهذا المجتمع المتهالك والتمسـك بالكتاب ونزول الانجيل والتصـديق بالتوراة والحث عليها لديمومة اسـتمرار تعاليمها في المجتمع نسـأل سـؤالاً مهماً: لماذا كان لعيسـى ابن مريم حواريين يا ترى دوناً عن باقي الأنبياء﴿سـؤالنا السـابق في الفصـول الأولى﴾ من الواضـح ان كلمة حواري مرتبطة بالجذر ﴿حر حور حار حاور حير ﴾ فهذه الكلمات مرتبطة ارتباطا وثيقا بما يطلقه الله كتخصـيص للنفر الذين نصـروا عيسـى ابن مريم قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ (1)

إذا تدبرنا النص السـابق بعناية نفهم جيداً ان الحواريين هم طائفة من بني إسـرائيل وكان بنو إسـرائيل يكنون لهم العداوة والبغضـاء وربما تعرضـوا للأذى لأنهم من الدعاة لاتباع عيسـى ابن مريم فكان لابد من عيسـى ان يتخذ موقفاً من بني إسـرائيل وينصـر من نصـره منهم ومن الواضح أيضا ان الحواريون كانوا طائفة لم تؤمن بأكملها مع عيسى او على

(1)سورة الصف: آية 14.

الأقل لم تكمل المسـير الإلهي معه.. وهنا يجب ان نفهم ان هذه القاعدة كانت متوفرة من خلال معلم ممهد لهم قبل تواجد عيسـى على سـاحة المطبخ السياسي لكتابة دستور المنطقة..

من هو المسيح؟!!

رسـت بنا سـفينة التدبر في بداية هذا المبحث الى ميناء البحث والتقصي عن الحقيقة في مدلولات كلام الله من داخل كتابه الكريم حيث قادتنا الى طرح السـؤال التالي: ﴿من هو المسـيح؟!﴾، فالمسـيح وعيسـى اسمان لشخص واحد بدلالة قوله تعالى: ﴿اسمه المسيح عيسى ابن مريم﴾، وهذا الاسـم بثلاثيته المتصـلة كجملة واحدة بلفظ متسـق لم يطلق بهذا الوصـف اطلاقا على أي نبي غير عيسـى ابن مريم(عليهما السلام) وحتى لمن اشتبه ان موسى الكليم وعيسى(عليهما السلام) لهما مشتركات في القصص منذ الولادة مثل الرأي القائل ﴿عدم ذكر اب لموسـى اذن عيسـى ولد ولادة طبيعية﴾، وانا اضـع امام هذا المنطق عدة علامات اسـتفهام؟!! فكيف يمكن اسـقاط الوصـف التكويني لخلق عيسـى ابن مريم من خلال وصـف اعتباري؟! وهل يصـح ان نرمي آيات الخلق والنفخ عرض الحائط لمجرد امر اعتباري بكون الله لم يحدثنا عن والد موسـى او والد محمد او والد يونس مثلا؟!!، ولنسلم جدلا ان نركن لهذا المنطق الخاطئ ونسأل سؤالاً إعتراضـياً عليه: لماذا لم يذكر الله عن موسـى الكليم ان اسـمه ﴿الكليم موسـى ابن امه﴾؟!!! مهما كان اسمها الافتراضي.

ان وضـع آيات الذكر الحكيم للتدبر بعيدا عن المنهج الاخباري لا يكون اعتباطاً او مجرد أفكار يتم اسقاطها على النص فقط لأن الباحث مقتنع بما لديه، فكم من الأفكار التي كانت تسـاورنا قد رمينا بها في بحر نفايات الأفكار الغير صالحة كي يصبح لدينا تدبر ذو سياق مقبول من قبل أصحاب الفكر العصـري وذوي الالباب ، فالله جل وعلا قد صـرح ان المسـيح له ثلاثة أسماء مرتبطة تكوينياً به، وكلمة ﴿المسيح﴾ كانت قبل ولادته حينما جاء به الروح الى مريم ﴿ككلمة﴾ والقاها الى مريم وكلمة ﴿عيسـى﴾كانت بعد ان اصـبح روحاً وتراباً في رحم امه أي بعد القاء الكلمة الى مريم اصـبح اسـمه ﴿عيسـى ﴾ وجملة ﴿ابن مريم﴾ النَسَـبِية تدل على نَسَـبِه وانتمائه التكويني لأمه فقط من غير اب حسـب ما اثبتناه في الفصـول السـابقة ،والجملة الخبرية ﴿ عيسـى ابن مريم ﴾ بالكامل تعتبر بحد ذاتها اسـماً واحداً حسـب مفاهيم اللغة والبلاغة ، وكلمة المسيح اذا ارجعناها لجذرها تكون تصـريفاً لكلمة ﴿ م س ح ﴾ أي انها مشـتقة من المسح وكل مسـح يتم باليد حسـب آيات الذكر الحكيم فكما كانت مفردة اليمين مرافقة لها مفردة ﴿ العصـا﴾ او تعبيرا عن الكتابة بالقلم و التي تم التطرق لها سـابقاً فمفردة المسـح تكون دائما مرافقة لمفردة ﴿ يد﴾ انظر قوله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّـلاةِ فاغْسِـلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ ﴾[1].

(1)سورة المائدة: آية 6.

المسيح كلمة الله:

والسؤال المهم جداً جداً هو اننا إذا فهمنا ماذا تعني كلمة المسيح وبدلالة ارتباطها باليد فماذا يعني ان المسيح هو ﴿كلمة منه﴾ يا ترى؟!!وكيف القى هذه الكلمة الى مريم؟!! هل كما يلقي خطباء المنابر والشعراء كلامهم علينا ﴿كتعبير مجازي﴾ من خلال منصات الشعر ومنابر الوعظ ام لله قصداً غير هذا الاسقاط لمعاني اللغة الحديثة التي يحاول أصحاب الموروث جر المتدبرين الى مزلقه، فالله جل وعلا لسانه ازلي وكلامه لا ينفذ ولا يلقي الكلام مجازاً لوصف أحسن القصص في القرآن كي نأخذ منها الدين.. فاذا كان الشرع يؤخذ مما هو محكم من آيات بينات فقد أصبح المجاز لهواً إذا اخذنا بهذا الرأي.. والعياذ بالله..

قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ (1)

ولما كان عيسى ابن مريم﴿عليهما السلام﴾ هو ﴿كلمة الله﴾ فقد كان يحيى﴿عليه السلام﴾ مصدقاً بهذه الكلمة قال تعالى:

﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ (2)

(1)سورة الكهف: آية 109.

(2)سورة ال عمران: آية 39.

وممكن ان نسأل سؤالاً مشروعاً هنا لفهم هذه الجزئية بشمولية، وهو لماذا لم يكن أي من إبراهيم او صالح او ادريس (عليهم السلام) كلمة الله؟!! لماذا كان عيسى (عليه السلام) بالذات هو من اتصف بكونه (﴿كلمة الله﴾)؟!! نحن نسأل فقط؟!! ويمكن ان نستنبط الجواب من خلال الآية التالية: قال تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللّهُ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (1).

وبما أن الامر المشترك بين الأنبياء كمحمد وإبراهيم وادريس (عليهم السلام) على سبيل المثال لا الحصر هم رسل الله أرسل كل واحد منهم بلسان قومه فعيسى ابن مريم (عليهما السلام) هو أيضاً رسول الله ولكنه لا قوم له؟!!

كيف هذا؟!! ولماذا يكون عيسى (عليه السلام) لا قوم له؟!! لنتابع الأدلة:

المسيح لا قوم له:

ان عيسى (عليه السلام) بعث الى بني إسرائيل ولكنه ليس من بني إسرائيل نسبا فهو ليس ابن أحد منهم انما روح الله وكلمته القاها الى البتول. قال تعالى:

(1)سورة ابراهيم: آية 4.

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (1).

فعيسى (عليه السلام) مرسل الى بني إسرائيل حسب هذه الآية ولكنه لم يكن منهم كما هو واضح فيها، والا لخاطبهم بقوله ﴿يا قوم﴾ ومن الجدير بالذكر ان هذه المخاطبة لبني إسرائيل في هذه الآية هي المرة الثانية التي وجه فيها إليهم كلاماً!! فالأولى حينما كان في المهد والثانية حينما أصبح كهلاً، فها هو كهلاً يخاطبهم مبشراً برسول من بعده اسمه ﴿احمد﴾ فلماذا لم يرد عليه أحد منهم ان هم حقاً قد فهموا خطابه وبشارته بل ان كل ردودهم الكلامية كانت حينما يأتيهم بالبينات لا حينما يكلمهم، وانوه فقط ان عيسى (عليه السلام) حينما كان يخاطب بني إسرائيل كان الحواريون هم من يرد عليه لأنهم اوحي لهم من قبل الله ولهم خبرة باللغة التي يخاطبهم بها عيسى (عليه السلام) فهم فقط من يستطيعون التحاور معه!! ولكي نفهم اختلاف صيغة الخطاب ما بين الأنبياء وقومهم عن توجيه الخطاب من قبل عيسى (عليه السلام) الى بني إسرائيل سنستدل بآيات الذكر الحكيم..

(1)سورة الصف: آية 6.

فها هو إبراهيم(عليه السلام) يذكر الله ان له قوم مرسل إليهم:

قال تعالى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(1).

وكذلك لوط(عليه السلام) يحدث الله عنه وعن قومه:

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّن الْعَالَمِينَ﴾(2).

وموسى(عليه السلام) يحدث الله عنه وعن قومه بقوله:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾(3).

ونوح(عليه السلام) يحدث الله عنه انه قد خاطب قومه: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللّهِ فَعَلَى اللّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُواْ إِلَيَّ وَلاَ تُنظِرُونِ﴾(4).

---

(1)سورة العنكبوت: آية 16.

(2)سورة الأعراف: آية 80.

(3)سورة البقرة: آية 54.

(4)سورة يونس: آية 71.

وهكـذا بـنفس النسق حينما نرصد كلمـة ﴿قـوم﴾ نجـدها فـد وردت مـع كـل الرسـل الـذين ارسـلهم الله الـى اقـوامهم ماعـدا عيسـى ابـن مـريم﴿عليه السلام﴾ كـان قـد كلـم النـاس ﴿ فـي المهـد وكهـلا ﴾ مـرتين فقـط ولـم يخـاطبهم بقـول ﴿يـا قـوم﴾ بـل بـ﴿يـا بنـي إسـرائيل﴾ فقـط وفـي هـاتين المـرتين لـم يكـن هنـاك جـواب كمـا نلاحظـه مـن خـلال تتبـع خطابـات الرسـل لأقـوامهم ودائمـاً مـا نجـد رداً مباشـراً سـواء بالتكـذيب او العصـيان او الوعيـد بـالرجم وهكـذا ...اذن يمكننـا القـول جـازمين ان عيسـى﴿عليه السلام﴾ لـم يكـن لـه قـوم بـدليل الاثبـات الـذي عرضـناه علـى حضـراتكم أعـلاه وهـذا يـدل دلالـة قاطعـة علـى ان الاسـتنتاجات فـي الفصـول السـابقة كانـت اقـرب للصـحة مـن كونهـا مجـرد ظـن مفتـرى ومنهـا كـون عيسـى﴿عليه السلام﴾ ولـد بمعجـزة مـن غيـر اب وكونـه وامـه ايـة مـن آيـات الله وكونـه مسـيح مـن تـراب وكونـه روح مـن الله وكونـه كلمـة الله التـي القاهـا الـى البتـول وعيسـى ابـن مـريم﴿عليه السلام﴾ هـو بشـر ولـيس مـن النـاس، قـال تعـالى:﴿ إِنَّ مَثَـلَ عِيسَـى عِنـدَ اللَّـهِ كَمَثَـلِ آدَمَ ۖ خَلَقَـهُ مِـن تُـرَابٍ ثُـمَّ قَـالَ لَـهُ كُـن فَيَكُـونُ ﴾ [1]، وآدم ﴿عليه السلام﴾أبـو البشـر كمـا أثبتنـا فـي المباحـث السـابقة قبـل ان ينسـى العهـد والمواثيـق قـال تعالى:﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾ [2].

(1)سورة ال عمران: آية 59.

(2)سورة طه: آية 115.

وعيسى ﴿عليه السلام﴾ لم يشبهه الله جل وعلا بآدم الانسان بل شبهه كمثل آدم البشر قبل ان ينسى العهد والمواثيق التي اخذها الله عليه وعلى اولي العزم من الرسل قال تعالى:

﴿إِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ (1)

وفي تصوري ان تبعات هذا الاستنتاج من كون عيسى﴿عليه السلام﴾ لا قوم له وان لغته ولسانه مختلفان عن لغة ولسان بني إسرائيل قد تنفعنا في تفسير كثير من الحوادث التي رافقت رسالة عيسى ابن مريم ﴿عليه السلام﴾وتمكننا من ربط القصص الهائمة لوحدها في بحور الذكر الحكيم والتي فصلت زمنياً وجغرافياً ووجدانياً عن قصة عيسى ابن مريم﴿عليه السلام﴾ والحواريين ويحيى ﴿عليه السلام﴾والعلاقة الاجتماعية بين آل عمران وبني إسرائيل كونها علاقة أرث نبوي ومُلكٍ عظيم وحاكم ومحكوم وحضارة دفنت اطلالها بين كثبان تراب الأرض المقدسة..

ان من اهم تبعات ما توصلنا اليه من نتائج هو ان عيسى ﴿عليه السلام﴾ لم يتحدث بلغة بني إسرائيل اطلاقاً، وأن بني إسرائيل لم يوجه لهم الكلام سوى مرتين اثنين بدليل قوله تعالى:

---

(1)سورة الاحزاب: آية 7.

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ(45) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [1].

بأي لغة يتكلم عيسى أبن مريم إذا لم يكن له قوم ؟!!

المسيح هو عيسى ابن مريم وهو كلمة من الله وهو وجيهٌ في الدنيا ووجيهُ في الاخرة وهو من المقربين وهو يكلم الناس في المهد وهو يكلم الناس كهلاً فقط!!! اعطوني وصفاً متسقاً متناسقاً لنبي آخر غير عيسى ابن مريم ﴿عليه السلام﴾ كهذا الوصف الجميل والرائع في الدقة والتفصيل والمرونة والوضوح فبأي حديث بعد هذا تكفرون ...ولو كان قد كلم الناس في أي مرحلة من مراحل حياته كالمراهقة والشباب وعند بلوغ اشده أربعين سنة او ما قبل الشيخوخة والكهولة لذكر الله هذا، لأنه لا يستحسن ان ننسب لله ان يهمل هذه المراحل، بل ان القول من الله كوصف لنبي انه ﴿يكلم الناس﴾ يفترض انه عبثي ان كان النبي يتحدث بلسان قومه على سبيل الافتراض فهل من المنطق ان أقول ان محمداً كان يكلم الناس؟!! طبعاً كان يكلمهم بل هو طبيعي كلامه معهم انما الغير طبيعي في الكلام هو كونه صادر في مرحلة المهد، اما كهلاً فهو غير مستحسن اطلاقاً ان يكون في الحالة الغير طبيعية ولا بلاغة في الامر نهائياً.. فحينما قلنا ان عيسى﴿عليه السلام﴾ لم يتكلم بلسان القوم حينما جاءت به امه تحمله لم ينسب القوم له بل لأمه..

(1)سورة ال عمران: آية (45-46).

قال تعالى:﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ (1).

فالقوم قوم امه وليسوا قومه!! وحينما تكلم معهم وهي تحمله لم يكن أحد قد وجه اليه بالمباشر سؤالاً بل تم توجيه السؤال من قبل القوم لأمه وهو الذي بادر وكلمهم.. قال تعالى:

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ (2).

اذن القوم لم يسألوا عيسى (عليه السلام) شيئاً وهو بادرهم بالكلام فهم لم يكلموه ولم يردوا على كلامه وليت شعري كيف صدق الجيل تلو الجيل ما افاضت به قرائح المفسرين علينا أن بني إسرائيل وعهدهم في تقتيل وعداء الأنبياء يخاطبهم نبي وهو لازال طفلاً رضيعاً في مهده لا حول ولا قوة سوى ان كافل مريم ويحيى (عليه السلام) موجودين وبعض الأنصار حولهم ويقول لهم انه نبي ومرسل إليهم واتاه الله الكتاب دون ان ينبتوا ببنت شفة او يبادروا لإيذائه وابعاده من بين ظهرانيهم؟!! بل ان سلمنا جدلاً ان القول بفترة المهد كمرحلة متقدمة على المهد المتعارف انما هي مرحلة بداية عهده بتعاليم السماء وايتاءه الكتاب فأين كان عن انظار وتربص علماء وحاخامات بني إسرائيل مع علمهم بأنه يهدم تعاليمهم اليهودية

(1)سورة مريم: آية 27.

(2)سورة مريم: آية 29.

وتحريفهم للكلم عن مواضـــعه وابتداعهم الرهبانية التي ما انزل الله بها من سلطان؟!! لنتابع خطابه إليهم ...

قـال تعـالى: ﴿قَـالَ إِنِّـي عَبْـدُ اللَّـهِ آتَـانِيَ الْكِتَـابَ وَجَعَلَنِـي نَبِيًّـا (30) وَجَعَلَنِـي مُبَارَكًـا أَيْـنَ مَـا كُنـتُ وَأَوْصَـانِي بِالصَّـلَاةِ وَالزَّكَـاةِ مَـا دُمْـتُ حَيًّـا (31) وَبَـرًّا بِوَالِـدَتِي وَلَـمْ يَجْعَلْنِـي جَبَّـارًا شَـقِيًّا (32) وَالسَّـلَامُ عَلَـيَّ يَـوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [1]

وحينمـا نتـابع مـا افاضـه علينـا التـاريخ الـذي كتبـه علمـاء المسـيح والنصـارى عـن النبـي عيسـى (عليه السلام) نجـدهم لـم يتنـاولوا غيـر بدايـة حياتـه واخرهـا ولا نجـد ذكـراً لأي مرحلـة أخـرى فـي حيـاة المسيح فـأين شـب وترعـرع يـا تـرى وأيـن قضـى سـنين مـا بعـد المهـد والمراهقـة والصـبا؟! وكـذلك الفكـر الإسـلامي لا نجـده قـد اختلـف عـن إخـوانهم مـن السـابقين فـي الحـديث عـن تـاريخ المسيح فقـد تـم التطـرق لبدايـة حياته واخرها فقط وبين هذا وذاك ألف علامة استفهام؟!!

وقـد نجـد ان القـرآن الكـريم قـد حـدثنا عـن قصـص انبيـاء فـي عـدة مراحـل مـن حيـاتهم كموسـى ويوسـف الصـديق (عليهما السلام) بينمـا لا نجـد ان المـؤرخين قـد ذكـروا عـن حيـاة المسـيح (عليه السلام) غيـر مرحلتـي ﴿المهد وكهلا﴾ وماذا عما بينهما؟!!

---

(1)سورة مريم: آية (30-31).

ولابد من طرح السؤال التالي لكي نفهم القصة التي جاءت في الذكر الحكيم بالكامل الا وهو ماذا حصل بعد ان تكلم عيسى (عليه السلام) وهو في المهد؟!! اي ماذا كانت ردة فعل القوم؟!!

الجواب يكون من خلال تدبر النص السابق للقران الكريم، لم يحصل أي أخذ وعطاء في الكلام فقد تعجب القوم من نطق هذا الغلام الذي كلمهم وهو في المهد فهم قد سمعوا كلامه ولكنهم لم يفهموا بأي لغة كلمهم ولهذا فقد رجع القوم الى انفسهم كي يتشاورا فيما بينهم ويفهموا ماذا قال الصبي واغلب الظن انهم كانوا يعلمون جيدا انه تكلم بلغة معينة وهذه اللغة قديمة وازلية ومقدسة ولولا الفضول الذي هو حالة فطرية عند الانسان ربما لقتلوا الصبي او قاموا بإيذائه ولكنه كان كنزاً لهم لفك شفرة الغاز التأريخ القديم تأريخ وارث سليمان وداود والسيطرة على ممالك الجن من خلال فك شفرة الكتب المقدسة القديمة والتي ضاعت تعاليمها ومات كل من يفهمها ويفهم رمزيتها ولهذا فنحن نظن ان القوم تريثوا في البت في امر الصبي ريثما يتم فك رموز ما قاله لهم ..نحن نظن لا اكثر ولا اقل ..ولا اعتقد ان هناك من يعترض على ما نحاول ان نتدبره بظنوننا المفتراة هذه !!

الخطاب في النص القرآني:

بل واعتقد ان الدليل القاطع والحتمي على ما نحاول جر الاستنتاج اليه هو من خلال تدبر كلمة ﴿قال﴾ التي يطلقها الله

حينما يحاور أي نبي او مرسل قومه ويصف الله ردهم عليه مباشرة بكلمة ﴿قالوا﴾ في آيات الذكر الحكيم ولم نجد أي اية تذكر ان نبياً حاور قومه الا وجاء الرد مباشرة من القوم أذن الدليل على ما نفتري هو ﴿قال﴾ و ﴿قالوا﴾!! لنتابع:

قال تعالى: ﴿فَعَقَرُواْ النَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (1).

ها هم قوم صالح﴿عليه السلام﴾ يخاطبوه مباشرة بقولهم ﴿يا صالح﴾وجاءت كلمة ﴿قالوا﴾ قبلها دليل على حوار قومه معه!!

قال تعالى: ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ (2).

وها هو النبي لوط ﴿عليه السلام﴾يحدثه قومه بقولهم ﴿لئن لم تنته يا لوط﴾ وحرف النداء ﴿يا﴾دليل على توجيه الخطاب مباشرة وجاءت كلمة ﴿قالوا﴾ بعدها!!

قال تعالى:﴿قَالُواْ يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ (3).

وها هو النبي شعيب﴿عليه السلام﴾ يخاطبه قومه بقولهم ﴿يا شعيب﴾ وأيضا جاءت كلمة ﴿قالوا) قبل حرف النداء ﴿يا﴾!!

وفي اية أخرى عن شعيب﴿عليه السلام﴾:

---

(1)سورة الاعراف: آية 77.

(2)سورة الشعراء: آية 167.

(3)سورة هود: آية 91.

﴿قَالُواْ يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاء إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ (1)

نفس النداء والخطاب للنبي شعيب!! وفي إبراهيم ونوح وموسى ﴿عليهم السلام﴾ كلهم نجد نفس الدليل ولكننا لا نجد هذا القول والوصف حينما نتدبر قصة عيسى ﴿عليه السلام﴾، ولم يوجه بني إسرائيل الكلام الى عيسى ﴿عليه السلام﴾ مباشرة كما حصل مع باقي الأنبياء وانما جاء الحوار مع الحواريين بقولهم ﴿يا عيسى﴾ فقط حينما أوحى الله إليهم أن امنوا بي وبرسولي!!

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوَاْ آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ (111) إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاء قَالَ اتَّقُواْ اللّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (2).

وقد ورد خطاب مباشر من الله سبحانه وتعالى مع عيسى ابن مريم ﴿عليه السلام﴾..

---

(1)سورة هود: آية 87.

(2)سورة المائدة: آية 111.

قال تعالى:﴿إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِىءُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (1).

ان ما نحاول ان نوفق في ايصاله الى القارئ الكريم متوافقٌ مع السرد التاريخي لقصص الأنبياء سواء ما جاء في القرآن او في نصوص كتب السيرة والتاريخ هو ان بني إسرائيل لم يكونوا ليرضوا اطلاقاً ان يكون هناك رسول مرسل اليهم ولا يكون من قومهم وعيسى﴿عليه السلام﴾ ﴿مرسل اليهم ﴾ وليس ﴿منهم﴾ولما كان عيسى ﴿عليه السلام﴾ لا يتحدث لغتهم كان تواجد يحيى﴿عليه السلام﴾ في نفس زمن عيسى﴿عليه السلام﴾ ضرورياً وحتمياً فهو رجل موثوق من قبل بني إسرائيل لقوله تعالى ﴿سيداً﴾ و ﴿ حصوراً) و ﴿نبياً من الصالحين ﴾ ويحيى ينتسب لبني إسرائيل ومصدقاً بكلمة من الله عيسى ابن مريم ..اذن تواجد يحيى﴿عليه السلام﴾ هو ضرورة لكي تكون مقبولية عيسى﴿عليه السلام﴾ بين بني إسرائيل لأداء مهمته الرسالية على اكمل وجه وبحسب تخطيط الله سبحانه وتعالى ..

(3)سورة المائدة: آية 110.


AVE
MARIA

فلسفة الخطاب واخلاقياته:

يقال في علم النفس ان من اهم أسباب الخلافات الزوجية ما بين الرجل والمرأة هو قلة الاصغاء او ضعف السمع فالرجل يحب ان يعبر عن نفسه ويحب ان يتم الاستماع له والمرأة تحب ان تعبر عن شخصيتها وتجد ذاتها في زوجها الذي يستمع اليها بكل حب وود، وحينما يتكلم احدهما ولا يجد اذناً صاغية من الاخر قد يعتبر هذا التصرف فظا ﴿Rude﴾ وقد يؤدي الى نفور الزوج عن زوجه وتهديم عش الزوجية السعيد ويجر ما وراءه من أمور سلبية أخرى على مكون العائلة والمستقر ... وحينما يتحاور الشخص او ﴿الجمع﴾ مع شخص آخر غريب عنه او ﴿مجموعة﴾ او يجري حوارا معه للمرة الأولى يكون احد اهم مسوغات عدم الرد عليه هو:

1- ضعف السمع وهذا غير مستحسن في حالة ﴿الجمع﴾ في ضرب الأمثلة وتوقع الحصول على نتائج يمكن الاخذ بها من الناحية العلمية للأدلة المقارنة الوصفية.

2- عدم الرغبة بالرد وهذا شائع في الحوارات الفردية المنعزلة.

3- عدم فهم لغة المحاور سواء للفرد او للجمع.

4- نتيجة النقطة الثالثة تؤدي الى عدم الرد فعدم معرفة اللغة نتيجة لعدم رد الحوار للفرد او للجمع.

ويمكن فهم تعابير الانسان الراغب بأن يفضي شيئاً الى محيطه من خلال ما يسمى بلغة الجسد او لغة الإشارة والايماء او الكتابة على لوح بكتابة مفهومة سواء صورية او رموز او لغة خاضعة لقواعد اعرابية او غير خاضعة لقواعد «عامية»، اذن ما سقناه لكم من ادلة في هذا الفصل من أن عيسى ﴿عليه السلام﴾ لم يوجه كلامه الى بني إسرائيل سوى مرتين وأن يحيى﴿عليه السلام﴾ هو «المترجم» لما يقوله لهم ومعلماً للحواريين «الفتية» كان مصداقا لقوله تعالى:

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (45) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (1).

أذن كان استنتاجنا ان عيسى ﴿عليه السلام﴾قد كلم الناس من حوله بلسانه ولم يكلمهم بلسانهم ونحن نعلم جيدا ان الله يرسل الرسل بلسان اقوامهم..

قال تعالى:﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (2).

---

(1)سورة ال عمران: آية 45.

(2)سورة ابراهيم: آية 4.

ولسان عيسى ﴿عليه السلام﴾ كان ﴿كلمة الله﴾ لأنه ببساطة ﴿ روح منه﴾ وخلقه ﴿بشرا﴾ لم يمر بمرحلة ﴿الظلمات﴾ تسعة اشهر في رحم امه ولم يكن له حبلٍ سريٍ لينسى العهود والمواثيق التي اخذها الله من الأنبياء في عالم الذر وهم ذراري، فهذا اللسان الازلي لم ينسى الإقرار بالعبودية والطاعة لله سبحانه وتعالى، وولد مُقِراًّ له بقوله ﴿اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبياً ﴾ وهذا كلامه وهو في المهد وحينما اصبح كهلاً اعطى بني إسرائيل الوصية الخاتمة بقوله لهم على الرغم من معرفته انهم لم يفهموا ما يقول دون الرجوع الى الحواريين بقيادة يحيى﴿عليه السلام﴾ حلقة الوصل ما بين عيسى ﴿عليه السلام﴾ وبني إسرائيل .

احمد ومحمد بلسان المسيح:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾[1]

حينما ذكر لهم اسم ﴿النبي أحمد﴾ كان هذا الاسم بلسان عيسى﴿عليه السلام﴾ لا بلسان بني إسرائيل ولو كان بلسانهم لقال لهم ﴿بنبي من بعدي اسمه محمد﴾ فهو احمد بلسان عيسى﴿عليه السلام﴾ ولسان السماء ومحمد﴿صلى الله عليه وآله﴾ بلسان اهل الأرض اجمعين.. اذن وجود الحواريين بجانب عيسى ﴿عليه السلام﴾ بقيادة ﴿يوحنا المعمدان﴾ حسب التسمية الدارجة في

(1)سورة الصف: آية 6.

الوسط الكنيسي له كان ضرورة ملحة كونهم حلقة الوصل ما بينه وبين المجتمعات المرسل اليها وكونه لا يتحدث لغة القوم..

نظرية الصلب والصليب

ماهي آلية الصلب الحقيقية بحسب مفاهيم القرآن الكريم؟! لنتابع:

قال تعالى: ﴿قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾[1].

حينما نتدبر هذا النص القرآني بدقة نلاحظ فيه عدة أمور إذا اسقطناها على مفرداتنا الدارجة وتطبيقاتها العملية الواقعية سنجدها غريبة جداً، مثلا: ﴿كيف يكون الصلب في الجذوع وليس عليها﴾؟! هل سمعتم بتطبيق عملي لهذه الجملة بحسب الفهم الكلاسيكي لها؟!! وهل يصلب الانسان في داخل الجذع ام على الجذع؟!! بل وكيف يكون الصلب إذا ما نظرنا الى بداية النص الذي يذكر فيه فرعون انه سيقطع ايادي السحرة وارجلهم من خلاف؟!!

اليس الصلب يا سادة يكون على الصليب بشكل علامة كروز ﴿+﴾؟! اليس هذا ما نعرفه من واقع عملية الصلب من خلال معايشتنا للطائفة المسيحية والذين يحملون صليبهم دوما على شكل قلائد يتبركون بها

---

(1) سورة طه: آية 71.

وتذكرهم بقصة صلب المسيح بحسب ما روتها لهم قصصهم في الاناجيل والعهد القديم؟! الا تتخذ إنكلترا الصليب بشكل علامة ﴿+﴾ رمزا في علمها؟!! الم يكن الصليب بعلامة ﴿+﴾ رمزاً في دروع جيوش الحملات الصليبية وريتشارد قلب الأسد؟!! اليست هذه الرواية متفق عليها من قبل الغرب ومن قبل الرواة الذين يفتخرون بأمجاد صلاح الدين الايوبي واحتلاله لأورشليم بعد ان كانت بيد الصليبيين؟!!

السؤال حول هذا النص بدقة: كيف يكون شكل الصلب داخل الجذع بحسب هذا المنظور القرآني وكيف يتم الصلب بدون وجود ايادي وأرجل وما هو الجذع للنخلة أصلا؟!!

سنحاول جهد الإمكان ان نوصل ذهن القارئ الى فهم ﴿انا اظن﴾ انه أقرب للتطبيق الواقعي من الموروث الكلاسيكي ولا ننسى ابدا ان القرآن نزل بلسان عربي مبين لا بلسان الاعراب والجمهور والغرب الاعجمي قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وهذا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾[1].

لقد دأب الفكر الكلاسيكي للمؤرخين على الخوض في خيالات المجاز لكل نص قرآني لا يجدون له تأويلا او مخالفا للقواعد اللغوية ﴿GRAMMAR﴾

(1) سورة النحل: آية 103.

التي اتفق عليها اسلافهم ليقوموا هم بمحاكمة النص القرآني على أساسها، وكمثال على هذا فهم ﴿أي النحويون﴾ قد بينوا في كتبهم ان حرف الجر ﴿في﴾ والذي يقابله في اللغة الإنكليزية ﴿IN﴾ يدل على دخول الشيء في الشيء، وحينما نتدبر قوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ بحسب هذه القواعد يجب ان نفهم من هذا المشهد ان على جند فرعون ان يدخلوا السحرة في داخل جذوع النخل!! وأن كان هذا المشهد ربما يمكن إيجاد له حل تطبيقي في مرحلة الدخول في الجذوع فقط بغض النظر عن جوانبه الشكلية الأخرى فماذا سيقول اصحابنا من اهل الدراية والرواية والموروث الكلاسيكي الاخباري في تأويل آيات القرآن في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾(1).

كيف سيأتي الله ﴿في﴾ ظلل من الغمام في حين ان المفروض ان يقول ﴿بظلل من الغمام﴾ ليستقيم المعنى؟!! هل من مدَّكر؟!!

هل يدخل الله في مخلوقاته وهو المنزه عن مجانستها بحسب الأثر والحديث؟!!

ولا شك عندي ان هذا المشهد التصوري الذي يرميه المفسرين في خانة المجازات ﴿تجويز ما لا يجوز﴾ والناسخ والمنسوخ، بل وحتى تجرءهم على

(1) سورة البقرة: آية 210.

القول بتحريفه ودسه في النص القرآني وأنه ليس من القرآن لا لشيء الا لأنه أعجزهم وأذلهم وبين للعامة جهل هؤلاء بمبادئ لسان القرآن اللسان العربي المبين، ولسان الذي يلحدون اليه أعجمي، بل حتى أروع اعمال بابلو بيكاسو ﴿Picasso﴾ الفنية وفان جوخ ﴿van Gogh﴾ في الرسم الميثولوجي لن تستطيع ان تصور لنا ما هو شكل دخول الله في ظلل الغمام والملائكة ليس عجزا منهم ولكن لأن هذه اللوحة لن تصوره كإله وهو متصاغر مهين لا يكاد يبين غير متكبر في هذا المشهد المخيف بحسب وصف الله والذي حرفته قواعد الكلم الوضعية التي يحاكم بها نص قرآني يعتبر مصدرا من مصادر تقويم اللغة الدارجة في مناطق شهرة القرآن وانتشار تعاليمه ومفرداته وقدسيته.

قال تعالى: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هذا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾[1].

وعَوْداً عَلَى بَدْءٍ لكي نفهم كيفية الشكل الواقعي من منظور قرآني للصلب لنتدبر النص القرآني الذي يذكر هذه المفردة:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[2].

(1) سورة الزخرف: آية 51.

(2) سورة المائدة: آية 33.

قال تعالى: ﴿لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلاَفٍ ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[1].

قال تعالى: ﴿قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾[2].

قال تعالى: ﴿قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[3].

في هذه النصوص وردت كلمة ﴿الصلب﴾ في سياقات العقاب والعذاب والتقتيل نكالا بالمعارضين للأنظمة سواء كانت من جانب الخير ام من جانب قوى الشر والظلام.

كما وردت في ذكر محاولة قتل عيسى ابن مريم، قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾[4].

(1) سورة الاعراف: آية 124.

(2) سورة طه: آية 71.

(3) سورة الشعراء: آية 49.

(4) سورة النساء: آية 157.

ووردت أيضا في تفسير رؤيا الفتى صاحب يوسف في السجن الذي رأى انه يحمل خبزا على رأسه فتأكل الطير منه:

قال تعالى: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾(1).

وبهذا نفهم من خلال المقارنة بين فعل تقطيع الايدي والارجل وفعل حمل الخبز على الرأس في رؤيا الفتى صاحب يوسف في السجن انه لا علاقة بشكل الصليب الذي نراه في هذا اليوم في الكنائس والأفلام والاثار والتماثيل الفنية والمنحوتات واللوحات التي تصور الرجل يمد ذراعيه على خشبة بمستوى كتفه وتثبت بمسامير على وتد الخشبة والتي تكون بشكل الصليب ﴿+﴾.

من تقطع يده لا يمكنه ان يعلق من خلالها على خشبة عالياً لأنه لا يد له.

ومن يرفع يديه عاليا لحمل الخبز بوعاء ﴿صينية من الفخار او السعف والجريد﴾ لا يمكن ان يكون شكل صلبه يأخذ وضع ﴿A CROSS﴾

ولكن كيف يمكننا فهم الية الصلب في الجذع وليس معلقا عليه؟!!

---

(1) سورة يوسف: آية 41.

ان الفكر السـائد يجعل من القطع واليقين المتحصـل من المحيط الاجتماعي أن مفردة الجذع في قوله ﴿جذوع النخل﴾ هي دالة على جسـم النخلة البارز فوق الأرض ويحمل في نهايته العليا السـعف والثمار ومنه يمكن للفلاح ان يتسـلق على ﴿جذع﴾ هذه النخلة للوصـول الى قمتها وتشـذيبها وتلقيح ثمارها بل ان مفردة ﴿جذع﴾ يسـتخدمها الأطباء والبيولوجيين في الإشارة للخلايا الجذعية ﴿STEM CELLS﴾ او الخلايا الجذرية في الكائنات الارقى في سلم الفصائل والانواع، وكما ذكرنا في الفصـول السابقة ان القرآن هو رسالة تعبر عن وجهة نظر من أرسلها فكيف سيكون شكل الجذع قبل قيام حاخامات واحبار الأديان والمفسرين الذين أكثروا من التأويلات والاسـقاطات الذهنية لتصـوراتهم ومجازاتهم من كتابة هذا التأريخ الذي لا يشـبه ما موجود في ظاهر القرآن الكريم وخاصـة في قوله تعالى: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾[1].

فما علاقة الجذع بالرطب يا ترى؟! وكيف سـتهز ﴿مريم﴾ الجذع اليها وليس هزا عشوائيا من أجل الرطب وهي في حال لا يمكن تصويره للقارئ الكريم من الوهن والضعف سوى في وصفه تعالى حينما قال عن لسان حال مريم: ﴿قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾[2].

(1) سورة مريم: آية 25.

(2) سورة مريم: آية 23.

التحريف في كتب الأديان:

ولكي يكون مبحثنا أكثر شــمولية يجب ان نبحث فيما وراء تبعات هـذه الظنون والارث الـذي تركـه الأنبيـاء من بعـدهم متمثلا بكتـب الله وتعاليمه فقومهم يســمون ﴿أهل الكتاب﴾ ولما كانت صــحف إبراهيم وموســى وزبور داود والذكر والكتاب والتوراة والالواح والرق المنشــور وحتى القرآن قد تم تخريجهم من ذلـك الزمن الى يومنـا هـذا بنســخة واحـدة فلمـاذا كـان الانجيـل بنســخ متعـددة وليس عبرانيـا علـى الرغم من ان عيسى﴿عليه السلام﴾ كان مرسلا الى بني إسرائيل؟!!

لنتــابع مــاذا ســتكون تبعــات هــذا الســؤال والــذي قــد لا تكــون نتائجــه مرضــية مــن الناحيــة العقائديــة للــبعض مــن إخواننــا المتابعين لما نكتب..

أولاً: لنكون منصـفين فأن القرآن فيه من الحقائق عن الاقوام التي حاول تغيير كلام الله وتحريفه بحيث نســتطيع الاســتدلال بها للإنصــاف عما نفتريه على باقي الديانات من ان كتبهم محرفة والدليل على تحريف الانجيل مثلا قد يسوقه اغلب اهل الدراية والتفسير والحديث الإسلامي بأن الانجيل قد خرج لنا بنســخ عديدة ولهذا فهو محرف!!! وأظن ان لي كل الحق بأن اسال سؤالاً إعتراضياً عن هذه العقيدة المتفشية في الوسط الديني الإســلامي: إذا كـان هـذا فهمكم للتحريف فلمـاذا كـانت التوراة بنسخة واحدة وهي أقدم؟!!

ثانياً: ان هذا الافتراء على باقي الديانات يجعلنا نرجع الى كتاب الله «القرآن» فنحتكم على أساس ان من حرف الانجيل هم «المسيح» انفسهم من نصارى بكافة طوائفهم ورهبانهم وقساوستهم من باباوات وأساقفة وباقي التسميات والمصطلحات الدينية والتي لا ينفردون بها طبعا فنحن المسلمين كلما كان المؤلف المفسر لكتاب الله والمتصدي للدين والمذهب قديما كلما كثرت الألقاب قبل اسمه كقولهم « سماحة وحجة واية الله والمعظم والامام والفخر والعميد والرئيس والزعيم والمؤسس وغيرها من الألقاب الرنانة والتبجيل الظاهر بعد كل رسم لاسمه في الكتاب مثل قدس سره ودام فيضه ورضي الله عنه وغيرها للأنصاف طبعاً وليس الانتقاص» ..اذن فأننا حينما نتدبر القرآن الكريم لا نجد ان الله حدث لنا في قصصه واحسنها ان النصارى قد حرفوا الكتاب ولكنه يذكر ان اليهود هم من قاموا بتحريف الكتاب ؟!!!

قال تعالى:﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ (1).

(1)سورة النساء: آية 46.

اذن الـذين هـادوا وليس النصـــارى ولا غيرهم هم من قـاموا بفعـل ﴿التحريف﴾ ورب سـائل يسـأل، ما هو فعل التحريف الذي قام به الذين هادوا؟!! وهل ان المقصود بكلام الله هو القرآن فقط؟!!

الجواب:

أولا: ان فعل التحريف كان للكلم عن مواضـعه وهذه المفردات سـنقوم بتفصيلها وتدبرها بدقة.

ثانيا: كلام الله هو كل ما صدر عنه من تراكيب لغوية لا مبدل لكماته ولا نفاذ وصـلت الينا عن طريق الرسـل الذين حملوا كلامه لنا في كتبهم ﴿من الواح وزبور وصحف وتوراة وانجيل بكل نسخه وقرآن﴾.

ثالثا: ان مقتضـى عدالة الله تنبأنا انه من الظلم ان يتعهد الله بحفظ كتاب امة دون سـواها بل انه لمن غير الحكمة ان ننسـب لله فعل الحفظ لكلامه على امة دون غيرها فهو جل وعلا، لا مبدل لكلماته وتحريف الكلم من بعد مواضعه يختلف عن تبديل الكلام.

رابعا: ان الله لم يتعهد بحفظ القرآن الذي بين أيدينا بل تعهد بحفظ الذكر الذي يحوي القرآن وباقي كلام الله فالذكر ليس القرآن كما يعلم المتدبر اللبيب لنصوص القرآن الكريم، قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (1)

(1)سورة النحل: آية 15.

والزبور كما نعلم كان لداود ﴿عليه السلام﴾، قال تعالى:

﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ على بَعْضٍ ۖ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴾ (1).

بقي ان نفهم ان هناك فرقاً شاسعاً ما بين التبديل والتحريف، قال تعالى:

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (2).

وان من قام بفعل التحريف هم كل الاقوام﴿يهود ونصارى وصابئة ومجوس وإسلام﴾ ولكن لم يستطع أحد منهم تبديل كلمات الله ﴿ لا مبدل لكلماته﴾ وهذا ملخص لما نعتقده، قال تعالى:

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ (3)

---

(1)سورة الاسراء: آية 55.

(2)سورة يونس: آية 15.

(3)سورة النساء: آية 82.

الخاتمة

ان الخوض في تفاصيل قصة عيسى والحواريين (عليهم السلام) وعلاقته بأمه مريم (عليها السلام) لها ابعاد عقدية مهمة جداً يمكن جعلها منطلقا لتدبر أوسع مما تم كتابته في هذا الكتاب على مراحل معينة، وقد أثيرت شبهات كثيرة حول هذا الموضوع منها ان البعض من الكتاب والباحثين يقول ان لعيسى ابن مريم (عليه السلام) والد ارسله الله لمريم (عليها السلام) كي ينفخ فيها هذا الجنين بطرق بيولوجية بشرية طبيعية «من خلال العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة» والتي تسمى في الاصطلاح الفقهي بـ «الجماع» أو «الدخول» ولكي لا نخوض في تفاصيل مثيولوجية معقدة حول طرق ولادة «انصاف الالهة في البانثيون اليوناني والمصري» كعطية زيوس الى الاسكندر وابنه غير الشرعي «هرقل» فأن منهجنا منذ بداية كتابة هذا الكتاب كان مقيداً بالنص القرآني فقط في محاولة خجولة لتدبر بعض آياته وفهمها بصورة اقرب للواقع ، وقد يعتقد البعض ان ولادة عيسى (عليه السلام) قد لا تختلف عن الاساطير والخرافات ، ولكن اعتقد انني قد ذللت كثيراً من العقبات والشبهات من خلال النبش في النصوص بصورة مكثفة واضفاء الطابع المنطقي على كل تدبر وكل نص تناولته هنا ، وان خير دليل على ان عيسى (عليه السلام) لا اب له بالاعتماد على ظاهر

النص القرآني هو قوله تعالى : ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾[1]

ويمكن أيضا ان نضع عدة اعتراضات لهؤلاء الباحثين كي يذللوها للقارئ منها اننا إذا فرضنا أن مريم ﴿عليها السلام﴾ كانت متزوجة من رسول الرب الذي تمثل لها بشراً او من شخص من بني اسرائيل حسب رأي الاخوة الباحثين الذين يعتقدون بهذا الافتراض ويتبنوه على أقل تقدير لنفي معجزة خلق عيسى ابن مريم ﴿عليه السلام﴾.

أولا: لماذا يكنى عيسى ﴿عليه السلام﴾ في آيات القرآن الكريم بكلمة ﴿عيسى ابن مريم﴾ لماذا لا ينسب لأبيه إذا كان لديه اب؟!

ثانيا: لماذا لم ينسب موسى ﴿عليه السلام﴾ لامه ﴿موسى ابن فلانة﴾ كعيسى ابن مريم ﴿عليها السلام﴾ مع ملاحظة أن ام موسى ﴿عليها السلام﴾ كان لها من الفضل والمنزلة بحيث أوحى لها الله في مرات متعددة.

ثالثا: أن قضية عدم ذكر اب والد لموسى ﴿عليه السلام﴾ قد يتبناها اصحاب فرضية ولادة عيسى ابن مريم ﴿عليه السلام﴾ من ابوين ولكنني اقول والحال هذه أن تفنيد ادعاء الاخوة يمكن دحضه ببساطة فمريم ﴿عليها السلام﴾ نفسها صديقة وامها يوحي اليها الله ايضاً فلماذا تنسب مريم لعمران وليس لامها في حين ينسب عيسى لامه مريم.

(1)سورة مريم: آية 32.

وحينما يجيبنا الاخوة الباحثين عن هذه الأسئلة بالأدلة المنطقية والعلمية وبالأخص من ظاهر النص القرآني قد تكون هناك مشتركات بحثية بيننا وبينهم ونضع تنازلات عما توصلنا اليه في هذا البحث البسيط، ومن جانب البحث المكثف نعرض هنا قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَى ۛ شَهِدْنَا ۛ أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ (1)

فأن الله قد خلق الخلق جميعاً وأودعهم في ظهور أباءهم ﴿آدم﴾ ثم تناقلوا بعدها في ظهور آبائهم ولم يكن عيسى بن مريم ﴿عليه السلام﴾ من بينهم، فعيسى بن مريم﴿عليه السلام﴾ لم يكن في ظهر أب له. لذا جاء التشابه والمقارنة بين عيسى ﴿عليه السلام﴾ من جهة وآدم ﴿عليه السلام﴾ من جهة أخرى:

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (2)

ولهذا فأن عيسى بن مريم﴿عليه السلام﴾ لم يمر بمراحل الخلق التي يمر بها الإنسان فهو لم يمر بمرحلة النطفة، فالعلقة، فالمضغة، فالعظام، فاللحم، ..الخ وان الاشتباه الذي يقع فيه الباحث والمشرع أساسه الاختلاف

(1)سورة الاعراف: آية 172.

(2)سورة آل عمران: آية 59.

في تفسير الاصطلاح القرآني فقهيا ، فهم الى الان مختلفين في تحديد معنى ﴿المحصنة﴾ وتمييزها عن التي ﴿ تحفظ فرجها﴾ فمريم(عليها السلام) كان قد احصنت فرجها وتم النفخ فيه وفيها من قبل رسول الرب ﴿ روح الله﴾ وبهذا لم تفض بكارتها كما يحصل لباقي النساء وكل من كانت على علاقة شرعية واقترب زوجها منها لأجل الجماع والتقارب تعتبر ﴿ غير محصنة لفرجها امام زوجها﴾ اما مريم فقد وصفها النص القرآني بصريح العبارة بأنها قد ﴿احصنت فرجها﴾ ،قال تعالى:

﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾ [1]

وقال: ﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾[2]

والنفخ هو وهب الحياة بالمباشر كما سيكون يوم ينفخ في الصور فيصعق من في الأرض جميعاً ثم ينفخ مرة أخرى فيبعث من فيها جميعا قال تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾[3]

(1)سورة التحريم: آية 12.

(2)سورة الانبياء: آية 91.

(3)سورة الزمر: آية 68.

وكما كان عيسى (عليه السلام) ينفخ في الطين فتدب الحياة فيه مباشرة ولا اعتقد ان عيسى (عليه السلام) كان يمارس فعلاً بيولوجياً مع الطين كما يظن الباحثين الاجلاء ان روح الله قد فعل مع مريم (عليها السلام) التي احصنت فرجها من علاقة جنسية «مفترات» قال تعالى: ﴿ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ (1)

وهكذا فأن جمع النصوص المتظافرة تجعلنا نفهم النص القرآني كما أراد الله وبهذا أكملت لكم هذا الكتاب المبسط والذي قد يكون بداية وضع حجر أساس لكل باحث لبيب عن فحوى نصوص الكتب الدينية كالقرآن الكريم مع تمنياتي انني قد كنت عند حسن ظن القارئ والمتابع الكريم..

قال تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (2)

تم بحمد الله وتوفيقه الفراغ من كتابته في عام 1440 هـ /2019 م

---

(1)سورة آل عمران: آية 49.

(2)سورة الانعام: آية 115.

الفهارس

❖ فهرست المحتويات

❖ فهرست المصادر

التراجم

❖ ترجمة المؤلف:

أسامة عبد الأمير البدران

المراجع والمصادر:

اولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: الأحاديث الصادرة عن النبي محمد(صلى الله عليه وآله) وأهل البيت (عليهم السلام)

ثالثاً: مجموعة من كتب السيرة والتفسير.

1- الرازي: فخر الدين: إسرار التنزيل وأنوار التأويل – منشورات دار واسط – للطباعة والنشر والتوزيع – بغداد – العراق.

2- السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن – معترك الأقران في اعجاز القرآن – صححه: احمد شمس الدين – المجلد الأول – الطبعة الأولى – 1988 – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.

3- الطبطبائي: العلامة محمد حسين – الميزان في تفسير القرآن – منشورات – مؤسسة الاعلمي للمطبوعات – الطبعة الأولى – 1997 – بيروت – لبنان.

4- العاملي: ضياء جواد – التفسير العلمي للآيات القرآنية – الطبعة الاولى – 2008م – مطبعة الفكيكي – بغداد – العراق.

5- شاكر: كمال مصطفى – مختصر تفسير الميزان – الطبعة الثالثة – 1426 هـ - منشورات – طليعة النور.

6- الجراح: الموقع الرسمي للدكتور رشيد عبد السلام- أستاذ في جامعة اليرموك الأردنية ومتخصص باللغة العربية والتفسير- مجموعة محاضرات وتفسير للقصص القرآنية – (كيف خلق عيسى أبن مريم – نظرية الأمانة – لماذا قدم لوط بناته – فقه الحج).

7- ابن عبد ربه – شهاب الدين احمد – العقد الفريد – الطبعة الثانية – سنة 1928 – المطبعة الأزهرية – القاهرة – مصر.

8- الجزائري: السيد نعمة الله – قصص الأنبياء – الطبعة الأولى سنة 2009م – دار الجناحين – النجف الاشرف – العراق.

9- الصدر: السيد محمد (قُدِّسَ سِرُّهُ) – منة المنان في الدفاع عن القرآن – إصدارات – مركز الدراسات التخصصية في فكر السيد الشهيد محمد الصدر.
10-اليعقوبي: احمد بن أبي يعقوب بن جعفر – الطبعة الأولى – 1358هـ - من منشورات المكتبة الرضوية في النجف الاشرف- العراق.
11-البدران: عبد الأمير مكلف – كتاب بغداد خاتون – الطبعة الأولى 2009.
12- البدران: عبد الامير مكلف- كتاب الانسان- مؤسسة العصامي للطباعة والنشر والتوزيع- 1437هـ- 2016م- بغداد- العراق.
13-البدران: أسامة عبد الأمير مكلف – كتاب مشكاة أبي – الطبعة الأولى 2017.
14-البدران: أسامة عبد الأمير مكلف – الموقع الرسمي للكاتب أسامة البدران – مجموعة حلقات منشورة منذ عام 2018م تحت عنوان (المائدة المستديرة – ديموقراطية عيسى والحواريين).
15-البدران: أسامة عبد الأمير مكلف – كتاب مشكاة أبي – الطبعة الأولى 2017.
16-البدران: أسامة عبد الأمير مكلف – الموقع الرسمي للكاتب أسامة البدران – مجموعة حلقات منشورة منذ عام 2019م تحت عنوان (ثورة المفاهيم وتصحيح التاريخ/ محتوى مرئي وكتابي وصوتي).
17-البدران: أسامة عبد الأمير مكلف – الموقع الرسمي للكاتب أسامة البدران – مجموعة حلقات منشورة منذ عام 2020م تحت عنوان (سلسلة حلقات الإصلاح العقائدي – القلب السليم).

18–البدران: أسامة عبد الأمير مكلف – الموقع الرسمي للكاتب أسامة البدران – مجموعة مقالات وابحاث متخصصة في التاريخ والعقائد واللغات منشورة منذ عام 2010م.

تنويه:

المصـــادر التي وردت في ذيل البحث هي التي اعتمد عليها هذا الكتاب، أما المصادر التي أسهمت فيه بطريقة او أخرى فقد أشير إليها ضمن الهوامش الواردة في ذيل كل فصل من فصول هذا الكتاب ولم نحبذ تكرارها (هنا) اختزالاً لحجم الكتاب وهناك مصادر ذكرت في ذيل البحث لم نشر لها في صفحاته بسبب انصهار معانيها مع روح البحث بتصرف الكاتب نفسه مع الاعتذار للإخوة القراء والباحثين الأفاضل.

–المؤلف–

1440هـ – 2019م

قائمة المحتويات

السيرة الذاتية

أسـامة عبد الأمير البدران ، كنيته (أبو محمد) ولد في الحادي والثلاثين من مايس عام 1981م ، في بغداد ، وتربى على نور المعرفة واضواء الثقافة وآداب الشريعة الإسلامية التي جاء بها نبي الإسلام محمد عليه افضل الصلاة وأتم التسليم وعلى آله الاتقياء المنتجبين ، فتمسك بالعروة الوثقى وبدأ البحث بين الواح مكتبة والده بشغف عن ضالته المنشودة في شتى ميادين العلم والمعرفة وكان لأبيه الأستاذ عبد الأمير البدران الفضل في تعلمه النطق الصحيح لمفردات اللغة العربية وتنمية حب قراءة القرآن الكريم ، اكمل دورة الفقه واحكام التجويد في بغداد في سن الرابعة عشر من عمره وعين أستاذاً في احد المساجد لتعليم قراءة القرآن واحكام التلاوة رغم صغر سنه ، قدم اول بحث علمي بمساعدة والده تحت عنوان (الله ، لفظ الجلالة) في سن الخامسة عشر ، وهو بحث عقائدي رصين ، ثم اكمل الدراسة الإعدادية والتحق بكلية التربية الرياضية – جامعة بغداد 2002 م وتخرج منها عام 2010م حيث كان له عدة مساهمات في مجال التربية البدنية ...خاض في مجال التسويق وتطوير الافراد وبناء الشخصية وألقى

محاضــرات شــتى في عدد من المؤتمرات والمعاهد التدريبية في مجال البرمجة اللغوية العصــبية واســتخدام الحاســوب والانترنت وبناء المواقع الالكترونية ، له كتابات في مجال الصــحافة والاعلام نشــرت على اكثر من موقع وجريدة محلية ودولية ، شــارك في منظمات إنســانية ومنظمات المجتمع المدني ونقابات واتحادات ثقافية عديدة .

من المقالات المنشورة له:

1. كتابان عن مأساة العنف في بغداد. جريدة الزمان، 2014/2/16.
2. شجرة العائلة الفونولوجية، جريدة الزمان، 2014/2/23.
3. التكنولوجيا وأثرها في الانتخابات، جريدة الزمان ،2014/4/2، جريدة المستقبل، العدد2014/664.
4. التطبيق الخاطئ لمبدأ العقاب التربوي، جريدة الزمان2014/4/24، والعالم اليوم والمستقبل، واعيد نشره بعد مدة في مجلة شواطئ وفي صفحة شواطئ تربوية من قبل مدير تحرير المجلة الأستاذ (عبد الحكيم اللطيف) مدير قسم الاعلام في جامعة البصرة،
5. تســويق الاعمال الصــغيرة مع (تويتر)، ومواقع التواصــل الاجتماعي، جريدة الزمان.
6. القيمة الزمنية للنقود والأوراق المالية، جريدة الزمان، 2017/5/10.
7. ثقافة المؤسسة، جريدة الزمان، 2016/10/17.

8. بوتين يؤسس لعلم جديد، جريدة الزمان، 2014/4/14.
9. نظرية ما وراء التسويق، تقنية مثالية لاختيار المرشح الأنسب في الانتخابات القادمة، جريدة الزمان، 2017/2/26.
10. العمل الجماعي أداة لنجاح المؤسسات، جريدة كربلاء اليوم
11. مدخل الى التداؤبية أو السينارجيا، جريدة الزمان.
12. تبلور سياسة تجفيف الأنهار في العراق، الحوار المتمدن، العدد/6968.
13. نهر النيل المقدس ينبع من بابلونيا ويصب في آور، الحوار المتمدن، العدد/6708.
14. كيبالتو ايلي مركز كل مدينة سومرية، الحوار المتمدن، العدد/6657.
15. نين سينا - أبن سينا -Avicenna، الحوار المتمدن، العدد/6598.
16. الكتاب الأسود – THE BLACK BOOK، الحوار المتمدن، العدد/6599.
17. مغارة السردين، الحوار المتمدن، العدد/6457.
18. باغادي كيبفا والأمير جودي، مسامير من رحم الواح سومر، الغاز التاريخ، الحوار المتمدن، العدد/6428.
19. خسف العقول.. ومقام الخمول.. مفارقات في وعي الشعوب ما بين جيل الألفين الثائر وتقاليد الآباء البالية.. وسباق نحو بناء الوطن، الحوار المتمدن، العدد/6427.
20. شرايين وعروق (العراق) المقطعة في نهاية العهد الحجري الرابع عشر، الحوار المتمدن، العدد/6418.

المؤلفات والبحوث:

1. بحث أكاديمي في التربية البدنية كجزء من متطلبات نيل درجة البكالوريوس موسوم بـ (التحليل الفني لتطبيق مهارتي الدفاع الفعال في الكرة الطائرة) تم تطبيقه على الفريق الفائز بالمركز الأول والفريق الأخير في بطولة العالم الحادية والعشرين بكرة اليد للرجال.
2. بدائل محو الأمية في العراق، استخدام التدريس التنموي كبديل للدروس الخصوصية، بحث مخطوط
3. كتاب شجرة العشيرة، 2010، مطبوع.
4. كتاب مشكاة أبي، 2017، مطبوع.
5. كتاب المائدة المستديرة، 2019، مطبوع.
6. موسوعة تربية الطفل في أربعين حلقة، تأثير الاندرويد وأنظمة الحاسوب والتلفزيون على شخصية أطفالنا، المواقع الاجتماعية المحاذير، والايجابيات، استخدام الطرق التربوية الحديثة للسيطرة على سلوك طفلك، مخطوط.
7. كتاب ثورة المفاهيم وتصحيح التاريخ - مطبوع.
8. كتاب القلب السليم – مخطوط.
9. كتاب تأصيل الحس الثوري – مطبوع.